جامعة الأزهر

قصائد الشعر في الصفحات

كلية اللغة العربية بدمنهور

دراسات

في

اللغة والأدب والبلاغة

دكتور

محمود على السمان

عميد كلية اللغة العربية بدمنهور

الكتاب به صفح كثيرة
غير داخلة من الأصل

"بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فهذه دراسات في اللغة والأدب والبلاغة، استهدفت منها أن تكون مفتاحا الى تلك العلوم لغير المتخصصين فيها، تمكن من أراد الخوض في بحارها أن يتذوق بها شيئا من عبيرها العذب، فيزداد شوقا الى مزيد من التذوق له والعب منه، فيقبل على هذه العلوم كلما أتيحت له الفرصة الى ذلك فيما بعد

وعلوم اللغة والأدب والبلاغة هي في الحقيقة أدوات لاغنى عنها لكل دارس لغيرها من علوم العربية، لأنها أدوات الإفهام وحسن التبليغ والتعبير من ناحية، ثم لأنها أدوات الإحساس والذوق والبلاغة من ناحية ثانية

واذا كان التبليغ في الأدوات الأولى ضرورة، فالبلاغة في الأدوات الثانية مهمة، لأن الانسان روح وجسد، وعاطفة وعقل، وغذاء الروح والعاطفة بالأدبيات والمعنويات، كما أن غذاء الجسد والعقل بالمحسات والماديات

وكما أن الجسد أو العقل يميل الى ما يقربه من الحقيقة والواقع، فان الروح أو العاطفة تسمو الى ما يبعدها الى آفاق الجمال والخيال

فالأدب والبلاغة -واللغة تابعة لهما أو هي جزء منهما- ضروريان في كل العلوم ولكل الدارسين ضرورة الروح للجسد، والعاطفة للعقل

وهكذا أردنا أن نقدم لأبنائنا غير المتخصصين مفتاحا في اللغة والأدب والبلاغة يفتح لهم مغاليق العلوم الأخرى، أو مصباحا يضيء لهم مجاهلها .

هذا وبالله التوفيق ،

د. محمود على السمان

الأدب فى العصر العباسى

يبدأ العصر العباسى من سنة ١٣٢ هـ ٧٥٠ م وينتهى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م أى من انتهاء حكم الدولة الأموية حتى سقوط بغداد على أيدى التتار . ويقسمه البعض إلى عصرين ، العصر العباسى الأول ، ويبدأ من سنة ١٣٢ هـ وينتهى سنة ٢٤٧ هـ . وهى نهاية عهد الخليفة المتوكل ، والعصر العباسى الثانى ويبدأ من هذا التاريخ حتى نهاية العصر . ويميز العصر الأول خضوع البلاد العربية خضوعاً فعلياً للخليفة العباسى وسيطرة العنصر العربى على الحكم فى بغداد . وكان أبو العباس السفاح هو أول خليفة عباسى . وهو الذى هزم الأمويين ثم تعقبهم بالقتل والتشريد ، ففر من وجهه عبد الرحمن الداخل وأقام الدولة الأموية فى الأندلس سنة ٧٥٦ م . وتلاه فى الخلافة أبو جعفر المنصور (٧٥٤ م) الذى قضى على سلسلة من الثورات السياسية والدينية وبنى عاصمة دولته فى بغداد وبقيت بغداد عاصمة العباسيين قرابة خمسة قرون . ولقد قامت فى بغداد نهضة ثقافية عظيمة تبوأ بفضلها المسلمون مكان الصدارة فى الميادين الفكرية والحضارية خلال العصور الوسطى ، وفى عهد هرون الرشيد (٧٨٦ م) بلغت بغداد أوج حضارتها وعمرانها وسيطرتها على أجزاء الدولة المترامية من المغرب إلى حدود الصين ، ويميز العصر الثانى انقسام البلاد إلى دويلات مستقلة مع خضوعها خضوعاً شكلياً للخليفة العباسى ومع سيطرة العنصر الأجنبى على الحكم فى بغداد ، فقامت فى مصر الدولة الطولونية . وفى شمال افريقية الدولة الفاطمية وفى الموصل وحلب الدولة الحمدانية ، وسيطر الأتراك على الدولة منذ عهد الخليفة المتوكل (٨٤٧ م) ولقرابة قرن . ثم سيطر البويهيون الفارسيون منذ عهد الخليفة المستكفى بالله (٩٤٤م) ثم الأتراك السلاجقة منذ عهد الخليفة الناصر لدين الله (١١٨٠ م) ثم تداعت الدولة أمام هجمات جنكيزخان قائد المغول عام ١٢٢١ م . وفى زمن المستعصم آخر الخلفاء العباسيين هجم هولاكو على بغداد وقتل الخليفة سنة ١٢٥٨ م وبهذا انتهى العصر العباسى وزالت الخلافة من بغداد . وإن كان الظاهر بيبرس سلطان المماليك قد أحياها فى مصر بعد ذلك بخمس سنوات وبقيت قائمة اسماً إلى أن استولى الأتراك على مصر سنة ١٥١٧ م .

وقد أحدث قيام الدولة العباسية تغيرات وتطورات سياسية واجتماعية وثقافية بعيدة المدى فى حياة الأمة الإسلامية ، فقد اعتمد العباسيون فى قيام دولتهم على الدين وتقريب الفقهاء بينما كان الأمويون يعتمدون على تأييد القبائل العربية وسوى العباسيون بين العرب والموالى فولوا الموالى مناصب فى الدولة بلغت منصب الوزارة ، ومكنوا العناصر الفارسية ثم التركية من قيادة الجيش ونعمت الدولة بالأمن والرخاء ، وغرق الأمراء والرؤساء والقواد وخاصتهم فى الترف والنعيم وأقبل الناس على العلوم والمعارف بتشجيع من الخلفاء .

وكانت من آثار الاختلاط بالأعاجم من الفرس واليونان باستخدامهم فى كل أمر حتى قيادة الجيوش والوزارة وبالتجاور والتصاهر أن ضعفت النعرة العربية ، وتأثر العرب بعلومهم وآدابهم ، كما تأثروا بسلوكهم وأخلاقهم ، فاتسعت أغراض اللغة بتدوين العلوم الإسلامية وترجمة العلوم الأجنبية وتأدية مقاصد الصناعة ، ومظاهر الترف من وصف القصور والبساتين ومناظر الطبيعة وأدوات الزينة ووصف البحر والأساطيل والمعارك البحرية ، كذلك كثرت الأفكار الجميلة والأخيلة الرائعة والمعانى المبتكرة الجديدة أو المولدة من القديمة وسهلت الألفاظ وتهذبت وتنوعت الأساليب ، وكثر استخدام المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات البديعية ومصطلحات العلوم والفنون والصناعات والإدارة وآلات الحرب ، والاقتباس من القرآن الكريم .

كل ذلك أفاد اللغة والأدب ، أما ما أضر بهما فهو الإكثار من استعمال الكلمات الأعجمية فى كثير من أمور الحياة كالطعام والآنية والفرش والصناعة والدواء ، وهذه قلما خضعت لقوانين النحو والصرف ، وكذلك الإكثار من التأنق فى الحلية اللفظية والتهويل فى المعانى والتفخيم فى الألقاب ، والتملق فى المديح والإقذاع فى الهجاء والإغراق فى وصف الخمر والمجون والخلاعة والغزل بالمذكر .

وإذا شئنا أن نوضح فى اختصار أحوال اللغة فى العصر العباسى فإن علينا أن نعرف أن اللغة نثر وشعر ، وأن النثر لغة تخاطب وكتابة خطية وأنه إما نثر فنى أو نثر علمى .

النثر فى العصر العباسى

١ ــ لغة التخاطب :

إن لغة التخاطب وإن بقيت العربية الفصحى لدى أهل الجزيرة العربية وفى أبناء الخلفاء وخاصتهم حتى أواسط القرن الرابع الهجرى ، إلا أنها كانت عربية محرفة ومع شىء من الدخيل لدى العامة فى البلاد التى تكثر فيها جمهرة العرب . أما لغة البلاد الأجنبية المفتوحة فقد كانت اللغة الوطنية ممتزجة ببعض الألفاظ العربية .

ولما خاف الخلفاء من شيوع اللحن ومن عجز المسلمين عن أن يفهموا كتاب الله دعوا أئمة اللغة ــ من ناحية ــ إلى قصورهم ليؤدبوا أبناءهم فكانوا أمراء البيان كما كانوا أمراء الملك ، وحثوا ــ من ناحية أخرى ــ وكافأوا العلماء على تدوين علوم العربية من اللغة والنحو والبلاغة والدين إلخ، ولكن العامية ــ لشدة الاختلاط بالأعاجم وسيطرتهم على شئون البلاد ــ ما لبثت أن طغت على اللغة وعلى ألسنة المتكلمين بها حتى الخلفاء فى النصف الأخير من هذا العصر .

٢ ــ الكتابة الخطية :

فى العصر الأموى اخترع أبو الأسود الدؤلى الشكل بالنقط وجعله بصبغ مخالف فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين ، ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر نقط الإعجام بنفس المداد الذى يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط أبى الأسود .

ولكن بعد أن استكثر الناس من إعجام الحروف لتسهيل التعليم ، اشتبه نقط الاعجام بنقط الشكل ؛ فاخترع الخليل بن أحمد (١٠٠ ــ ١٧٠ هـ) الشكل المعروف الآن وهو الضمة والفتحة والكسرة والشدة والسكون وهمزة القطع .

٣ ــ النثر الفنى :

ويتضمن فى هذا العصر الخطابة والكتابة الانشائية وتشمل الرسائل الديوانية والاخوانية والتوقيعات ، والمقامات التى عرفت فى أواخر العصر .

[ا] الخطابة :

فأما الخطابة فقد ازدهرت فى مطالع العصر لتوفر أسبابها ، فالدولة العباسية حين قامت كانت فى حاجة إلى من يدافعون عنها باللسان كما كانت فى حاجة إلى من يدافعون عنها بالسنان ، لأنها قامت بحد السيف فلم تكن ثورة جماهيرية بقدر ما كانت انقلاباً مسلحاً يحتاج إلى جهد لاقناع الجماهير بحقه فى قيادتهم ولأن الدولة الأموية المغلوبة كانت موجودة خارج الحكم لأن حكامها وأتباعها كانوا على قيد الحياة والقضاء عليهم بالقتل والتشريد لايكفى لأنه لايعنى القضاء على حب القلوب لهم وهوى النفوس إليهم ، ولأن العلويين الذين ناصروا العباسيين فى إحداث الانقلاب كانوا يرون بعد انتقال الحكم إليهم أنهم أحق بالملك منهم ؛ فانقلبوا عليهم ووقفوا ضدهم ، هذا إلى بعض المذاهب والاتجاهات الدينية المناوئة التى ظهرت على صفحة الحياة ووقفت ضد العباسيين فى بداية حكمهم . ولهذا كان لا بد من الخطابة والخطباء لتأليف قلوب الجماهير وجمعهم حول دعوتهم وحكومتهم والمساونة فى القضاء على أعدائهم . ولقد كانت الفصحى هى الغالبة على لغة التخاطب ، وكان للبلاغة سحرها لدى عامة الناس ، وكان حكام الدولة وقوادها فضلا عن دعاتها خطباء مصاقع . . . فلا غرو أن تزدهر الخطابة ويكثر الخطباء فى صدر العصر العباسى ، وأن يظهر الأدب العربى بمجموعة ثمينة من الخطب تحلى جيد الأدب وتزين صدر الزمان .

فلما استقرت الدولة وأمنت شر ومكر أعدائها فى الداخل . واشتد اختلاط الأعاجم والعرب ، وأصبح الولاة وقادة الجيوش من الموالى ، ضعفت الخطابة وحل محلها المنشورات السياسية والخطب والدروس الدينية .

[ب] وأما الكتابة الإنشائية :

فقد كانت فى العصر العباسى الأول أرقى ما وصل إليه الإنشاء العربى . وقد مضت فيها الرسائل حتى أوائل القرن الرابع الهجرى على طريقة عبد الحميد الكاتب وابن المقفع سهولة عبارة وجمال أسلوب ووضوح فكرة ودقة معان مع استخدام لبعض المحسنات البديعية من غير تكلف ، حتى إذا ما غلب الحكام الأعاجم على

الحكم وضعفت ملكة البلاغة فى الكتاب انحط أسلوب الكتابة بالتدريج وتكلف فيه الكتاب البديع . فجعلوه همهم وقصارى جهدهم وطغى على كتابتهم والتزموه فيها إلزاماً .

وكانت التوقيعات التى يوقعها الرؤساء تعليقاً على ما يعرض عليهم من شئون الرعية نوعاً من الكتابة الإنشائية يتميز بالحكم والحكمة فى عبارة غاية فى الإيجاز غاية فى البلاغة .

وأما المقامات فقد كانت نوعاً من ألوان الكتابة الإنشائية اللغوية اشتهر بها بديع الزمان الهمزانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ . ثم الحريرى المتوفى سنة ٥١٥ هـ .

وهى تمثل الكتابة البديعية التى غلبت على الكتاب أواخر العصر العباسى وحتى قبيل عصرنا الحاضر . والمقامة قصة خيالية مسجوعة محلاة بأنواع البديع مشتملة على كثير من الغريب بهدف حفظ اللغة وأساليبها .

٤ ــ النثر العلمى :

وهو النثر الذى كتبت به العلوم الكثيرة التى دونت فى هذا العصر . وهى نوعان: علوم إسلامية مؤلفة كالنحو والبلاغة والعروض والتاريخ ، وعلوم كونية مترجمة كالطب والفلك والسياسة والجبر وعلم ما وراء الطبيعة . وقد دعت الحاجة إلى تدوين هذه العلوم بعد اتساع الدولة ودخول العناصر الأجنبية فيها ، وبعد الخوف من ضياع اللغة وضوابطها ، والدين وحقائقه ، فعكف العلماء العرب على جمع ما تفرق مما كتب من العلم فى الكتب وما حفظ منه فى الصدور ، ورتبوه وبوبوه . كما أخذ علماء الفرس والسريان ينقلون من الفارسية واليونانية إلى العربية علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات . وشجع على هذه الثورة الفكرية الخليفة أبو جعفر المنصور وأولاده من بعده وأجزلوا المكافآت عليها .

الشعر فى العصر العباسى

كان العصر العباسى هو العصر الذهبى للشعر ، فقد قامت للشعر فى دولة العباسيين دولة حكامها الشعراء ورعيتها الخلفاء وعامة الناس ، فلقد كان الكبراء من خلفاء ووزراء وغيرهم حتى رؤساء الأعاجم يهتمون بالشعر ويثيبون عليه أجزل الإثابة ، حتى لقد جعل المهدى والرشيد والمأمون أياماً خاصة لملاقاة الشعراء والاستماع إليهم . وبالغ العباسيون فى إكرام الشعراء حتى كانت جوائزهم على الشعراء الدنانير والدنانير الوفيرة ، والجوارى والعبيد ، والخيول والضياع ، بل لقد أتاحوا لبعض الشعراء الارتقاء إلى رتبة الوزارة كمحمد بن عبد الملك الزيات ، وأطمعوا البعض الآخر فى الملك كالمتنبى . ولذلك كثر الشعراء فى هذا العصر وقالوا الشعر فى كل غرض ، وزادوا فيه فنوناً لم تعرف من قبلهم . وارتقوا به إلى سماء لا تطاولها سماء وأصبحت بغداد منتجع الشعر والأدب والعلم كله وقبلة الشعراء والأدباء والعلماء جميعاً .

ولقد زاد استعمال الشعراء للشعر فى أغراض السياسة وأغرقوا به فى التملق . والتهتك والمجون ووصف الخمر والدعوة إليها ، والغزل بالمذكر والاقذاع فى الهجاء ، وشاع لديهم وصف الرياحين والقصور ومجالس الأنس ومصايد الوحوش والطيور والسمك ، وأكثروا من ضرب المثل والتزهيد فى الدنيا ، ثم استعملوا الشعر فى ضبط قواعد العلوم .

وقد اهتم العباسيون اهتماماً خاصاً بترتيب أفكار القصيدة بحيث لم يعد ينتقل الشاعر من فكرة إلى فكرة لا ترتبط بها بنوع من الارتباط كما كانوا يفعلون من قبل . وقد ابتدأوا القصيدة على عادة العرب القدماء بالنسيب بالديار والأطلال ولكن من غير التزام بذلك بل كثيراً ما استبدلوا بالنسيب فى مطلع القصيدة ذكر القصور ووصف الطبيعة أو الخمر أو الرحلة البحرية إلى الممدوح بل لقد هجا بعضهم ذلك الابتداء المأثور بالنسيب بالأطلال .

واهتموا كذلك بوضوح المعانى وتنويعها ، واختراع الأخيلة الجميلة ، وغلوا فى استعمال الخيال الفرضى ، واستخدموا الأدلة العقلية وقواعد الفلسفة وطرق الحكمة للاقناع .

ولقد هجروا غريب الألفاظ ولكنهم أدخلوا الأعجمى وأكثروا منه وامتازت أساليبهم بالرقة مع الجزالة ، واخترعوا البديع وأفاضوا فيه .

وقد أكثروا من النظم فى البحور التى لم ينظم فيها العرب إلا قليلا كالمضارع والمقتضب لرقتهما وخفتهما ، واخترعوا أوزاناً أخرى كأوزان اخترعها مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو العتاهية .

وقرب نهاية العصر العباسى استجدى الشعر باستعجام السلاطين ، وانتقل الشعراء من صناعة الشعر إلى صناعة الكتابة فى الدواوين . وكان أكثر نظم الشعر فى الألغاز والأحاجى ، وفى السخرية والمزاح .

نماذج من الشعر العباسى

١ – من الشعر الوصفى

من قصيدة لأبى تمام يمدح بها الخليفة المعتصم العباسى ويصدرها بهذه الأبيات فى وصف الربيع .

رقت حواشى الدهر فهى تَمَرْمَرُ[١] ... وغدا الثرى فى حَلْيِه يتكسر

نزلت مقدِّمة المصيف[٢] حميدةً ... ويدُ الشتاء جديدة لا تُكفَر

لولا الذى غرس الشتاء بكفه ... قاسى المصيفُ هشائماً[٣] لا تُثمر

كم ليلةٍ آسى البلادَ[٤] بنفسه ... فيها ويوم وَبْلُه متفجِّر

مطر يذوب الصَّحْوُ منه وبعدَه ... صحو يكاد من الغَضَارَة[٥] يَقْطُرُ

غيثان ؛ فالأنواء غيث ظاهر ... لك وجهه، والصحو غيث مُضْمَرُ[٦]

وندًى إذا أدهنت به لِمَم الثرى ... خلت السحابَ أتاه وهو معذِّرُ[٧]

---

(١) تمرمر : أى تتمرر : أى تموج وتضطرب لينا ونعمة .
(٢) مقدمة المصيف : يقصد الربيع .
(٣) الهشائم : جمع هشيمة وهى الشجرة اليابسة .
(٤) آسى البلاد : أى آسى الشتاء البلاد بنفسه وآسى معناها : عاون .
(٥) الغضارة : مصدر غضر النبات كان رطبا طريا .
(٦) الغيث : المطر ، والانواء : جمع نوء وهو المطر .
(٧) ادهنت : بالدهن ونحوه تطلت واللمم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز لمة الأذن ، ومعذر : أى مقيم لعذره لانه لم يسقط مطرا بل ندى .

أربيعنا فى تسع عشرة حجة[٨] حقاً لهنك للربيع الأزهر

ما كانت الأيام تسلب بهجة لو أن حسن الروض كان يعمر

أو لا ترى الأشياء إن هى غيرت سمجت وحسن الأرض حين تغير[٩]

يا صاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر[١٠]

دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فإنما هى منظر

أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تنور[١١]

من كل زاهرة ترقرق[١٢] بالندى فكأنما عين إليك تحدر

تبدو ويحجبها الجميم[١٣] كأنها عذراء تبدو تارة وتخفر

حتى غدت وهداتها ونجادها فئتين فى حلل الربيع تبختر[١٤]

---

(٨) تسع عشرة أى بعد المائتين من الهجرة وهو تاريخ هذا الربيع ، وحجة : سنة .

(٩) سمجت : قبحت ، وتغير : أى تتغير .

(١٠) مشمس : أى تطلع فيه الشمس ، ومقمر : أى يطلع فيه القمر وشابه : خالطه ، والربى : جمع ربوة وهى المكان العالى .

(١١) النور : زهر الشجر : الواحدة نورة ، وتنور : تضىء .

(١٢) زاهرة : أى شجرة زاهرة ترقرق أى تترقرق : أى تضطرب فيها بين أوراق نورها قطرات للطل فكأنها عين تدمع .

(١٣) الجميم : ما تكاثف من النبات .

(١٤) الوهاد : جمع وهدة وهى ما انخفض من الأرض ، وتبختر أى تتبختر : تمشى معجبة بنفسها .

مصفرةٌ محمرةٌ فكأنها عُصَبٌ[١٥] تَيَمَّن تارةً وتَمَضَّر
من فاقعٍ غضٍّ النبات كأنه دُرَرٌ تَشَقَّقُ قبلُ ثم تَزَعْفَر[١٦]
أو ساطعٍ فى حُمْرة فكأنما يدنو إليه من الهواء مُعَصْفَر[١٧]
صنعُ الذى لولا بدائع لُطفِهِ ما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر
خلقٌ أطلَّ من الربيع كأنه خلقُ الإمامِ وهَدْيُه المتنشِّر[١٨]

ترجمة الشاعر

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى نسبة إلى قبيلة طىء العربية ، وقيل إن أباه كان نصرانياً فقيراً من أعاجم الشام اسمه « تدوس » فغيره أبو تمام إلى « أوس » ولد سنة ١٩٠ ﻫ بقرية « جاسم » قرب دمشق . اشتغل فى صباه حائكا بدمشق ثم انتقل إلى مصر واشتغل بها ساقياً فى جامع عمرو الذى كان آنذاك عش العلماء ، فأحب أبو تمام العلم والأدب ، وحفظ الكثير من الشعر ونظمه ونبغ فيه ، ثم انتقل إلى بغداد مقر الخلافة ، ومدح الخليفة المعتصم ووزيره محمد بن الزيات وصاحب ديوان رسائله الحسن بن وهب وغيرهم من الأمراء والكبراء ، فقربوه منهم إلى حد الصداقة ، ورغبوا به عن التكسب بالشعر ، فولاه الحسن بن وهب بريد الموصل ، فأقام بها حتى مات سنة ٢٣١ ﻫ .

وقد كان أبو تمام أسمر طويلا حلو الكلام حاد الخاطر حاضر البديهة : حكى أنه لما مدح الأمير أحمد بن المعتصم ، وانتهى فى قصيدته إلى قوله :

---

(١٥) عصب : جمع عصبة وهى العصابة ومعناهما ما عصب به من منديل ونحوه .

(١٦) فاقع : شديد الاصفرار . تزعفر أى تتزعفر أى تصطبغ بالزعفران وهو نبات له زهر أحمر مائل الى الصفرة .

(١٧) معصفر وهو الذى يصبغ الثوب بالعصفر وهو نبات يصبغ بزهرة صبغا أصفر .

(١٨) المتنشر : من تنشر الشىء انبسط .

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له أبو يوسف يعقوب الكندى الفيلسوف : « الأمير فوق من وصفت » ، فقال مرتجلا على البديهة :

لاتنكروا ضربى له من دونه مثلا شروداً فى الندى والبـــاس
فالله قد ضرب الأقـــل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

وأبو تمام هو أسبق ثلاثة الشعراء الذين خلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البحترى وثالثهم المتنبى . يقول طه حسين[1] : « لا أتردد ولا احتاط فى أن أقدم أبا تمام على معاصريه جميعاً » .

وقد تملأ أبو تمام من ثقافة عصره ذاك الذى زخر بترجمة علوم وحكم الأوائل من اليونان والفرس والهنود . وقد استقى من تلك الثقافة الثرية الواسعة بحسن تفكيره ولطافة حسه وخياله طريقته التى تعتمد على تجديد المعنى أكثر مما تعتمد على تسهيل العبارة ، واستكثر من الأمثال والحكم ، واستدل بالأدلة العقلية وأغرم بالكنايات والاستعارات الخفية والصور الغريبة مما أدى به حيناً إلى التعقيد ، وعنى بالمحسنات البديعية من جناس وطباق وغيرهما وقد كانت قيوداً على شعره أثقلته .

وقد نظم أبو تمام الشعر فى كل أغراضه فأجاد ، وكان أكثر إجادة فى مدائحه ومراثيه حتى قال البحترى عنه إنه مداحة نواحة .

وقد جمع أبو تمام مختارات من الشعر لشعراء القبائل وشعراء المحدثين ، وأشهر مختاراته « كتاب الحماسة » .

وقد تناول أبا تمام وشعره بالشرح والنقد كثيرون ولا يزال شعره فى حاجة إلى مزيد من شرح ونقد[2] .

---

(١) من حديث الشعر والنثر ط ١٠ سنة ١٩٦٩ ص ١٣٠ .

(٢) آخر دراسة ظهرت فى ذلك كتاب للدكتور عبـــده بدوى ـ انظر عرضا له فى مجلة الثقافة ع ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٥ .

وفى ترجمة أبى تمام راجع الوسيط فى الأدب العربى ، ودوائر المعارف والموسوعات العربية ، ومن حديث الشعر والنثر لطه حسين ، وشرح الخطيب التبريزى لديوانه ، والأغانى ج ١٦ ، ومعاهد التنصيص ج ١ .

الغرض الذى قيل فيه النص والتعليق عليـــه :

النص الذى بين أيدينا لأبى تمام قاله فى مدح الخليفة المعتصم العباسى ولـكنه قدم له بمقدمة طويلة فى وصف الطبيعة فى فصل الربيع ، وهذه المقدمة الوصفية هى موضع دراستنا فى هذا النص .

والوصف باب واسع وهام من أبواب الشعر العربى لازمه فى كل العصور فالشعراء لابد أن يصفوا البيئة التى يعيشون فى ظلها مهما تكن . . لابد أن يصفوا الطبيعة حية وساكنة ، ولا بد أن يصفوا إلى جوارها ما يستحدثه الإنسان من مستلزمات الحياة ومطالب العيش والرفاهية ، ولذلك وصف شعراء العصر الجاهلى والعصر الإسلامى والأموى بيئتهم التى عاشوها فوصفوا الطبيعة الساكنة كالصحراء والجبال والرمال والطبيعة الحية المتحركة كالإبل والخيل والحمير الوحشية والنعـام والغزلان بكثرة ، ووصفوا الأشياء المصنوعة بقـلة .

وكلما ارتقت البيئة واتسعت الحضارة وانتشرت العـــلوم ، عظم شأن الوصف وانتقل من السذاجة إلى التأنق والافتنان فى المعنى والخيال والأسلوب وتعددت موضوعاته وهذا ما حدث فى العصر العباسى فقد تميز الوصف فيه بالدقة واستفراغ صفات الموصوف وإحكام الفـكرة وبلوغ النهاية فى التدقيق ، وكل ذلك جديد لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه وشعراؤه ، إنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحـكمية ، كما أن السجع والتنميق اللفظى وآثار الصنعة فى الوصف وغيره من الأمور التى طرأت على العربية من العصر الجاهلى وصدر الإسلام .

لقد تميز العصر العباسى فى باب الوصف بالابداع والاتساع والشمول لأن العباسيين قد وصفوا ما وصف القدماء وزادوا عليهم وأتوا فى الوصف بما لم يأت به بل وما لا يأتى به الوصافون من قدامى ومحدثين ،

وصف العباسيون الأطلال جرياً على عادة الشعراء القدماء وهذا تقليد منهم مقصود وطريف ، ولـكنهم عنوا أشد العناية بوصف ذخائر الحياة الرغدة الرخية وآثار الحضارة ودلائل النعمة . فوصفوا القصور وفخامتها كما فعل البحترى فى

وصف قصر المتوكل على الله وقصر المعتز بالله ، ووصفوا المدن الناشئة وعظمتها كما فعل الصنبورى فى مدينة حلب .

ووصفوا الطبيعة بكل مظاهرها وصفاً بالغ الابداع .

وأغرقوا فى وصف الخمر وسقاته وندمائه ومجالسه ، وقد ذاعت شهرة أبى نواس فى ذلك ، ووصفوا المعارك والحروب والفتوحات ، ولأبى تمام قصيدة عبقرية فى ذلك هى قصيدته فى فتح عمورية التى مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

وقد أفاض العباسيون فى الوصف حتى لقد وصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم من المناظر وما تراقص أمام أبصارهم من المشاهدات فوصفوا الحيوان الأليف من من نوق وخيل وكلاب ، والمتوحش من أسود وفهود وذئاب ، ووصفوا الحيوان الداجن والكاسر من حمامات وديكة وصقور وعقبان ووصفوا الأسماك والبعوض والجرذان .

بل لقد وصفوا الأطعمة والمآكل فوصفوا أنواع الحلوى والقطايف والبطيخ والدجاج المطبوخ والحمل المشوى . ووصفوا كل ما فى البيت من مرآة وخاتم وسبحة وثياب ودواة وأقلام ودفاتر ومروحة ودنانير . . . إلخ .

إنهم وصفوا كل شىء فى حياتهم دقيقاً أو جليلا حقيراً أو خطيراً ، ولكن العجيب والغريب أنهم حينما وصفوا كل ذلك وصفوه فى قالب من الشعر متقن دقيق وفى إطار من الفن جميل رقيق .

وإذا أردت أن تستمع وتستمتع بنموذج واحد فى ذلك . فاستمع واستمتع بابن الرومى وهو يصف صانع رقاق فيقول :

إن أنس لا أنس خبازاً مررت به   يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة   فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

فانظر إلى جانب دقة الوصف مقدار جماله وروعته .

ولكن وصف العباسيين للطبيعة كان لاشك أبدع وأروع وأمتع أنواع الوصف لأنهم أتوا فيه بالعجب العجاب وتعاملوا مع الطبيعة على أنها كائن حى يحس ويشعر ويتحرك ويشير ويتكلم ثم يوحى بعد ذلك بما يوحى مما يوقظ الأحاسيس البليدة ويحى الضمائر الميتة ويدخل البهجة على نفوس البائسين والمحزونين وقد استقصوا فى وصفهم كل مظاهر الطبيعة من سماء ورعد وبرق ، ومن سحاب ومطر وجداول وأنهار وبحيرات وبرك ، ومن ليل ونجوم وأفلاك ، ومن بساتين وأزهار ورياض وثمار .

ومن أحسن شعراء هذا الباب الصنوبرى الذى دعاه مؤرخو الأدب بشاعر الرياض ، وسموا الفن الذى حلق فيه الروضيات ، وديوانه بستان تتمايل أغصانه بالثمر وتهتز نباتاته بالنور والزهر[1] .

ولقد خاض أبو تمام باب الوصف فيما خاض فيه من أغراض ، فأجاد فيه وأبدع ، وآية إجادته وإبداعه فيه هذه القصيدة التى نحن بصددها .

لقد أنشأ أبو تمام قصيدته فى مدح الخليفة المعتصم . ولكنه لم يشأ أن يفتح الباب إلى مدح الخليفة قبل أن يطرقه طرقات متتالية حتى لا يهجم على السامعين إلا بعد أن يكون قد ضمن نشاط أذهانهم وأسماعهم لتلقى هـــذا المديح . فالمدح أمر خاص بالممدوح قد لايهم الكثيرين غيره . بل لعل بعض السامعين يكونون فى موقف عدائى مع هذا المديح لأنهم فى موقف عدائى مع هذا الممدوح . فيكون التهدى للمديح بما لايعارضه السامعون والقراء من بعدهم من الأمور المستحبة بل لعله يصبح من الأمور الواجبة فى ذلك الزمان الذى تقال فيه القصيدة وفيما يتلوه من أزمان .

فالشاعر حين يبدأ قصيدته بالوصف يقصد بذكاء وبراعة إلى تحقيق هدفين الأول : يقصد إلى تنشيط السامعين والقارئين لسماع ولقراءة ما يريد أن يقدمه إليهم من أخبار الممدوح وصفاته ، وفى تنشيطهم لذلك ما ييسر على الشاعر إقناعهم بوجهة نظره فى الممدوح .

---

(١) من فنون الأدب العربى : الوصف ص ٧٤ .

والهدف الثانى : أنه يقصد لشعره أن يكون أسير فى البلاد ، وأخلد على طريق الحياة، لأنه إذا لم يكن فيه إلا مايصف به شخصاً معيناً مهما يكن شأنه وأمره ، فلعله لا يشيع فى الناس إلا بمقدار ما تبقى مناسبته التى قيل فيها حية ، وفى نطاق الجماعة الموالية للممدح لاغير ، ثم لعله لا يبقى بعد أن ينتهى ذلك الزمان إلا كوثيقة تاريخية يكون الشك فيها أكثر من الثقة بها .

ولذلك فقد استفرغ الشاعر فى هذه القصيدة جهده فى وصف الطبيعة وجمالها فى فصل الربيع تحقيقاً لذينك الهدفين، فقد جعل وصف الطبيعة فىالقصيدة يستغرق أكثر من ثلثيها فالقصيدة تتألف من اثنين وثلاثين بيتاً كان حظ الوصف فيها اثنين وعشرين وحظ المدح عشرة فقط وها هى ذى أبيات المدح :

يقول أبو تمام بعد أن مهد للمدح بالشطر الأخير فى البيت الثانى والعشرين :

فى الأرض من عدل الإمام وجوده	ومن النبات الغض سُرْج تزهَر
تُنسى الرياض ، وما يروِّض فعلهُ	أبداً على مَرِّ الليالى يذكر
إن الخليفة حين يُظلِم حادث	عين الهدى وله الخلافة مَحْجر
كَثُرت به حركاتُها ولقد تُرى	من فترة وكأنها تتفكر
ما زلت أعلم أن عقدة أمرها	فى كفه مذ خُليت تتخير
سكن الزمان فلا يد مذمومة	للحادثات ولا سَوام يُذعر
نظم البلاد فأصبحت وكأنها	عقد كأن العدل فيه جوهر
لم يبق مَبْدَى موحِشٌ إلا ارتوى	من ذكره فكأنه هو محضر
ملك يضل الفخر فى أيامه	ويقل فى نفحاته ما يكثر
فليعسُرن على الليالى بعده	أن يبتلى بصروفهن المُعْسِر

والقصيدة مهرجان للطبيعة فى فصل الربيع يصوره الشاعر فى لوحة فنية رائعة تتكامل فيها كل مقومات الفن من الصورة واللون والحركة ، إنها لوحة تفوح منها رائحة العطر وتلوح فيها ألوان الزهر ، تتحرك على أرضها مياه المطر ، وتسرى فى خلالها نسمات الربيع .

إننا نسمع الصوت فى هذه اللوحة الحية حين يقول إن الشتاء كم آسى البلاد بنفسه أو إن السحاب أتى الثرى — إذا دهن بالندى — معذراً أى مقدماً عذره إليه، وإننا نرى الألوان المختلفة — بيضاء وحمراء وصفراء حين يذكر الشاعر النهار المشمس والليل المقمر وزهر الربى والنور والدرر وعصب اليمن الصفراء وعصب مضر الحمـــراء .

ثم إننا لنحس بالحركة تسرى فى جسم هذه اللوحة العظيمة حين نشاهد حواشى الدهر تتمرمر والثرى فى حليه يتكسر والشتاء بكفه يغرس الشجر وحين نلمح الوبل يتفجر والعين تتحدر ، والزهور كالعـــذراء تبدو وتتخضر .

وعلى صفحة هذه الصورة العامة التى صور الشاعر بها الحياة فى فصل الربيع تبدو صورة جزئية متضافرة لبث الحياة والحركة فى اللوحة كلها وتتمثل فى الاستعارات والتشبيهات الكثيرة فى القصيدة : كحواشى الدهر التى رقت ، ويد الشتاء التى لا تكفر ولم الثرى التى أدهنت ، والسحاب الذى أتى معذراً ، والنهار المشمس الذى شابه زهر الربى فأصبح كأنه ليل مقمر : . إلى آخره .

ولكن كان أبو تمام موفقاً فى اختيار ألفاظه وتعبيراته فى هذه الوصفية ، فهى تجمع إلى الرقة ، الدقة والقوة ، وكم كان رائعاً ورقيقاً فى أول عبارة نطق بها حين قال «رقت حواشى الدهر» وما أمتعنا به حين نسمعه يقول :

مطر يذوب الصحو منه وبعده	صحو يكاد من الغضارة يقطر
ثم : وندى إذا أدهنت به لمم الثرى	خلت السحاب أتاه وهو معذر
ثم : يا صاحبي تقصيـــا نظريكما	تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهـــاراً مشمساً قد شابه	زهـــر الربى فكأنما هو مقمر
ثم : دنيا معاش الورى حتى إذا	حل الربيع فإنمـــا هى منظر

وانظر إلى جمال سكوته فى وصف الدنيا إذا حل بها الربيع عند قوله فإنما هى منظر ! وما يوحى به لفظ (منظر) من تصورات شتى لجمال الحياة والناس والأشياء فى الربيع !! وقد وسع الشاعر دائرة الإيحاء لهذه اللفظة حين ذكرها منكرة غير متلوة بوصف وفى أسلوب قصر أى أن الدنيا لم تعد شيئاً إلا كونها منظراً ، فأى منظر هذا الذى لا تكون الدنيا إلا إياه ؟ إنه لا شك منظراً رائع وبديع طولا وعرضاً وعمقاً وتنوعا !!

وأما الحلى اللفظية التى اشتهر بها أبو تمام ، وعد من مبتكريها والمبدين للاهتمام بها فى أدبنا العربى . فقد ألم ببعضها فى قصيدته ليستكمل بها عناصر التجميل فى القصيدة .

وإذا كانت الحلى اللفظية لاتقع فى أغراض الشعر كلها إذا تكلفت موقع القبول . فلعلها إذا تكلفت فى الوصف يكون الوصف عذراً لها ، ومع ذلك فقد اختارها أبو تمام فى وصفه هنا اختياراً موفقاً لاتعمل فيه ولا تكلف ، فزاد بهاء القصيدة بها بهاء ورواءها رواء ، وقد أكثر فيها من الطباق وأتى فيها ببعض الجناس بقوله : ظاهر ومضمر ، ومشمس ومقمر . ومعاش ومنظر . ونور تكاد له القلوب تنور وقوله : تبدو وتخضر ، وما عاد أصفر بعد إذ هو أخضر .. الخ .

وقد جمع أبو تمام فى موضوعه حشداً من الأفكار والمعانى بل لقد حشد أكثر ما يخطر على البال فى هذا الموضوع من الأفكار والمعانى . وهذه خاصية أدب هذا العصر التى تعلمها من نظره واطلاعه على علوم الفرس واليونان ، وهى خاصية الاستقراء والتقصى واستفراغ صفات الموصوف وبلوغ النهاية فى التدقيق ، ثم أن أبا تمام قد رتب هذه الأفكار ترتيباً منطقياً فبدأ بالحديث فى سبعة الأبيات الأولى عن مصدر هذا الربيع وهو الشتاء ودوره وفضله . ثم تحدث حتى نهاية أبيات الوصف عن الربيع الجديد الذى يوافق العام التاسع عشر بعد المائتين من الهجرة . وهو فى فكرتيه الرئيسيتين ، وما يتخللهما من معان يحلل ويعلل ويفصل وهذا كذلك أثر من آثار الثقافة الأجنبية التى ظهرت فى أدب العصر نثره وشعره لا فى شعر الوصف خاصة .

ونحن نلاحظ أن أبا تمام قد تهدى إلى مدح الخليفة بعد ذلك بانتقال طبيعى رائع غير مفاجئ ، فهو يختم الوصف باستخلاص الحكم منه وبيان أن هذه الروعة كلها فى فصل الربيع الجديد ما كانت لتحدث لو لم يكن مهندسها هو الله الصانع القادر الحكيم ، وأن ما يتصف به الربيع من ذلك الجمال الآسر الساحر ، وما يشيعه فى النـاس من السرور ليشبه ما يتحلى به الخليفة من الخلق الكريم وما يشيعه فى الناس من الهدى والخير .

ولا نكاد نلحظ فى لفظ الشاعر ومعناه ملاحظ نأخذها عليه سوى أن بعض لفظه المروى عنه ثقيل وغريب كقوله فيما روى عنه فى البيت الرابع من أنه قال : « وبله مثعنجر »[١] . وقوله فى البيت الثامن « حقاً لهنك للربيع الأزهر » ، كما أن بعض معناه غير جيد لأنه لا يناسب المقام ، فاختياره لمعنى تحدر دمع العين فى البيت الخامس عشر للتشبيه رقرقة قطرات الندى بين أوراق الزهر به قد لا يكون مناسباً لأن رقرقة قطرات الندى موقف يوحى بالبهجة ويدعو إلى الانشراح ولكن تحدر الدمع موقف حزن غالباً واكتئاب .

---

(١) هكذا فى الديوان ، وما ذكرناه من لفظ (متفجر) هو ما جاء فى معاهد التنصيص ـ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

٢ ـ من شعر الرثاء

قصيدة ابن الرومي في رثاء إبنه محمد

بكاؤكما(١) يَشفي وإن كان لا يُجدي ... فجودا فقد أَوْدَى نظيرُكما عندي

ألا قاتل الله المنايا ورميها ... من القوم حباتِ القلوب على عَمْد

توخى(٢) حِمامُ الموت أوسطَ صبيتي ... فلِلَّهِ ، كيف اختار واسطةَ العِقد

على حين شِمتُ(٣) الخيرَ من لمحاته ... وآنست من أفعاله آيةَ الرشد

طواه الردى عنى فأضحى مزارُه ... بعيداً على قرب(٤) ، قريباً على بعد

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها ... وأخلفت الآمال ما كان من وعد

لقد قل بين المَهْدِ واللَّحْدِ لُبثُهُ ... فلم يَنسَ عهدَ المهد إذ ضُمَّ في اللَّحْدِ

ألح عليه النَّزْف حتى أحاله ... إلى صُفرة الجادِيّ(٥) عن حُمرة الورد

وظل على الأيدي تساقَطُ نفسُه ... تساقطَ در من نظام بلا عِقْدِ

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ... ولو أنه أقسى من الحَجَر الصَّلْد

---

(١) بكاؤكما : الخطاب لعينيه · ولا يجدى : لا ينفع ، وأودى : أهلك

(٢) توخى : تحرى ·

(٣) شمت الخير : توقعته ·

(٤) يريد بالقرب : قرب المكان ، وبالبعد : بعد البقاء ·

(٥) الجادى : الزعفران ، وهو أصفر يقول : ان النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران ·

وما سرني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

ولا بعته طوعاً ولكن غصبته وليس على ظلم الحوادث من مُعْد[٦]

وإني وإن مُتِّعْتُ بابنيَّ بعده لذاكره ماحنّت النيبُ في نجد[٧]

وأولادنا مثل الجوارح[٨] أيّها فقدناه، كان الفاجعَ البيِّنَ الفقد

لكلٍّ مكانٌ لا يَسُدّ اختلالَه مكانُ أخيه من جزوعٍ ولا جَلْد

هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

لعمري لقد حالت بيَ الحال بعده فياليت شعري كيف حالت به بعدي

ثكلتُ سروري كلّه إذ ثكلته وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

أريحانةَ العينين والأنف والحشا

ألاليت شعري هل تغيرت عن عهدي؟!

سأسقيك ماء العين ما أسعدَتْ به

وإن كانت السُّقْيا من الدمع لا تُجْدِي[٩]

أعينيَّ جودا لي فقد جُدْت للثرى بأنفَسَ مما تسألانِ من الرِّفد[١٠]

---

(٦) معد : من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول : ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٧) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٨) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٩) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(١٠) الرفد : العطاء والصلة .

كأنى ما استمتعت منك بضمة ولا شمة فى ملعب لك أو مهد

ألام لما أبدى عليك من الأسى وإنى لأخفى منك أضعاف ما أبدى

« محمد » ما شىء توهم سلوة لقلبى إلا زاد قلبى من الوجد

أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للأحزان أورى من الزند

إذا لعبا فى ملعب لك لذعا فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد

فما منهما لى سلوة بل حزازة يهيجانها دونى وأشقى بها وحدى

وأنت إذا أفردت فى دار وحشة فإنى بدار الأنس فى وحشة الفرد

عليك سلام الله منى تحية ومن كل غيث صادق البرق والرعد

ترجمة الشاعر

ولد أبو الحسن على بن العباس الرومى مولى بنى العباس ببغداد سنة ٢٢١ هـ ، وعاش فيها متأثراً بمزاجه اليونانى ، وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة فى بلاد العرب من حيث الابتكار والتنسيق المنطقى والاستقصاء فى أسلوب جزل متين . وكان كثير التطير حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا إليه من يتطير من إسمه فلا يخرج من بيته ويمتنع من التصرف سائر يومه . وكان شديد الهجاء حتى كان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجاؤه . فقيل أنه دس عليه من أطعمه خشكنانة (بسكويت) فأكلها فمات ، وقيل أنه مرض ووصف له الطبيب دواء فى تركيبه سم فزاد فى مقدار ما يتعاطاه منه فمات .

ومما يؤكد الرواية الأخيرة ما روى عنه من قوله وهو يجود بنفسه :

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الإصدار

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار

وكان موته ببغداد سنة ٢٨٣ هـ

ولقد أجاد ابن الرومى نظم الشعر فى كل أغراضه ولاسيما الوصف والهجاء ، ولئن قصر عن درجة البحترى فربما فاقه فى اختراع المعانى الجديدة أو توليدها من من معان قديمة وصاغها فى أسلوب جديد . وكان لايزال يستقصى المعانى ويصرفها فى وجوهها المختلفة حتى لايدع فيها وجهاً للقول أو زيادة عليه .

وكفاه فخراً أن كان المتنبى من رواته والحافظين عنه .

ومن بديع شعره قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنـــواله وأطال فيـــه فقد أطال هجاءه
لو لم يقدر فيه بعـــد المستقى عنـد الورود لمـا أطـال رشاءه

وقوله مادحاً :

فلو كان غيثاً لعم البلاد ولو كان سيفاً لـكان الأجل
ولو كان يعطى على قدره لأغنى النفوس وأغنى الأمل

الغرض الذى قيل فيه النص والتعليق عليه :

الرثاء هو مدح الموتى ولذلك يقول قدامة بن جعفر « إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلى أن يذكر فى اللفظ مايدل على أنه لهالك » .

ولعل باب الرثاء يكون أصل أبواب الشعر وأحفلها بالعاطفة الحقيقية . وإذا كان هناك باب آخر فى أبواب الشعر يشاركه ذلك المعنى ، فلعله يكون باب الغزل لأنه إذا كان الرثاء تعبيراً عن حب مفقود فالغزل تعبير عن حب قائم وموجود ، وكلا الحبين فى الرثاء والغزل دافعه فى غالب الأحيان ، دافع داخلى مكين .

ولأن غرض الرثاء غرض حقيقى وأصيل من أغراض الشعر فى أكثر ماينظم فيه ، فإننا لانكاد نجد شاعراً لم ينظم شعراً فى الرثاء لأنه مامن شاعر بل مامن إنسان

إلا وقد نزلت به مصيبة فى أحد أقربائه أو أحد أصحابه وأعزائه

وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهيــة تصفر منه الأنامل

ولا نكاد نجد شاعراً لم يكن رثاؤه من أقوى مانظم من الشعر صدق لهجة وقوة عاطفة ورسوخ معنى وسلاسة أسلوب .

ولئن كان الرثاء أمراً طبيعياً لأنه الحزن عند الفقد لا يمكن مغالبته وهو الذى يفجر العاطفة ، والعاطفة هى التى تذكى الشعور وتنطق بالشعر ، فإن الميـــل إلى التحزن والرثاء على درجات بين الناس أفراداً وجماعات ، ولعـــل تقسيم الناس فى أمزجتهم إلى سوداويين وغـــيرهم أو تقسيمهم إلى منقبضين أو منبسطين يجىء من هذه الناحية .

ومعروف أن العبرانيين هم أبكى الناس ، حتى إن الرثاء من الصفات المميزة لأشعارهم . ولبعض الأمم عادات فى الرثاء ، كأمة العرب فى قديم ، فقد كانوا يرثون من يموت حتف أنفه أو من يقتل فى غير حرب ، ولـكنهم ما كانوا يرثون قتلى الحروب لأنهم ماخرجوا إلا ليقتلوا ، فإذا ما بكوهم كان ذلك هجاء لهم .

ومن الرثاء ما يقال على الوفاء فيقضى به الشاعر حقوقاً عليه سلفت ، ومنه مايقال على الطبيعة وذلك حين يفجع الشاعر فى بعض أهله . ولعل مايقال على الطبيعة يكون أصدق عاطفة لأن المصيبة فيه أشد والحزن أعمق .

ومرثية ابن الرومى التى بين أيدينا ، لاتأتى قوتها وعظمتها من أنها قصيدة رثاء فحسب أو من أنها قصيدة شاعر مشهود له بعلو المكانة بين شعراء العربية . . ولـكن تأتى قوتها وعظمتها من ذينك السببين ومن أنها على الأخص رثاء يجىء على الطبيعة فهى رثاء ذلك الشاعر العظيم فى ابنه وفلذة كبده .

والذى يقرأ القصيدة ، ولو لم يكن أباً — لايملك نفسه من الجزع بل لا يملك عنه من أن تسح الدمع ولو كانت موصوفة بالجمود، فقد استطاع ابن الرومى أن يعبر فى صدق وإخلاص عن مقدار ما نزل به وما خسره بفقد ابنه .

والقصيدة تجرى أفكارها فى تتابع وترابط شديدين فـكأنها القصة يأخذ بعضها

بعناق بعض ، فقد بدأ الشاعر يصف مصابه الجلل ، فبين قيمة ذلك الابن الذى فقده ولماذا استحق منه الجزع والبكاء بل اليأس من حياة بعده هانئة ، والذى يقرأ الأبيات الخمسة الأولى التى ضمنها هذه الفكرة ، لا يحكم بأن من حق الشاعر أن يجزع لمصيبته ، بل يجزم بأن من واجب القارىء كذلك أن يشاركه هذا الجزع ، فقد استطاع إذن منذ هذه الأبيات الأولى فى مطلع القصيدة أن يعقد آصرة قوية ومشاركة وجدانية بينه وبين سامعه أو قارئه : وقد ضمن فكرته هذه الأولى معانى مؤثرة شجية ؛ فذكر أن واجباً على عينيه أن تبكيا لأن ابنه وهو نظيرهما عنده هلك ، وأن الموت قد رمى حبة قلبه باختياره . واختار به واسطة العقد فى أولاده ، وآثر من كانت تبدو عليه مخايل النجابة والخير ، فأصبح بعيداً عن ناظريه وإن بقى قريباً من فكره وقلبه .

وبعد أن يعرف الشاعر بابنه من هو وما قيمته عنده، يأخذ فى وصف الحال التى كان عليها ذلك الوليد حين ألم به الموت فى خمسة الأبيات التالية فربما كانت حكاية ما حدث ونقله إلى الآخرين تخفيفاً لثقل الهم على قلبه بتوزيعه على الناس ، وإثباتاً للناس فى الوقت نفسه بأن له العذر إذا اشتد به الحزن ولم يطق على الفراق صبراً ، فذكر أن الموت حقق وعيده فيه ، وأضاع ما كان يؤمل منه ، فاختطفه صغيراً غير تارك إلا مسافة قصيرة بين مهده ولحده حين أصابه بنزيف حاد مازال به حتى أحال احمرار الورد إلى اصفرار شديد يشبه اصفرار الزعفران وما زال عوده الأخضر يذوى ونفسه تتساقط قطرة قطرة بين يديه حتى فاضت روحه .

فهل يمكن أن ينسى أو هل تسهل التعزية فى ذلك الابن الذى كانت له تلك المكانة عنده وقد بدت عليه سيماء النجابة ثم مات على هذه الصورة ؟! كلا ! !

وهكذا ينتقل الشاعر طبيعياً إلى الفكرة الثالثة من أفكاره فى القصيدة فيبين أثر موت ابنه فى نفسه وأنه يعز على النسيان بل على التسلية والتعزية فيه ، لأن ما يعزى به فيه مهما يكن أمره لا ينفعه بل قد يزيده أسى عليه وحسرة . وهنا كان لابد أن يطيل الشاعر الحديث ويفصل فيه لأنه لابد أن يفسر ويفصل الأسباب التى تجعله مقتنعاً بعظم المصيبة غير مقتنع بإمكان العزاء فيها بل وواثق أن بعض ما يعزى به ينكأ الجرح ويدمى القلب. ففى الأبيات التسعة من الحادى عشر إلى التاسع عشر يقول أنه يعجب أن لم ينشق قلبه حزناً على ابنه حتى لو كان قلبه أقسى من الحجر الصلد لأن

الثواب الذى ناله بموته وهو الجنة لايعدله ، ولأن الزمان قد اغتصبه ظلماً ولا حيلة له على ظلم الزمان ، ولأنه لاغناء عنه بأولاده ، فالأولاد كالجوارح لاتغنى جارحة منها عن جارحة ، فلا يغنى البصر عن السمع كما لا يغنى السمع عن البصر . وما دام لاشىء يغنى عن ابنه أو يعزى فيه ، فإن حاله من بعده لابد أن تتحول فينتهى به عهد السرور ويبدأ عهد الزهد فى متاع الحياة . وفى الأبيات الأحد عشر الأخيرة يذكر مع ابنه عهداً سلف وحياة تقضت ويدعو عينيه أن تجودا بالدمع عليه لجودهما بالدمع أهون من جوده للثرى بحبيبه ، ثم يتحسر على انقضاء متعته به ضماً وشماً ويعلن أن ما يخفيه من الحزن عليه أضعاف مايبديه منه وأن ما قد يتوهم من وسائل السلو يزيد قلبـــه وجداً على وجد فأخواه الباقيان حين يلعبان حيث كان يلعب ، يلذعان قلبه ويهيجان عواطفه ولذلك فإنه يحس بالوحشة وهو بين الناس قدر ما يحس بها ابنه فى قبره .

وإذا كان لايملك من أمر ابنه والناس والحياة شيئاً وقد يئس من كل شىء فإنه يتوجه إلى ابنه فى قبره بالتحية وإلى الله بالدعاء أن يسكب عليه شآبيب رحمته .

والقصيدة بعد هذه الأفكار والمعانى التى يتضح فيهـا الترتيب الطبيعى للأفكار والعمق والاستقصاء والتحليل والتعليل للمعانى ، القصيدة بعد ذلك ألفاظ رقيقة دقيقة معبرة وعاطفة مشبوبة متقدة ، وتصوير محكم رائع ، وبنظرة سريعة عابرة يمكن التعرف على ذلك كله فى مواضعه .

والقصيدة بهذه الأفكار والمعانى وبهذه الألفاظ والعاطفة والتصوير تحفة فنية ثمينة خالدة على مر العصور والأزمان .

٣ — من شعر المديح

قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة الحمداني ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ٣٤٣ ﻫ .

١ — على قَدْرِ أهل العزم تأتى العزائمُ ... وتأتى على قدر الكرام المكارمُ

٢ — وتعظُمُ فى عين الصغير صغارُها ... وتصغُرُ فى عين العظيم العظائم

٣ — يُكلِّفُ سيفُ الدولة الجيش همَّه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

٤ — ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدّعيه الضراغم

٥ — يفدِّى أتمُّ الطير عمراً سلاحَه ... نسورُ المَلاَ أحداثُها والقشاعم

٦ — وما ضَرَّها خلقٌ بغير مخالبٍ ... وقد خُلقت أسيافُه والقوائم

٧ — هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أىُّ الساقيين الغمائم

٨ — سقتها الغمامُ الغُرُّ قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم

٩ — بناها فأعلى والقنا يَقْرع القنا ... وموجُ المنايا حولها متلاطم

١٠ — وكان بها مثلُ الجُنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم

١١ — طريدةُ دهر ساقها فرددتَها ... على الدين بالخَطِّىِّ والدهر راغم

١٢ — تفيت الليالى كلَّ شىء أخذتَه ... وهُنَّ لما يأخذن منك غوارم

١٣ — إذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً ... مضى قبل أن تُلقَى عليه الجوازم

١٤ – وكيف تُرجِّى الرومُ والروس هدمَها
وَذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم ؟!

١٥ – وقدحا كموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالم

١٦ – أتوْك يجرُّون الحديد كأنهم ... سَرَوْا بجياد مالهن قوائم

١٧ – إذا بَرَقوا لم تُعْرَف البيضُ منهم ... ثيابُهُمُ من مثلها والعمائم

١٨ – خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجـوزاء منها زمازم

١٩ – تجَمَّعَ فيه كل لِسْنٍ وأمّةٍ ... فما تُفهم الحُدَّاثَ إلا التراجم

٢٠ – فللّهِ وقتٌ ذَوَّبَ الغِشَ نارُه ... فلم يبق إلا صارمٌ أوضُبارم !

٢١ – تَقَطَّعَ مالا يقطع الدرعَ والقنا ... وَفر من الأبطال من لا يصادم

٢٢ – وَقفتَ وَمافى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وَهو نائم

٢٣ – تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمة ... وَوَجهك وَضَّاحٌ وَثغرك باسم

٢٤ – تجاوزت مقدار الشجاعة وَالنُّهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

٢٥ – ضممتَ جناحيهم على القلب ضمةً ... تموت الخوافى تحتها وَالقوادم

٢٦ – بضربٍ أتى الهاماتِ وَالنصرُ غائبٌ
وَصار إلى اللَّبات وَالنصرُ قادم

٢٧ – حقرتَ الردينيات حتى طرحتها ... وَحتى كأن السيف للرمح شاتم

٢٨ — وَمن طلب الفتحَ الجليل فإنما مفاتيحُه البيض الخفاف الصوارم

٢٩ — نثرتَهم فَوْقَ الأُحَيْدَبِ كلِّهِ كما نُثِرَتْ فوق العروس الدَّراهِم

٣٠ — تدوس بك الخيل الوُكورَ على الذُّرى وَقد كثرت حول الوُكور المطاعم

٣١ — تَظُن فراخ الفُتْخِ أنك زرتها بأُمَّاتها وَهي العِتاق الصلادم

٣٢ — إذا زلِقت مشَّيْتَها ببطونها كما تتمشى فى الصَّعيد الأراقم

٣٣ — أفى كلِّ يَوْمٍ ذا الدُّمُسْتُقِ مُقْدِمٌ قفاه عَلَى الإقدام للوجه لائم

٣٤ — أيُنكِر ريح الليث حتى يذوقه وقد عَرَفَت ريح الليوث البهائم

٣٥ — وَقد فَجَعَتْهُ بابنِهِ وَابن صهره وَ بالصهر حَمْلات الأمير الغواشم

٣٦ — مضى يشكر الأصحاب فى فوْته الظُّبا بما شغلتها هامُهمْ وَالمعاصم

٣٧ — وَيفهم صوت المَشْرفيَّة فيهم عَلَى أنَّ أصوات السيوف أعاجم

٣٨ — يُسَرُّ بما أعطاك لا عن جهالة ولـكن مغنوماً نجا منك غانم

٣٩ — وَلستَ مليكا هازماً لِنَظِيرِهِ وَلـكنكَ التوحيد للشرك هازم

٤٠ — تَشَرَّفُ عدنانٌ به لا ربيعة وَتفتخِر الدنيا به لا العواصم

٤١ — لك الحمد فى الدُّرِّ الَّذِى لىَ لفظه فإنك معطيه وإنىَ ناظم

٤٢ — وإنى لتعدو بى عطاياك فى الوغَى فلا أنا مذمومٌ ولا أنت نادم

٤٣ — عَلَى كل طَيَّارٍ إليها برجله إذا وَقعت فى مَسمعَيه الغماغم

٤٤ — ألا أيُّها السيف الذى ليس مُغمَدًا ولا فيه مرتابٌ ولا منه عاصم

٤٥ — هنيئاً لضَرْبِ الهام والمجد والعلا وراجيك والإسلام أنك سالم

٤٦ — ولِمْ لا يَقى الإسْلَام حَدَّيْكَ ماوقَى وتَفْلِيقهُ هَامَ العِدَا بِكَ دَائم؟!

شرح المفردات ومعانى الأبيات(١)

١ — العزم : الجد وما تعقد عليه قلبك أنك فاعله . والعزائم جمع عزيمة وهى ما يعزم عليه من الأمور . والمكارم : جمع مكرمة وهى فعل الكرم . يقول : إن العزائم تكون على قدر أصحابها ، فمن كان قوى العـــزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيماً ، وكذلك المكارم تكون على قدر أهلها ، فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم ، فالرجال قوالب الأحوال فإذا كبروا كبرت وإذا صغروا صغرت .

٢ — الضمير فى (صغارها) يعود على العزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة فى عين صغير القدر وعظامها صغيرة فى عين عظيم القدر . يشير بذلك إلى همة سيف الدولة التى ظهرت فى وقعته مع الروم تلك التى قيلت القصيدة لمناسبتها .

٣ — الهم : الهمة ، وما هممت به من أمر لتفعله . والخضارم جمع خضرم وهو الكثير العظيم من كل شىء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقدم ما تقتضيه همته من الغارات ، وقد عجزت الجيوش العظيمة عنه ، لأن ما تقتضيه همته ليس فى طاقة البشر .

٤ — الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله فى الشجاعة وذلك مالا تدعيه الأسود فكيف بالبشر ؟!

---

(١) أخذا من شرح عبـــد الرحمن البرقوقى لديوان المتنبى بتصرف (ج ٤ ص ١٢٢ / ١٤٠ ط ٢ سنة ١٩٣٨) .

٥ — نسور : بدل من أتم الطير ، وأحداثها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور والملا : الفلاة والصحراء ، والأحداث : الشابة ، جمع حدث ، والقشاعم : الطويلات العمر ، يقول إن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مئونة طلب الأقوات لكثرة القتلى فى وقائعه .

٦ — «ما» حرف نفى أو استفهام إنكارى ، وخلق مصدر ، والمخالب جمع مخلب وهو لسباع الطير كالظفر للانسان ، والقوائم جمع قائم وهو قائم السيف أى مقبضه. يقول : ليس يضر أحداث النسور أى أفراخها والقشاعم منها وهى المسنة ، — وخصهما لعجزهما عن طلب الرزق — أن لايكون لها مخالب قوية بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فهى تكفيها قوتها . أو المعنى على أن «ما» للاستفهام . الإنكارى ما ضرها لو خلقت بغير مخالب ؟

٧ — الحدث : هى القلعة التى بناها سيف الدولة فى بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم الذين تحصنوا بها فقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم. يقول هل تعرف هذه القلعة لونها الحقيقى ؟ أى لأنه غير لونها بالدم ، وهل تعلم أى الساقيين لها أحق بأن يسمى بالغمائم : جماجم الروم التى سقتها بالدم أم السحائب التى سقتها بالمطر لأنها استويا فى السقيا ؟ !

٨ — الغمام : جمع غمامة . والغر : البيض .

٩ — فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم والمنايا محدقة بالمتحاربين .

١٠ — التمائم : جمع تميمة وهى العوذة يتوقون بها من الجن. جعل اضطراب الفتنة فيها جنوناً لها وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها فلا تزال الفتنة قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وكانت جثث القتلى كالتمائم حيث أذهبت ما بها من الجنون وهو الفتنة .

١١ — الطريدة : المطرودة . وهى ما طردته من صيد أو غيره . والخطى : الرماح . وراغم : ذليل . وأصله أن يتصل الأنف بالرغام أى التراب . يقول : هذه

القلعة كالطريدة أمام الدهر إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها ورددتها على أهل الدين بالقوة فذل الدهر حين خالفته فيما أراد .

١٢ — تفيت : تحمل على الفوت . والفاعل ضمير المخاطب والليالى مفعول أول وكل شىء مفعول ثان وغوارم جمع غارمة . وغرم الدين . أداه . يقول ما أخذته من الليالى تفتيه عليها فلا تستطيع رده وما أخذته الليالى منك غرمته .

١٣ — الفعل المضارع معروف فى النحو بأنه للمستقبل . يقول إذا أردت أن تفعل فعلا فكان فعلامستقبلا مضىذلك الفعل قبلأن تدخل عليهالجوازمفيقال لاتفعل أو لتفعل، كلا تخرج إلى قتال أو تنجز الوعد لأنهيسبق نهى الناهين وأمر الآمرين أى ما ينوى فعله يعاجله قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب .

١٤ — الآساس جمع الجمع لأنه جمع أسس . وأسس جمع أساس . وهو أصل البناء وقاعدته ، والدعائم جمع دعامة وهى عماد الشىء ، وكل شىء يعتمد عليه ويتقوى به ، يقول : كيف يؤملون هدم هذه القلعة . وقد توثقت بطعنك الذى أعملته فيهم ؟ ! فهو يشبه الطعن بالآساس والدعائم حيث وثقت القلعة به ، كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

١٥ — يقول : وقد حاول الروم هدم القلعة ظلماً ، ولكن المنايا كانت القاضية التى حكمت بينها فحكمت للمظلوم وهو القلعة بالسلامة فلم تهدم وحكمت على الظالم وهو الروم بالهلاك وأبادتهم .

١٦ — السرى : سير الليل ، والجياد : الخيل . ويقول أتوك : يلبسون الحديد ولكثرته عليهم وعلى خيولهم كادت قوائم خيولهم ألا ترى فكأنها لا قوائم لها.

١٧ — البرق : اللمعان . والبيض : السيوف . وبرقوا أى الروم ، يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم تعرف الفرق بين السيوف وبينهم ، لأن ثيابهم الدروع وعمائمهم الخوذ . وقوله : أثيابهم من مثلها أى من مثل السيوف أى من الحديد .

١٨ — الخميس: الجيش العظيم وسمى خميساً لأن لهميمنة وميسرة وقلباًوجناحين وهذه خمسة ، والزحف: التقدم وأصله المشى مع تثاقل. والجوزاء: نجمان معترضان فى

جوز السماء أى وسطها . وهما من البروج والزمازم الأصوات التى لا نفهم لتداخلها، وأصل الزمزمة : صوت الرعد . وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة. يقول إن هذا الجيش لكثرته ملأ الأرض شرقاً وغرباً وبلغت أصواته السماء .

١٩ ـــ اللسن : اللغة ، واللسان أيضاً . والحداث : جمع حادث بمعنى متحدث ، ومنه قول سويد بن أبى كاهل .

يسمع الحداث قولا حسنا   لو أرادوا غيره لم يستمع

والتراجم : جمع ترجمان بفتح وضم التاء . يقول : اجتمع فى هذا الجيش أبناء كل لغة واحدة فإذا تحدثوا لم يفهم بعضهم عن بعض إلا بالتراجم .

٢٠ ـــ الغش . المراد به هنا : ضعاف الرجال والأسلحة . والعارض : السيف القاطع . والضبارم. الشجاع الجرىء ، وأصله الأسد الشديد الغليظ. يتعجب من تلك الحرب . ويقول : إن نار الحرب فى ذلك الوقت قد سبكت الرجال وأسلحتهم . فأفنت ما كان رديئاً ، ولم يبق من السيوف إلا كل سيف صارم ، ومن الرجال إلا كل رجل شجاع .

٢١ ـــ يقول : تكسر من السيوف ما ليس ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب من الأبطال الجبناء الذى لا يقدرون على المصادمة .

٢٢ ـــ الردى : الهلاك . يقول وقفت فى ساحة القتال حين لا يشك واقف فى الموت لشدة ذلك الموقف وكانت نجاتك أعجوبة حتى كأنك فى جفن الردى وهو نائم فغفل عنك بالنوم وسلمت .

٢٣ ـــ كلمة : جمع كليم بمعنى جريح : وهزيمة أى منهزمة من باب فعيل بمعنى مفعول والتاء فيه للجمع على مذهب البصريين . ووضاح : مشرق . يقول : تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين مستسلمين فلم تضعف نفسك بل كنت وضاحاً غير متخوف وبساماً غير متضجر واثقاً من الله بالنصر .

٢٤ ـــ النهى : جمع نهية هى العقل ، وإلى قول قوم : متعلق بتجاوزت ، وأنت بالغيب عالم : مفعول القول يقول : أظهرت من شجاعتك وجلدك ما تجاوزت به حد

الشجاعة والعقل إلى مايقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف العواقب قبل حلولها .
أى إنه تفوق فى شجاعته على معنى الشجاعة وبعقله على حد العقل لأن الأهوال التى اقتحمها لا تثبت أمامها شجاعة ولا ينفع فى مثلها عقل ، فكأنه كان ينظر بعين الله إلى نتائج حروبه ويطمئن على نجاته فيها وانتصاره فيظل على عادته وضاحاً بساماً .
وقد ذكر الشاعر الشجاعة مع أن العلم بالغيب قد لايقتضى الوصف بها . لأن الموقف موقف الشجاعة فناسب أن يصفه بها أو لأنه إذا عرف سيف الدولة الغيب شجع ولم يحذر الموت .

٢٥ ــ يريد بالجناحين : جانبي الجيش ميمنة وميسرة . وقد ناسب ذلك أن يجعل رجالها خوافى وقوادم . فالجناح يشتمل على القوادم قيل هى عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر . والخوافى ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى عسكر الروم على القلب فأهلكت الجميع والضمير فى (تحتها) يعود على الضمة ، أى تموت الخوافى تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

٢٦ ــ بضرب . متعلق بضممت . والهامات : الرءوس . واللبات . النحور .
يقول لقد ضربت هاماتهم بالسيوف والنصر غائب عن الجيش فما إن بلغت بضربك اللبات حتى انهزموا وتحقق لك النصر .

٢٧ ــ الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة باليمامة كانت هى وزوجها يعملان الرماح . يقول احتقرت الضرب بالرماح لأنها سلاح الجبناء الذين يحاربون من بعد فاطرحتها وآثرت عليها السيوف لأنها تقتضى الالتحام ، ولما فعلت ذلك صار كأن السيف يسب الرمح بالضعف وقلة الغناء .

٢٨ ــ البيض : السيوف . الخفاف : المرهفة . الصوارم : القواطع .
ومفاتيحه : أى مفاتيح الفتح .

٢٩ ــ الأحيدب : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقتهم ، يقول نثرت جثثهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم فوق العروس .

٣٠ ــ وكر الطائر : موضع مبيته ، والجمع وكور . والذرى : أعالى الجبال .

يقول . إنك تتبعهم بخيلك إلى ذرى الجبال حيث وكور الطيور الجارحة ، فتقتلهم هنالك فتكثر المطاعم للطيور حول الوكور .

٣١ — الفتخ : جمع فتخاء ، إناث العقبان . سميت بذلك لطول جناحها ولينه فى الطيران لأن الفتخ لين المفاصل . والأمات جمع أم لما لا يعقل وجاء فيه أمهات حملا على من يعقل . والعتاق كرام الخيل . والصلادم جمع صلدم . وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان السريعة الطيران لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها أنك زرتها بأمهاتها . أى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، وهى تظن لكثرة القتلى حول وكورها أنك زرتها بأمهاتها فأمددتها بمطاعمها وأقواتها .

٣٢ — الصعيد : وجه الأرض . والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول واصفاً صعوبة مراقى الجبال إنك إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال مشيتها على بطونها كما تمشى الحيات على بطونها فى الأرض .

٣٣ — الدمستق : صاحب جيش الروم . وأقدم : خلاف أدبر . يقول أ كل يوم يقدم عليك الدمستق ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على الاقدام قائلا له : لم أقدمت حتى عرضتنى للضرب بهزيمتك ؟ !

٣٤ — الليث : الأسد . ويذوقه معناه يجربه ويختبره . والضمير فيه لليث . يقول : لقد عرف الدمستق شجاعة سيف الدولة ، وكان عليه ألا يتقدم فينهزم لأن انهزامه من غير قتال أحزم ، والبهائم إذا شمت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم .

٣٥ — لجمه : رزأه بشىء يكرم عليه . والحملات جمع حملة والصحيح فى جمع فعلة أن يكون بحرك العين ولكن سكن هنا للضرورة . والصهر أهل بيت المرأة . والغواشم التى لا تبالى من أخذت . يقول لقد لجمته حملات سيف الدولة بكل هذه الأرزاء ، أفلا يعتبر بذلك فيكف عن العود إلى الأقدام ؟ !

٣٦ — الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف . والهام : الرءوس . والمعاجم : جمع معجم : وهو موضع السوار من الساعد ، يقول انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف انشغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه برءوسهم وأيديهم من السيوف حتى فاتها وسبقهم إلى الهزيمة .

٣٧ — المشرفية : السيوف .والمشارف: قرى من أرض اليمن، وقالوا من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها ، ولكن يقال سيف مشرفي لامشارفي لأن الجمع لاينسب إليه إذا كان على هذا الوزن ، فلا يقال جعافرى أو عباقرى بل جعفرى وعبقرى . يقول : إذا سمع الدمستق أصوات السيوف فى أصحابه علم أنها تقتلهم لجد فى الحرب على أن أصوات السيوف عجماء لا تفهم .

٣٨ — يقول : أن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأسلحته وأمتعته لا عن جهل منه بحاله وإنما عن اعتقاد منه بأن نجاته غنم له وإن غرم كل شيء بعده .

٣٩ — يقول إنك بهزيمتك للدمستق لم تكن ملكا يهزم ملكا . بل كنت التوحيد يهزم الشرك لأنك سيف الإسلام وإمام المسلمين وهو عماد الشرك وقوامه فأنت تمثل التوحيد وهو يمثل الشرك .

٤٠ — الضمير فى (به) يعود على (مليك) فى البيت السابق . وعدنان : أبو العرب . وربيعة : بطن من عدنان وهى قبيلة سيف الدولة . والعواصم بلاد قصبتها انطاكية . يقول : إن جميع العرب من أبناء عدنان يفخرون بك فلا يختص بالفخر بك رهطك من آل ربيعة وأن الدنيا كلها لا أجزاء منها محدودة تفخر بك لأنك أشرف أهل الدنيا .

٤١ — يريد بالدر . شعره . يقول . لك الحمد فى المعانى التى آخذها من أفعالك ومناقبك فتكون كالدر آخذه فأنظمه بألفاظى شعرا .

٤٢ — تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : أنى أمتطى فى الحرب خيلك التى أعطيتنيها ولا أكون مذموماً لأنى أقدم لك الشكر عليها ولا تكون أنت نادماً لأنك تجد منى الحمد لها .

٤٣ — (على كل طيار) متعلق (بتعدو) أو بـ (نادماً) فى البيت السابق أى لست نادماً على إعطائى كل فرس طيـــار ، أو متعلق بفعل محذوف تقديره أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها ، والغماغم: الأصوات المختلطة .

٤٤ — يقول : أيها السيف الذى لايغمد لأنه دائماً مجرد على أعدائه ، لا يشك فيك أحد ولا يمنع منك شيء من حصن أو حديد .

٤٥ — لتهنأ المعالى بك فأنت قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق به ، والمجد أنت أكسب له ، والعلا أنت جامع شملها ، وتحقيق الأمانى أنت أقدر عليه ، ونصر الإسلام أنت كاسبه ومحققه ، والهام : الروس . والعلا : المراتب العالية . وأنك سالم : فاعل هنيئاً .

٤٦ — (لم) استفهام أنكارى ، والميم ساكنة ضرورة ، (ما) فى (ما وقى) مصدرية ظرفية . وجملة الشطر الثانى من البيت حال من الرحمن . يقول . لماذا لا يصونك الرحمن أبدا ، وأنت سيفه الذى يفلق به هام أعدائه على الدوام ؟ !

ترجمة المتنبى

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين ، أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة المخترعة ، وهو من سلالة عربية يمنية . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ ، ونشأ بها . وكان أبوه سقاء فخرج به إلى الشام ثم انتقل هو إلى البادية ليتأدب بفصاحة أهل البدو ، وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوة فسجنه والى حمص ، ثم خرج من السجن وقد التصق به إسم المتنبى . ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة بن حمدان ، وخلده بمدائحه فيه ، وتعلم منه الفروسية ، ثم وشى به عنده ، ففارقه ، وذهب إلى مصر ، فدح كافورا الأخشيدى أمير مصر ، ثم هجاه ، وفر إلى فارس ماراً بالعراق ، فدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال الوفيرة ، فخرج عليه الأعراب فقاتلهم قتالا شديداً ثم قتلوه هو وابنه وغلامه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

وأهل الأدب على أن المتنبى فاق كل من جاء بعده من الشعراء ، وقد قال الشعر فى كل أغراضه غير أنه أجاد المدح والرثاء ووصف المعارك . وكانت الأفكار والمعانى هى أكبر همه فى شعره يصوغها بأى لفظ أو أسلوب ولذلك وقع فى شعره

التعقيد اللفظى والغرابة ، وله حكم وأمثال كثيرة سائرة لا يكاد يوجد كاتب أو شاعر لا يحفظ بعضها أو كثيراً منها .

وقصيدته التى معنا فى مدح سيف الدولة تمثل مقدرة المتنبى فى المدح أصدق تمثيل .

وللمتنبى ديوان شعر كبير شرح شروحاً عديدة .

سر شاعرية المتنبى

لاشك أن شاعرية المتنبى تلك الشاعرية الفذة لم تكن نتاج عامل واحد بل كانت نتاج عوامل كثيرة تضافرت كلها مجتمعة فى خلق هذه الشاعرية أو تلك العبقرية .

ولا شك أن أول هذه العوامل هو فطرة الشاعر واستعداده الطبيعى . فمهما يصنع إنسان لكى يكون شاعراً فإنه لا يبلغ شيئاً فى ذلك مالم تكن لديه تلك القدرة الخاصة اللغوية الأدبية الشعرية ، وذكاء قلب المتنبى ونفاذ بصيرته وحدة ذهنه كانت من غير شك من أسباب نبوغه وتفوقه ، ولئن كان المتنبى أو غيره لا دخل له فى هذا العامل لأنه غير مكسوب بل موهوب ، فإن ذلك لا ينفى أنه عامل هام بل لعله أهم العوامل فى بناء شاعرية الشاعر على أنه بطبيعة الحال لا ينفع وحده لإظهار هذه الشاعرية . بل الذى يظهرها ويظهر أثر هذا العامل فيها هو ما يضاف إليه من العوامل الأخرى التى من بينها المحصول الثقافى اللغوى الأدبى الذى يتزود به الشاعر وقد تزود المتنبى بمحصول نادر من الثقافة العربية الأصيلة والثقافات الأجنبية الطارئة من الفارسية واليونانية والهندية ، ومعروف أن المتنبى بعد أن انتقل به أبوه إلى الشام انتقل هو إلى البادية ليأخذ عن البدو الذين لم تتأثر لغتهم بالدخيل ولم يتعثر لسانهم باللحن ولم يشب أدبهم بالركاكة . . . ليأخذ عنهم لغتهم الأصيلة وقواعدهم الصحيحة وأدبهم الفصيح .

ويضاف إلى فطرة المتنبى الصافية وإلى ثقافته النادرة ذلك الجو العلمى وتلك البيئة الأدبية اللذين عاش فيهما وتنفس عبيرهما . فلقد كانت البيئة فى حلب أفضل من البيئات العربية الأخرى من حيث إنها كانت عربية خالصة طامحة إلى المجد

حانقة على الغاصبين فى مصر والعراق ، وكانت الدولة السورية ظاهرة الغنى تكسب من حرب الروم أكثر مما تنفق فيها ، وكان سيف الدولة أميراً عربياً متعصباً للعرب مبغضاً للشعوبية ، فلا غرابة أن تزدهر الحياة العقلية والأدبية حوله وأن يسرع العلماء والأدباء والشعراء إليه يلتمسون فضله فيجدون عنده فوق ما يلتمسون . تلك كانت بيئة المتنبي مع سيف الدولة وهى لاشك بيئة تذكى أوار الشاعرية فيه وتفجر ينابيع العبقرية منه .

على أن أهم الأسباب التى دفعت المتنبي إلى تجويد شعره ، صحبته لسيف الدولة ومدحه إياه .

وقد كان سيف الدولة مثقفاً ثقافة عربية ، واسعة وعميقة ، وكان يقدر أثر الحياة العقلية المزدهرة فى نشر الدعوة والإعلان عما يريد الملك من الأبهة والجلال . وقد ظهرت ثقافته فى فهمه الأدب وتذوقه إياه وقدرته على التمييز الدقيق بين صوابه وخطئه وجيده ورديئه . ومن الأمثلة التى تدلنا على ذلك موقفان لسيف الدولة فى هذه القصيدة وحدها يقف فيهما موقف الناقد للمتنبى فيوافقه المتنبى على رأيه فى فى الأول ويخالفه فى الثانى على وجاهة تغيره فى الثانى ، أما الموقف الأول فيحكيه المتنبى حين يقول : مارد على أحد شيئاً فقبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته « ومن جيف القتلى[1] » ، فقال لى « مه » قل : « ومن جثث القتلى » فقبلت وقلت كما قال لى .

وأما الموقف الثانى فحين أنشد المتنبى قصيدته وبلغ فيها البيتين اللذين يقول فيهما :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

أنكر سيف الدولة عليه تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال له « كان ينبغى أن تقول :

---

(١) انظر البيت رقم ١٠ فى القصيدة .

وقفت وما فى الموت شك لواقف   ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   كأنك فى جفن الردى وهو نائم

ثم قال وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جواداً للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل   لخيلى كرى كرة بعد إجفال

قال : « ووجه الكلام فى البيتين على ما قاله العلماء بالشعر على أن يكون عجز الأول مع الثانى وعجز الثانى مع الأول ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب» ، فقال أبو الطيب « أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذى استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز (بائع البز وهو الكتان والقطن) معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لأجمع بين الأضداد فى المعنى» ، فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بجائزة سنية .

قال الواحدى : ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من بيتى المتنبى لأن قوله : كأنك فى جفن الردى وهو نائم ، هو معنى قوله : وقفت وما فى الموت شك لواقف ، فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحدق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت ، وقوله : تمر بك الأبطال : هو النهاية فى التطابق للمكان الذى تكلم فيه الأبطال فتكلم وتعبس . وقوله : ووجهك وضاح ، لاحتقار الأمر العظيم .

ومع جمال هذا التخريج لوجهة نظر المتنبى من المتنبى نفسه ثم من الواحدى ، ومع قبول سيف الدولة لتخريج المتنبى وإثابته عليه . فنقد سيف الدولة البيتين نقد

وجيه أو هو — على الأقل — دليل على فهمه الواعي للشعر وتذوقه الشديد له .

وقد زاد من شاعرية المتنبي أو من تجويده لشعره روح المنافسة بين الشعراء التي كان الأمراء يثيرون غبارها ويشعلون نارها ، وبخاصة سيف الدولة ، ثم موقف سيف الدولة من المتنبي حينما كان المتنبي ينقطع عن مدحه فترة فيسمح لشعراء دونه أن يمدحوه . فيتعرضوا للمتنبي في مجلس سيف الدولة بما لا يحب ، وللمتنبي في عتاب سيف الدولة على ذلك قصيدة مشهورة مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وفيها يقول معاتباً .

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

ثم يقول :

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

فهو يصف سيف الدولة بأنه يعدل مع الناس ويظلمه ، ويحذره من أن يظن المتشاعرين شعراء كما يحسب الورم سمنًا . ثم ينبهه وهو البصير إلى أنه ينبغي أن يرى أن الفرق بينه وبين غيره كالفرق بين النور والظلام . ويعني في البيت الأخير أن شر صيد صاده ماشاركه فيه اللئام يريد أن سيف الدولة يجرى عليه من العطاء مايجري على غيره من خساس الشعراء . وإذا هو فعل ذلك فأي فضل للمتنبي يكون عليهم ؟ !

وأخيراً فإن همة نفس المتنبي وكثرة حروبه قد أفادا شاعريته أيما إفادة فضرب بهما في المدح والفخر ووصف المعارك بسهام نافذة .

مناسبة القصيدة :

كانت (الحدث) ثغراً على الحدود في الشام بين المسلمين والروم وكان المسلمون

قد انهزموا عنها وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق سنة ٣٢٧ هـ ، ولكن سيف الدولة نزلها سنة ٣٤٣ هـ . ووضع حجر الأساس لبنائها ، فنازله الدمستق بجيش ضخم اشتركت فيه أمم مختلفة ويقدر بنحو خمسين ألف فارس وراجل لحمل عليه سيف الدولة بنفسه فى نحو خمسمائة من غلمانه فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر عدداً كبيراً منهم فقتل بعضهم وأقام حتى بناها ووضع بيده آخر شرفة منها فى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال المتنبى هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها فى ذلك اليوم فى (الحدث) .

علاقة المتنبى بسيف الدولة وأثر هذه العلاقة فى شعره :

لانكاد نفهم شعر المتنبى فهماً صحيحاً فى الفترة التى عاشها بعد اتصاله بسيف الدولة مالم ندرك العلاقة بينه وبين سيف الدولة إدراكاً صحيحاً .

ولقد اتصل المتنبى به ومدحه وهو فى الثانية والأربعين من عمره وبقى تسع سنوات هى أخصب أعوامه وأكثرها حظاً من الإنتاج الأدبى ، لا يمدح أثناءها غيره ، حتى كان له فيه ديوان خاص يمكن أن يستقل بنفسه ، وهو — كما قال طه حسين — ليس من أجمل شعر المتنبى بل من أجمل الشعر العربى وأحقه البقاء .

وقد امتاز شعره فى سيف الدولة بتنوعه فضلا عن كثرته ، لأن حياة سيف الدولة كانت متنوعة ، فهو أمير عربى شريف الأصل جواد اليد بعيد الهمة ، فكان على المتنبى أن يمدحه كما يمدح أمراء العرب المتصفين بهذه الصفات ، وهو مجاهد يناضل عن الإسلام ، ويحمى ثغور المسلمين من قبل الروم ، فكان يتقاضى المتنبى مدحه ، كما يمدح المجاهدين ، وهو منافس لأمراء آخرين فى مصر والعراق ، فلزم أن يقدمه المتنبى على منافسيه ، وهو ذو رعية بدوية قليلة الشعور بحب النظام شديدة النقض للسلطان القوى ، فوجب على المتنبى أن يمدحه كما يمدح الأمير الذى يأخذ رعيته بالحزم والعزم ، وهو صاحب دعابة ولهو وترف ونعيم . وكان على المتنبى أن يكون له نديماً ، وهو يؤثر المتنبى بما يجلب عليه الحسد والكيد له على المتنبى ، وكانت غطرسة المتنبى تزيد هذا الكيد له ، فكان عليه أن يدافع عن نفسه بالعتاب والاستعطاف وهجاء الخصوم ، وسيف الدولة كغيره من الناس يمتحن بالمصائب فى الأبناء والأقرباء والأحباء فكان عليه أن يعزيه .

كل ذلك فى سيف الدولة أتاح للمتنبى أن يلم بطائفة من الفنون الشعرية إلى جانب المدح، وقد كانت علاقته بسيف الدولة سبباً فى فتحه باباً من أبواب الشعر على مصراعيه، هو وصف الجهاد بين المسلمين والروم ، فقد فرغ له ووقف عليه جهده بل واشترك فيه ، ونعم وشقى بنتائجه من الانتصار أو الانكسار ، فكان يقول فيه متأثراً بفنه وبأمله معاً لا كغيره ممن خاضوا مجاله كأبى تمام والبحترى ولهذا نحس من شعر المتنبى لهذا الجهاد بتأثر أكبر ونحس بأنه قد ارتقى به قوة وفتوة ونشاطاً .

يقول طه حسن[1] : أنك إذا قرأت وصف المتنبى لهذا الجهاد وجدت فيه ناراً تضطرم . . ومصدر ذلك أن المتنبى لم يكن يصدر عن مدح سيف الدولة والرغبة فى إرضائه .. وإنما هو يصدر عن هذا ويصدر معه عما كان يثور فى نفسه من العواطف ويدور فى رأسه من الخواطر حين كان يشهد الموقعة ويتبع العدو منتصراً أو يولى أمامه هارباً ، وكان يصدر مع هذا عن انفعالات المسلمين التى كانت تثور حوله فى هذه الظروف ، ثم كان يصدر عن الانفعال الذى كان يثور فى نفس العدو منهزماً ومنتصراً ، فقد كان يصور سيف الدولة ويصور معه نفسه وجماعة المسلمين المجاهدين وجماعة الروم أيضاً .

وإذا كان المتنبى حقاً قد تغنى فى شعره هذا بالانتصار وتغاضى عن الهزيمة فلأن المتنبى كان شاعراً ولم يكن مؤرخاً ولأنه نظر إلى أن الدولة الإسلامية على ضخامتها لم تعن بحماية هذه الثغور الرومية ، وقد نهض بذلك سيف الدولة على ضآلة مصادره المالية والعسكرية وصمد أمام الإمبراطورية البيزنطية الضخمة لحمى منها الثغور بل اقتحم عليها ملكها حتى أبعد فى الغارة أحياناً .

على أن اتصال المتنبى بسيف الدولة قد جعله يجود شعره تجويداً يجعله خالصاً له وحده لاشبهة فيه لتقليد لأبى تمام أو البحترى أوغيرهما وزناً وقافية أولفظاً ومعنى ، وقد أصبح لفظه جزلا ومعناه فخماً دقيقاً مستقيماً إلى أقصى مايستطيع أن يبلغ جزالة وفخامة ودقة واستقامة .

---

(١) مع المتنبى ص ١٧٥ وما بعدها .

أفكار القصيدة

تتضمن قصيدة المتنبى عدداً من الأفكار التى تعطى فى المعركة (الحدث) صورة الموقف من جميع جوانبه فى ترتيب دقيق وتفصيل محكم .

١ — فهو يبدأ فى عرض المبدأ العام لكل موقف عظيم كهذا الموقف ، وهو أن جلائل الأمور لم تقع إلا من الأجلاء وصغائرها لا تتأتى إلا من الصغائر ، ولهذا فقد كان طبيعياً أن يتم هذا الانتصار الضخم على يد ذلك الأمير الشجاع الذى فاقت شجاعته كل من عاداه .

٢ — ثم يأخذ فى ذكر السبب فى تلك المعركة وهو أن قلعة الحدث هذه كانت بأيدى الروس ، وقد اضطر سيف الدولة فى استردادها أن يستخدم القوة ويبرز من نفسه موهبة الشجاعة .

٣ — ثم أراد أن يبين كيف أن أمر الانتصار فى هذه المعركة لم يكن هيناً لأن جيش العدو كان من ضخامة العَدَد والعُدد بحيث لا يعد الانتصار عليه إلا معجزة ، وكذلك أخذ يصف قوة هذا الجيش وكثرة عدده وتعدد لغات جنوده .

٤ — فإذا ما وقعت حرب مع هذا الجيش فإنها لاشك ستكون حرباً شعواء ، ولذلك فقد كان عليه أن يصف فظاعتها وأن يحدد الدور العظيم الذى أداه سيف الدولة فيها حتى تم له الانتصار .

٥ — وبعد أن انتهى من ذلك مفصلا بما لا زيادة عليه لمستزيد كان عليه وقد وقعت الهزيمة للروم أن يسخر من قائدهم الذى كان غبياً لا يفطن إلى شجاعة سيف الدولة ، وكان جباناً لا يهمه بعد ما رأى من ويلات القتال إلا أن ينجو بنفسه .

٦ — وأخيراً فإنه لا يسعه إلا أن يقدم الشكر جزيلا لسيف الدولة الذى نصر دولة التوحيد وأتاح له فرصة الإشادة به والاشتراك فى الحرب معه .

٧ — وفى النهاية كان لابد أن يهنىء هذا القائد المنتصر على السلامة ، ويدعو له بأن يظل حامى الإسلام والمسلمين .

ولذلك فقد انحصرت أفكار القصيدة فيما يلي :

١ — الحكمة التي تفسر هذا الانتصار العظيم وشجاعة سيف الدولة التي لا نظير لها (من ١ — ٦)

٢ — السبب في إشعال هذه الحرب ووقوع تلك المعركة (من ٧ — ١٥)

٣ — وصف جيش الأعداء وبيان ضخامته وقوة عتاده وتنوع أجناس جنده (من ١٦ — ١٩)

٤ — فظاعة الحرب معه وثبوت سيف الدولة فيها وتقتيله لعدد كبير من جنود العدو وتعقبه لهم . (من ٢٠ — ٣٢)

٥ — السخرية بقائد الروم الذي لم يقدر العواقب وهو يعرف شجاعة سيف الدولة ثم جبن وفر فرحاً بنجاته (من ٣٣ — ٣٨)

٦ — شكر الأمير على نصرة الإسلام ومنح المتنبي فرصة القول بمدحه والعمل بقتال أعدائه . (من ٣٩ — ٤٣)

٧ — تهنئة سيف الدولة على السلامة ودعاء له بالبقاء درعاً حامياً للإسلام والمسلمين (من ٤٤ — ٤٦)

بعض الألوان البلاغية في القصيدة

تشبيهات :

وكان بها مثل الجنون (البيت ١٠) — ومن جثث القتلى عليها تمائم (١٠) — طريدة دهر (١١) — وذا الطعن آساس لها ودعائم (١٤) — كأنهم سروا بجياد مالهن قوائم (١٦) — كأنك في جفن الردى نائم (٢٢) — كأن السيف للرمح شاتم (٢٧) — كما نثرت فوق العروس الدراهم (٢٩) — ولكنك التوحيد للشرك هازم (٣٩)

استعارات :

تدعيه الضراغم (البيت ٤) — يفدي أتم الطير (٥) — الحدث تعرف وتعلم (٧) — سقتها الغمام وسقتها الجماجم (٨) — موج المنايا متلاطم (٩) — طريدة

دهر (١١) — والدهر راغم (١١) — وهن لما يأخذن غوارم (١٢) — والمنايا حواكم (١٥) — وفى أذن الجوزاء (١٨) — ذوب الغش ناره (٢٠) — ضممت جناحيهم (٢٥) — السيف للرمح شاتم (٢٧) — مفاتيح الفتح الجليل (٢٨) تظن فراخ الفتخ ، وزرتها بأماتها (٣١) — قفاه للوجه لائم (٣٣) — حتى يذوقه (ريح الليث) (٣٤) — عرفت البهائم (٣٤) — لجمته الحلات (٣٥) شغلتها هامهم والمعاصم (٣٦) — صوت المشرفية وأصوات السيوف (٣٧) — التوحيد للشرك هازم (٣٩) لك الحمد فى الدر (٤١) — تعدو بى عطاياك (٤٢) — على كل طيار (٤٣) — ألا أيها السيف (٤٤) — هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا والإسلام (٤٥) — ولم لايقى الإسلام ، وتفليقة هام العدا (٤٦) .

كنايات :

البيتان ٥ ، ٦ كناية عن كثرة تقتيله لأعدائه — سقتها الجماجم كناية عن كثرة دماء الأعداء .

البيتان ١٦ ، ١٧ كناية عن كثرة سلاح العدو — خميس بشرق الأرض والغرب زحفه : كناية عن كثرة جيش العدو (١٨) وفى أذن الجوزاء منه زمازم : كناية عن شدة جلبته (١٨) تجمع فيه كل لسن وأمه . . : كناية عن كثرة عدد الجيش وتنوع أجناس أفراده (١٩) .

والبيتان ٢٠ ، ٢١ : كناية عن شدة الحرب وفظاعتها — والبيت ٢٣ كناية عن شجاعة سيف الدولة إلى قول قوم أنت بالغيب عالم : كناية عن شدة شجاعة سيف الدولة (٢٤) تموت الخوافى عنها والقوادم : كناية عن قتل جميع الأعداء (٢٥) — البيت ٢٩ كناية عن شدة هزيمة الأعداء وكثرة قتلاهم — والبيت ٣٠ كناية عن شدة طلب سيف الدولة وهربهم وكثرة قتلاهم — والبيت ٣١ كناية عن شدة طلب الأعداء — قفاه على الاقدام للوجه لائم . كناية عن الرغبة فى الفرار (٣٣) — البيت ٣٦ كناية عن فراره — البيت (٤٠) كناية عن عظمته وشهرته — البيت (٤٣) كناية عن أصالة وسرعة جياد سيف الدولة التى يهديها للمتنبى ليشترك فى القتال — والبيت (٤٤) كناية عن شجاعة سيف الدولة .

طباق :

بغير مخالب وأسيافه (٦) — الغمام والجماجم (٨) — قبل نزوله ودنا (٨) فعلا مضارعاً ومضى (١٣) — حاكموها والمنايا . (١٥) — شرق الأرض والغرب (١٨) — تقطع ولا تقطع (٢١) — الخوافى والقوادم (٢٥) — مغنوم وغانم (٣٨) — عدنان وربيعة والدنيا والعواصم (٤٠) — لا أنا ولا أنت (٤٢) — لا فيه ولا منه لأن فى (فى) معنى الدخول وفى (من) معنى الخروج (٤١) .

مقابلة :

البيتان الثانى والثالث كلاهما مقابلة - فامات مظلوم ولا عاش ظالم (١٥) والأبيات ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، كلها مقابلة .

جناس :

العزم والعزائم والكرام والمكارم (البيت ١) والصغير والصغار والعظيم والعظائم (٢) حاكموها والمنايا حوا كم (١٥) - صارم أو ضبارم (٢٠) الفتح ومفاتيح (٢٨)

ألوان أخرى :

البيتان الأولان والبيت (٢٨) مما يسميه علماء البلاغة بالكلام الجامع وهو أن يأتى المتكلم بما يجرى مجرى المثل فى بيت كامل أو كلام مستقل ، والبيت الثانى فيه ما يسميه علماء البديع بالابداع وهو أن يشتمل البيت على عدة أنواع من البديع لأنه يشتمل على الأرصاد والتوشيح ورد العجز على الصدر وهى أنواع بديعية مختلفة — وما ضرها خلق . . : استفهام إنكارى إن لم تجعل ما نافية (البيت ٦) — هل الحدث الحمراء ؟ الاستفهام للتمنى ، ويسمى هذا الأسلوب فى علم البديع بتجاهل العارف وهو سوق المعلوم مساق المجهول لنكتة كالمبالغة فى المدح (٧)

وفى البيتين (٧ ، ٨) ما يسميه علماء البديع بالتقسيم وهو ذكر متعدد وإضافة ما لكل إليه على التعيين وفى البيت (١٣) إستخدام طريف لمصطلحات علمية نحوية

(الفعل المضارع — الفعل الماضى — الجوازم) — وكيف ترجى الروم ..؟ : استفهام إنكارى وهو للتعجب أيضاً (١٤) — أتوك يجرون الحديد : فى الحديد مجاز مرسل علاقته إعتبار ما كان لأن المراد منه السلاح (١٦)

أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم؟ : استفهام إنكارى (٣٢) — أينكر ريح الليث ؟ : استفهام إنكارى (٣٣)

وفى البيت (٤١) مايسميه علماء البديع بالافتنان وهو أن يجمع المتكلم فى كلامه بين فنين من المعانى لأن المتنبى جمع فى هذا البيت بين المدح والفخر .

وفى البيت (٤٤) مايسمى بالاشتقاق وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيرهما ، وقد اشتق الشاعر هنا من اسم سيف الدولة وصفه بأنه سيف غير مغمد — ولم لا يتقى الإسلام حديك ؟ : استفهام التمنى (٤٦) — والبيتان الأخيران مما يسميه علماء البلاغة بحسن الختام لأنهما يؤذنان بانتهاء القصيدة . — وفى القصيدة مبالغات كثيرة واضحة فى أبيات متفرقة .

وهكذا نجد أن القصيدة تزدحم بالألوان البلاغية ، وعظمة الشاعر أنه صاغها — مع كثرتها — فى دقة تامة بحيث لا تقيد الأسلوب ولا ترهق المعانى ولا تئود الأفكار ، وإنما تجمل الكلام وتوضح وتؤكد المعانى والأفكار ثم تخلد بعد ذلك الشعر والشاعر والممدوح والمناسبة جميعاً .

٤ ـ من الشعر الحماسى

قصيدة للشريف الرضى

١ ـ نبهتُهم مثلَ عَوالى الرماحْ إلى الوَغَى قبل نُموم الصباحْ

٢ ـ فوارسٌ نالوا المُنَى بالقنا وصافحوا أغراضهم بالصِّفاحْ[1]

٣ ـ لغارةٍ سامعُ أنبائِها يَغَصُّ منها بالزُّلال القَراحْ

٤ ـ ليس على مُضْرِمِها سُبَّةٌ ولا على المُجْلِب منها جُناحْ[2]

٥ ـ دونَكُمْ فابتدروا غُنْمَها دُمًى مُباحاتٌ ومالٌ مُباحْ[3]

٦ ـ فإننا فى أرض أعدائنا لا نَطَأُ العذراء إلا سِفاح

٧ ـ يا نفسُ من هَمٍّ إلى هِمّةٍ فليس من عبء الأذى مُستراحْ

٨ ـ قد آن للقلب الذى كَدَّه طولُ مناجاة المنى أن يُراح

٩ ـ لابد أن أركبها صَعْبَةً وقّاحة تحت غلام وقاح[4]

١٠ ـ يُجهدها أو ينثنى بالردى دون الذى قدر أو بالنجاح

١١ ـ الراح والراحة ذُلُّ الفتى والعِزُّ فى شُرب ضريب اللِّقاح[5]

---

(١) فى الديوان « أعراضهم » ، والصفاح : السيوف .

(٢) المجلب فى هذا البيت : هو الذى يكثر الصياح من الفزع ، والمراد وصف هذه الحرب بالقسوة والعنف بحيث لا يكون على الهارب منها جناح .

(٤) الغلام : هو الفتى فى شعر الشريف الرضى ، والوقاحة : هى الشجاعة .

(٥) الضريب : اللبن ، واللقاح : النوق والمفرد لقوح على وزن صبور

١٢ — في حيث لا حُكمَ لغير القنا ولا مطاعٌ غير داعي الكفاح

١٣ — وأشعثِ المفرِقِ ذي همة طوّحه الهمُّ بعيداً فطاح

١٤ — لما رأى الصبرَ مُضِراً به راح ومن لا يطق الذلّ راح

١٥ — دفعاً بصدر السيف لما رأى ألا يَرُدَّ الضيم دفعاً براح

١٦ — متى أرى الزَّوْراء مُرْتجّةً تُمْطِر بالبيض الظُّبا أو تُراح ؟!

١٧ — يصيح فيها الموتُ عن ألْسُن من العوالي والمواضي فِصاح

١٨ — بكل روعاء عظينيــــةٍ يحثها أروعُ شاكي السلاح[٦]

١٩ — كأنما ينظر من ظلهـــــا نعامةً زيافةً بالجناح

٢٠ — متى أرى الأرضَ وقد زُلزِلَتْ بعارضٍ أغبرَ دامي النوَاح ؟![٧]

٢١ — متى أرى الناس وقد صبّحوا أوائلَ اليوم بطعن صُراحْ ؟!

٢٢ — يلتفت الهاربُ في عِطفه مروّعاً يرقُب وقع الجِراح

٢٣ — متى أرى البيضَ وقد أُمطِرَتْ سيلَ دمٍ يَغلِبُ سيلَ البطاح ؟!

٢٤ — متى أرى البَيْضَةَ مصدوعةً عن كل نشوانَ طويلِ المراحْ ؟![٨]

٢٥ — مُضمّخِ الجيد نئومِ الضحى كأنه العذراء ذاتُ الوشاح

---

(٦) العظينية : المنتفخة البطن من اكل العظون وهو شجر .

(٧) النواح : هى النواحى أعلت بحذف الياء .

(٨) البيضة هنا هى ما يلبس من الحديد .

٢٦ — إذا رَداح الروع غَنّت له ... فر إلى تلك الكعاب الرَّداح (٩)

٢٧ — قوم رضوا بالعجز واستبدلوا ... بالسيف يدمى غَربه كأس راح (١٠)

٢٨ — توارثوا الملكَ ولو أنجبوا ... لورثوه عن طِعان الرماح

٢٩ — غطى رداء العز عوراتهم ... فافتضحوا بالذل أيَّ افتضاح

٣٠ — إنى والشاتمُ عِرْضِى كمن ... روَّعَ آسادَ الشرى بالنُّباح

٣١ — يطلب شأوى وهو مستيقنٌ ... أن عَنانى فى يمين الجماح

٣٢ — فارم بعينيك مَلِيًّا ترى ... وقعَ غبارى فى عيون الطِّلاح

٣٣ — وارقَ على ظَلْعك هيهات أن ... يُزَعْزِعَ الطودُ بِمَرِّ الرياح

٣٤ — لا همَّ قلبى بركوب العلا ... يوماً ولا بلَّ يدى بالسماح

٣٥ — إن لم أنلها باشتراطٍ كما ... شئتُ على بيض الظُّبا واقتراح

٣٦ — يطمع من لا مجدَ يسمو به ... إنى إذاً أعذر عن الطِّماحْ

٣٧ — وخطة يضحك منها الردَى ... عسراء تبرى القوم برْى القداح

٣٨ — صبرت نفسى عند أهوالها ... وقلت من هبوتها لا براح

٣٩ — إما فتًى نال العلا فاشتفى ... أو بطلٌ ذاق الردى فاستراح

---

(٩) الرداح : على وزن سحاب ، هى الكتيبة الثقيلة الجرارة ، وهى أيضاً المرأة الثقيلة الأوراك وبهذا يفهم البيت .

(١٠) الغرب بالفتح : حد السيف .

ترجمة الشاعر

هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى، ينتهى نسبه من أبويه إلى الإمام على بن أبى طالب ولد سنة ٣٥٩ هـ . وقد اشتغل بالعلم والفقه والأدب ، ففاق أهل زمانه ، تولى بعد أبيه نقابة الطالبيين أشراف بغداد. وسائر الأعمال التى كان يليها أبوه ، وهى النظر فى المظالم والحج بالناس ، وكان من سمو المقام بحيث يكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسى أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة :

عطفا أمير المؤمنين فإننا	فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	أبدا ، كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فإننى	أنا عاطل منها وأنت مطوق

وكان شاعراً مفلقاً متصرفاً فى جميع فنون الشعر ، إن نسب كان نسيبه غاية فى الدقة والعذوبة ، وإن مدح كان مديحه قمة فى الفخامة والجزالة ، وإن رثى أشجى وأبكى .

استمع إليه يقول فى أحد مراثيه :

ولقد بكيت على ربوعهم	وطلولها بيد البلى نهب
وتلفتت عينى فذ خفيت	عنى الطلول تلفت القلب

وقد صنف كتاباً فى معانى القرآن الكريم وآخر فى مجازات القرآن ، ومن أعظم كتبه « نهج البلاغة » وهو ما اختاره من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقد كان شديد التعفف لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة .

وتوفى سنة ٤٠٤ أو ٤٠٦ هـ .

الغرض الذى قيل فيه النص والتعليق عليه :

موضوع القصيدة هو الحماسة أو الفخر ، والفخر هو تعديد الشاعر لحسناته.

وتزيينه لسيئاته ، بقصد الافتخار والزهو . والفخر بذلك شيء فطرى لأنه تعبير عن حب الذات والإنسان مفطور على حب نفسه فهو يديم النظر إلى المرآة ليستجلى محاسنه ويخفى بالتزين مقابحه ، ولذلك فأشهى مايشتهيه الإنسان من الحديث هو حديث الناس عنه بما يحب وحديثه هو عن نفسه . وهذا الأخير هو الفخر .

والفخر رفيق الآداب كلها وهو باب واسع من أبواب الشعر عند العرب يعبر عن ميلهم الطبيعى إلى الأنفة والعزة لما ورثوه من ذلك من أصولهم ولما أمدتهم به طبيعة الصحراء والمناخ الصحراوى الحار من الحرية .

فالصفات التى يدور حولها الفخر العربى هى الصفات التى خلقتها البيئة وولدتها الطبيعة ، وتمشت مع حاجات العرب وضرورات حياتهم ، فالشجاعة وهى أبرز هذه الصفات جاءت من أن الحياة العربية الأولى كانت تعتمد على قوة الساعد لأن الصحراء قليلة الماء والخير كثيرة القحط والجدب شديدة القيظ والحر فكان منطق الحياة هو منطق القوة والعصبية . ولعل السبب نفسه جعل الكرم من أهم الصفات التى يفخر بها العربى فنقص الموارد وقلة عطاء السماء والأرض بالخير والتعرض للقحط والجوع فى حل أو ترحال وفى إقامة أو سفر اضطر العربى أن يتعاون مع أخيه على البر وأن يكون الكرم دستوراً مقرراً وإن لم يكن مكتوباً محرراً ، ثم تأتى بعد ذلك الصفات المتفرعة عن هاتين الصفتين كالشرف والإباء والترفع عن الفحشاء والحلم والحياء وصدق الوعد والوفاء وحفظ الجار والنجدة وحماية الضعفاء .. الخ .

ولما كان الفخر عملا من أعمال العاطفة ، عاطفة الإنسان لنفسه وهى أقوى العواطف الإنسانية ، فقد شابه دائماً غلو ومبالغة فى معانيه . وميزه ضخامة وفخامة فى ألفاظه ومبانيه .

ومع أن الفخر غرض أصيل وثابت من أغراض الشعراء لأنه أمر فطرى فقد حدثت له على مر العصور تطورات أو تغيرات نستطيع أن نجملها فى أن الحماسة قد فشت فى الشعر فى العصر الجاهلى لغلبة العصبية على السلوك ولعدم الخضوع لسلطان القانون .

ولما جاء الإسلام وقضى على تلك العصبية الجاهلية الأولى ضعف شأن الحماسة ،

ولكنها لم تلبث أن عادت مع العصر الأموى بعودة الخلافات الحزبية وتشجيع الخلفاء المنافرات ولضعف الوازع الدينى، ولما جاء العصر العباسى واستقرت الدولة وخضع الناس لسلطان الحاكم وانتهت حياة البداوة وبدأت حياة الحضارة والمدنية والترف ضعف شأنها ولم يبق منها إلا ما يجرى على ألسنة بعض الشعراء ممن هيأت لهم الحياة ما يجعلهم يفخرون به ككونهم أمراء كأبى فراس الحمدانى أو أبطال حروب كالمتنبى أو ذوى مكانة ممتازة شرفاً كالشريف الرضى أو اجتماعاً كأبى العلاء المعرى .

والشريف الرضى من أشهر شعراء الفخر العربى ، ومن أجمل شعره فى الفخر غير القصيدة التى معنا قوله من قصيدة :

ملكت بحلمى فرصة ما استرقها	من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فإن تك سنى ما تطاول باعها	فلى من وراء المجد قلب مذرب
فحسبى أنى فى الأعادى مبغض	وأنى إلى غر المعالى محبب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها	ولكن أوقاتى إلى الحلم أقرب
يصول على الجاهلون وأعتلى	ويعجم فى القائلون وأعرب
يرون احتمالى غصة ويزيدهم	لواعج ضغن أننى لست أغضب
وقور فلا الألحان تأسر عزمتى	ولا تمكر الصهباء بى حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها	ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
غرائب آداب حبانى بحفظها	زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

ولأن شرف المحتد أدعى إلى الفخر من علو المكانة وظهور الموهبة مع نقصه أو ضعفه ، فقد جاء فخر الشريف الرضى لشرف أصله أقرب إلى النفس وأدخل إلى العقل وآنس الأذن ، يعجبك فيه ألفاظه القوية الجزلة وأساليبه المنسجمة العذبة وأفكاره المتنوعة المرتبة ومعانيه العميقة المبتكرة ، فى مبالغة مقبولة غير مرذولة . كما يعجبك فيه تمثيله وتشخيصه ، واهتمامه بموسيقى شعره واختيار قافيته ، والقصيدة التى معنا من أفضل شعر الحماسة العربى. يقول د. زكى مبارك تعليقاً عليها : « إن باب الحماسة فى ديوان الحماسة لو وضع كله فى الميزان لشالت كفته ورجحت كفة هذه القصيدة[1] » .

---

(١) عبقرية الشريف الرضى ج ١ ، ص ١٨١ ، الطبعة الرابعة .

وتدور أفكار القصيدة ومعانيها حول الفخر بنفسه وبجنوده والتأكيد على محاسنهم بإظهار معايب أعدائهم ، ويمكن أن نقسم القصيدة بين أفكار أربعة :

الفكرة الأولى : فتوة وشجاعة جنوده وحضه لهم على الاستبسال ، وهذه الفكرة تنتظم الأبيات الستة الأولى ، وهو يذكر فيها أنه نبه جنوده قبيل الصبح إلى الإصطباح بالحرب تلك الحرب التي ليست على صورة كثيرات غيرها بل هي حرب طاحنة ضروس يغص سامعها فضلا عن شاهدها ومصطلى لظاها بالماء الزلال ، ولذلك فلا حرج على من يفر منها ، ولكن جنوده لا يفرون بل يقبلون عليها حباً في الحرب وطمعاً في مغانمها من المال والنساء .

والفكرة الثانية : حديثه إلى نفسه الأبية التي تتنقل من هموم الحياة ومشاكلها إلى هم الرئاسة ومسائلها ، وفيه يقول لنفسه إنه لابد ماض إلى غايته فإما حقق النصر أو مات دونه يقول زكي مبارك[1] . « والشاعر لا يرى لنفسه غير غايتين : النصر أو الموت وهو معنى سيكرره في آخر القصيدة إذ يقول :

إما فتى نال العـــلا فاشتفى أو بطل ذاق الردى فاستراح

وهو بهذا سبق الفرنسيين إلى هذه الحكمة العالية ، سبقهم بمئات السنين إلى الحكمة المسطورة على محراب البانتيون في باريس Vaincre ou mourir ولم يكن الشريف أول من قال هذا المعنى بين شعراء العرب ، ولكنه أورده مورداً قوياً جداً بحيث لا يكون من المغالاة أن نعده من معانيه المبتكرات » .

ويوطن نفسه على تحمل المشقات فيقول لها : ليس العز في احتساء الخز والخلود إلى الراحة في الحاضرة بل العز في إرتشاف لبن الناقة في البادية حيث الحياة خشنة والحكم فيها للقوة ، ولذلك فإن عليه أن يسترد حقه بسيفه وألا يقيم على ضيم أو ذل .

ويذكرنا حديثه مع نفسه هنا الحـــديث الشهير مع النفس لقطري بن الفجاءة شاعر الخوارج وهو في موقف كموقف الشريف حين قال :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبراً في مجـــال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

---

(١) انظر عبقرية الشريف الرضي لزكي مبارك ص ١٨٣ وما بعدها .

حتى يقـول :

وما للمـرء خـير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع

وتنتظم هذه الفكرة الثانية من أفكار قصيدة الشريف الرضى الأبيات من السابع إلى الخامس عشر .

والفكرة الثالثة : تمنيه حياة كلها كفاح وصراع دموى مع الأعداء ، ويمضى لعرض هـذه الفكـرة من البيت السادس عشر حتى الرابع والعشرين وفيها يتمنى أن تدور فى بغداد الزوراء معركة ترجها رجاء ، تتعانق فيها السيوف ليرتفع بها صوت الموت فصيحاً ، ثم يتمنى أن تزلزل الأرض تحت سحاب من غبار المعركة أغبر قاتم، وأن يصبح الناس على صراع مرير وطعن صراح يكثر خلالهما رؤية الهاوين المرتعين الذين يتلفتون ذعراً وخوفاً من أن يصابوا بجراح ، ثم هو يتمنى أن تمطر السيوف سيلا من الدماء يغلب سيل البطاح فيقضى على أعدائه الجبناء العاجزين الغارقين فى الترف.

والفكرة الرابعة : وتجىء فى الأبيات الخمسة اللاحقة وتتضمن نعيه على أولئك الأعـداء الجبناء الذين أعجزهم الترف والتنعم بطول المراح والتضمخ بالطيب ونوم الضحى ومتعة الجسد. فهم قوم رضوا بالعجز فاستبدلوا اللهو بالجد والكأس بالسيف. وإذا كانت النعمة قد غطت عيوبهم فإن العجز قد فضحهم أى افتضاح .

والفكرة الخامسة : التى تنتهى بها القصيدة وتبـدأ من البيت الثلاثين هى الاستهزاء بمن يروم من الأعداء التساوى به لأن البون شاسع بين أخلاقه وأخلاقهم فإذا سبوا عرضه كانوا كالكلاب التى تظن أنها تروع أسود الشرى بنباحها أو الرياح التى تخال أنها تزعزع الجبال بهبوبها . ومن من هؤلاء أو غيرهم مثله ، ذاك الذى لا يرضى أن ينال الشرف والفخار أو يبلغ العلياء إلا على بيض الظبا وأسنة الرماح ؟! فلقد اختط لنفسه خطة صعبة صبر نفسه على أهوالها وهى إما أن ينال العلا فيشتفى أو يذوق الردى فيستريح .

وأما أسلوب الشاعر، فقد نحس فيه بالقوة كل القوة وبالفخامة والجزالة وامتداد الألفاظ باستخدام حروف المد فى القصيدة عامة، وفى الجزء الأول من القصيدة خاصة، وهو الذى يفخر فيه بنفسه وجنده ويحث فيه جنده على مزيد من الاستبسال فى تلك الحرب الضروس . انظر إلى أحد أبياته من هذا الفخر حين يقول :

فوارس نالوا المنى بالقنـا وصافحوا أغراضهم بالصفاح

فلا تجد لفظة واحدة منه إلا وهى ممدودة مداً يحس بقوته حتى من لم يعرف العربية إذا سمعه كما يحس فيه بالتعالى والتباهى والافتخار .

وقد استخدم الشاعر فى هذا الأسلوب ألفاظاً دقيقة ، وموحية بإيحاءات كثيرة، انظر إلى أول كلمة فى القصيدة وهى (نبهتهم) تجد أنها فى غاية الدقة والإحكام كما تجد أنها كلمة توحى بكثير من المعانى والإيحاءات . فهى كلمة رقيقة دقيقة موحية لا يمكن أن يحل محلها غيرها (كلفتهم) أو (أمرتهم) ، وهى توحى بأنه هو القائد المطاع تكفيه الإشارة أو مجرد التنبيه لكى يتحرك جيشه وجنوده إلى حيث يشير ، وهى توحى بأنهم جند شجعان يتحرقون شوقاً إلى الحرب وينتظرون بها إشارة من قائدهم والكلمة دقيقة لأنها المناسبة لفترة طلوع الشمس، ففيها يكون الناس فى غفلة أو غفوة فيكونون فى حاجة إلى التنبيه ، والجنود فى حاجة إلى تنبيه آخر أكثر من سائر الناس فى هذا الوقت ، لأن الإغارة فيه من العدو تكون متوقعة ، والغارة فيه على العدو تكون أجدى وأصلح ، وبهذا تدرك الغرض من اختيار الشاعر لكلمة (نموم) أيضاً مع (نبهتهم) فى البيت بدلاً من كلمة (ظهور) مثلا ، فإنها توحى بأن الصباح (ينم) أى يكشف عن غارة الجيش المغير . وفى (نبهتهم إلى الوغى) ملحظ آخر لحظة الدكتور زكى مبارك وهو أن الشريف الرضى نبه رفاقه إلى الاصطباح بالحرب لا كغيره من الشعراء الذين ينبهون رفاقهم إلى الاصطباح بالصهباء[1] ، وهكذا يمكن ملاحظة مدى دقة الشاعر فى اختيار ألفاظه وأساليبه .

أما تصوير الشاعر لمعانيه وأفكاره فقد فاق فيها سواه وبرع براعة لا نظير لها ، انظر إلى مدى إجادته فى التصوير وتجسيم المعانى، وإحكام الصنعة البيانية حين أراد التعبير عن فظاعة المعركة التى حث فرسانه على خوضها . فقال :

لغـــارة سامع أنبـــائها يغص منها بالزلال القراح

إنك فى هـــذا البيت تعيش بجميع حواسك فأنت فيه ترى وتسمع وتذوق ، وأنت فيه تفكر تفكيراً طويلا فى أبعاد هـذه الغارة وفظاعتها فإذا كان من يسمع أخبارها يغص بالماء بل وبالماء الزلال القراح ، فكيف بمن يشاهدها ؟! ثم كيف بمن يخوضها ويصطلى نارها ؟! هل هناك تفكير وتعبير وتصوير أروع من ذلك ؟!

---

(١) عبقرية الشريف الرضى ج ١ ص ١٨١

وإذا كانت لنا على الشاعر فى قصيدته مآخذ فلعلنا نأخذ ... كان ... الشدة عالى النبرة فى التعبير عن الرغبة فى إثارة الحرب وإراقة الدم حتى لقد أر... بغداد أن ترتج جنباتها بزلزال الحرب وصيحات الموت وأن تمطر ... سيو... الدم تفوق سيول البطاح .

وإذا نحن قبلنا هذه المبالغة من الشاعر بل هذا الغلو ... نقبل ما دعا إليه فى بيته :

فإننا فى أرض أعـــدائنا لا نطأ العـــذر

لأن المثل الرفيعة والقيم العالية التى يحترمها ويؤمن بها الشرفاء ... الذين يعرفون ... الإسلام يرعى فى الحرب كما يرعى فى السلم الحرمات ... عمن ينتمى إليهم الشريف الرضى من آل بيت الرسول ﷺ . . هذه ا... رضى من الش... ب أن يقول ذلك ، ولا نرضى منا ان نقبله منه بحال .

لذلك فعجيب أن يعتذر عنه د زكى مبارك ، فيقول (١) : « وهذ ... تبدو فى بشاعة الوحشية ، ولكن للشاعر عذرا وأنتم تلومون ، فهو يستجز ... الجنود المغاوير ، والجنود المغاوير لا يعرفون المعقول من آداب الناس ، ف... فى ذاتها وحشية . وهل اشتقت الفروسية إلا من الافتراس ؟ ! » .

على أن الشاعر قد أخطأ فى البيت خطأ صرفيا حين وقف على (سفاح) و... ب منون ، بالسكون ، وحقه أن يقف عليه بإبدال التنوين ألفاً بعد الفتحة فيقول ...) .

والشاعر قد كرر معنى البيت العاشر فى البيت الأخير من القصيدة وأر... هذا التكرار مقبول لأنه المعنى النبيل الذى يطالب من الشاعر وغيره ، وهو إما حيـ... يفة أو موت فى سبيل الشرف ، ولقد كان تعبير الشاعر عن هذا المعنى فى نهاية ... يدة تعبيراً رائعاً من ناحية وتعبيراً فى قالب المثل أو الحكمة من ناحيته الأخرى هـذا أيضاً يحمد الشاعر على تكراره ولا يذم . فهل أروع من قوله فيه .

إما فتى نال العـــلا فاشتفى أو بطل ذاق ارى فاستراح

وهل هناك ختام أحسن من هذا الختام الذى يستريح فيه الشاعر ويريح ؟ !

---

(١) عبقرية الشريف الرضى ص ١٨٢ .

وفى القصيدة إشارات تاريخية لعادات مضت وانقضت ويا ليتها تعود ، إذن لأفادت شبابنا أيمــا إفادة ، فى البيتين الحادى عشر والثانى عشر يشير الشاعر إلى عادة أسلافنا العرب التى يفخر بها ويذم أعـداءه لنبذها وهى عادة التخشن واحتمال المشقات لتربية النفس على مجابهة الصعاب ، وما أكثرها فى الحياة ، وما أكثرها لنيل المعالى وبلوغ الآمال ، فلقد كان الخلفاء قديماً يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشأوا من ناحية على فصاحة الأعراب ثم ليشبوا من ناحية أخرى على الصراحة والصرامة . فعيش البادية مران عنيف على الخشونة والصلابة ، والترف داء الأمم الذى يعسز منه الشفاء لأنه يورثهــا اللين ويجردها من الخشونة التى لا يمـكن بغيرها دفاع ولا صراع .

إن ربيب البادية هو الذى يقدر على منازلة الطبيعة أما ربيب الحواضر فهو كما قال توفيق البكرى « غادة ينقصها الحجاب ينظر فى المرآة ولاينظر فى كتاب ، أو هو كما قال الشريف :

مضمخ الجيد نئوم الضحى كأنه العـذراء ذات الوشاح
إذا رواح الروع عنت له فر إلى ضم الـكعاب الرداح

والأمم التى ليست عندها بادية تخلق لنفسها بادية . فنظام الـكشافة ماهو إلا عودة إلى ذلك النظام البدوى الخشن(١) .

إن من شبابنا من تأخذه ظواهر المدنية الزائفة والتقاليد الأجنبية المسفة فيلبس الثياب الزاهية والـكعوب العالية ، ويرســل الشعر ويصففه ، ويزجج الحواجب والعيون ، ويضمخ جسـده بالعطر ، ويزين جيده بالذهب ، ثم يلين بعد ذلك فى كلامه ، ويتكسر فى مشيته ، فيصبح ولا فرق بينه وبين الأنثى إلا بما خفى من جسده بالثياب ، وكم والله حرت فى بعض من رأيت أشاب هو أم فتاة ! !

فهل يأخذ شبابنا عن الشريف الرضى فى سيرته وقصيدته درساً فى الفتوة وأسلوباً فى السلوك ؟ ! أرجو !

---

(١) انظر عبقرية الشريف الرضى لزكى مبـــارك ص ١٨٣ وما بعدها .

نماذج من النثر العباسي

(أولا) فى النصف الأول من العصر

(١) من الخطب :

صعد أبو العباس السفاح منبر الكوفة حين بويع بالخلافة ، فقام فى أعلاه ، وصعد عمه داود بن على فقام دونه وتكلم السفاح فقال : الحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه ، والقوام به والذابين عنه ، والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنشأنا من آبائه ، وأنبتنا من شجرته ، واشتقنا من نبعته ، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ماعنتنا ، حريصاً علينا ، بالمؤمنين رءوفاً رحيما ، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وانزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم ، فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » . وقال « وأنذر عشيرتك الأقربين » وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى » وقال : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى » فأعلمهم جل ثنـــاؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ، ومودتنا ، وأجزل من الفىء والغنيمة نصيبنا ، تكرمة لنا ، وفضلا علينا ، والله ذو الفضل العظيم .

وزعمت الشامية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم بم ولم أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم . وأظهر بنا الحق ، وأدحض بنا الباطل . وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيسة ، وأتم بنا النقيصة ، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة فى دينهم ودنياهم ، وإخواناً على سرر متقابلين فى آخرتهم ، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه ، وأمرهم شورى بينهم ، فحووا مواريث الأمم ، فعدلوا فيها ، ووضعوها مواضعها . وأعطوها أهلها ، وخرجوا خماصاً منها .

ثم وثب بنو حرب ومروان ، فابتزوها ، وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا أمتنا ، وولى نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وإنى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله .

يا أهل الكوفة ، أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، وأنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عنه تحمل أهل الجور عليكم ، حتى أدرككم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زودتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا ، فأنا السفاح المبيح والثائر المبير .

كلمة حول النص

النص خطبة من مؤسس الدولة العباسية ، وهو يمثل الخطابة فى صدر هذا العصر فقد كانت الدولة العباسية ناشئة وكان خصومها فى الداخل من الأمويين والعلويين وغيرهم يضعون العراقيل فى طريقها ويحرضون الجماهير ضدها وكانت الفصحى فى مستواها الرفيع هى لغة التخاطب ، والاقتدار عليها هو وسيلة التأثير النفسى على الجماهير ، فكانت الخطابة أمراً حتمياً للتمكين للدولة الناشئة والرد على خصومها ، وكان الخلفاء والأمراء من أفصح الناس وأقدرهم على مواجهة الشعب لدعوته إلى تأييد دعوتهم وحكومتهم ، فهم كما يقولون فى خطبهم أشد التصاقاً بالرسول واقتراباً منه لأنهم منسوبون إلى عمه العباس رضى الله عنه ، والقرآن الكريم قد أيد أهل البيت ودعا إلى تأييدهم ، وهم أقدر على الرد على خصومهم بعرض حججهم ودفعها فليس هناك كما ادعوا من هم أولى منهم بالخلافة لأنه ليس هناك من له الفضل فى هذا الدين وانتشاره ، ورأب صدع الحياة بمنهم ، ولقد كان عهد الرسول الكريم وهو ابن عمهم هو أساس ذلك ومبتدؤه ، ثم كان عهد الخلفاء الراشدين فنسجوا على منوال الرسول وجروا على أسلوبه فى الارتقاء بشأن الحياة والناس حتى إذا انتقلت الخلافة إلى الأمويين جعلوه ملكا عضوضاً ، وصيروها حكومة ظالمة ، فانتقم الله منهم للشعب بأيديهم ونصرهم عليهم ، ثم هم القادرون على إسعاد المسلمين إن هم مالوا إلى أعدائهم وعلى وعدهم بالثواب والأعطيات إن هم والوهم ولم يصبحوا حرباً عليهم .

وهذا ما يتضح جلياً من الخطبة التى بين أيدينا فهى تمثل وتوضح بالتفصيل كل هذه الأفكار وتدور حولها .

ومما ساعد على نهضة الخطابة وارتفاع شأنها فى مطلع العصر ، احتفال علماء الكلام بالبحث عن وسائل التأثير والاقناع ، وعن الصفات التى يمتلكها الخطيب ليستحوذ على قلوب السامعين وتدريب النشء على أصول الخطابة وقواعدها ، وصحيفة بشر بن المعتمر التى وضعها منهجاً لمعلمى الخطابة وتلاميذها مشهورة .

واستمرت الخطابة على صورة من القوة والرواج لدى العرب والمتعربين الذين كانوا يفهمون دقائق البيان وأسراره حوالى قرن من الزمان من بداية حكم العباسيين حتى ضعفت أسبابها وخبت نارها بعد ذلك .

وقد تخرج فى مدرستها فى هذا العصر إلى جانب الخلفاء والقواد ، المتفاصحون من خطباء المحافل ، والوافدون من طلاب العفو والرفد ، وعلماء الكلام ، لما كان من صراع بينهم بعضهم مع بعض وبينهم وبين أصحاب النحل والديانات الأخرى .

ومن أشهر من عرف بالخطابة فى هذا العهد من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والرشيد والمأمون ، ومن العلويين : عبد الله بن الحسن وجعفر الصادق ، ومن العرب غير الهاشميين خالد بن صفوان وابن عمه شبيب بن شيبه ، ومن الموالى المستعربين : بشار بن برد وجعفر بن يحيى البرمكى والفضل بن سهل وأخوه الحسن ، وطاهر بن الحسين وابنه عبد الله وسهل بن هارون ، ومن علماء الكلام : بشر بن المعتمر وواصل بن عطاء وابراهيم بن سيار النظام وثمامة بن أشرس .

(٢) وفى الكتابة :

[ا] يقول ابن المقفع فيما يجب فى محاسبة الأصدقاء : « إن رأيت صاحبك مع عدوك ، فلا يغضبك ذلك ، فإنما هو أحد رجلين ، إن كان رجلا من إخوان الثقة ، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك ، لشر يكفه عنك ، وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك ، وإن كان رجلا من غير خاصة إخوانك ، فبأى حق تقطعه عن الناس ، وتكلفه ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى ؟ !

[ب] ويقول الجاحظ مبيناً أن صلاح الدنيا قائم على امتزاج الخير بالشر :

« اعلم أن المصلحة فى أمر الدنيا منذ ابتدائها إلى انقضاء مدتها ، فى امتزاج الخير

بالشر ، والضار بالنافع ، والمكروه بالسار ، والضعة بالرفعة ، والكثرة بالقلة ، ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة ، وتقطعت أسباب الفكرة . ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب الخير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ، ولا يعرف باب تعلم ، ولا دفع مضرة ، ولا اجتلاب منفعة ، ولا صبر على مكروه ، ولا شكر على محبوب ، ولا تفاضل فى بيان ، ولا تنافس فى درجة ، وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ، ولم يكن على ظهرها محق يجد عز الحق ، ومبطل يجد ذلة الباطل ، وموقن يجد برد اليقين ، وشاك يجد نقص الحيرة ، وكرب الوجوم .

ولم تسكن للنفوس آمال ، ولم تتشعبها الأطماع ، ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأس جهل الأمن . . الخ » .

[حـ] ويقول عمرو بن مسعدة فى رسالة له إلى الحسن بن سهل : « أما بعد فإنك ممن إذا غرس سقى ، وإذا أسس بنى ، ليستتم تشييد أسه ويجتنى ثمار غرسه ، وبناؤك عندى قد شارف الدروس ، وغرسك مشف على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست إن شاء الله » .

[د] ومن التوقيعات : يقول جعفر بن يحيى البرمكى فى عامل كثر التشكى منه :

« كثر شاكوك ، وقل شاكروك . فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت » .

وفى استعطاف ليحيى بن خالد البرمكى : « عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك » ،

وللفضل بن سهل إلى صاحب الشرطة : « ترفق توفق » .

تعليق على نصوص الكتابة

دخلت خصائص الفن الكتابى على الكتابة بعد إنشاء ديوان الرسائل فى العصر الأموى . إذا أصبحت الكتابة صناعة يتنافس الكتاب فى تجميلها وصنعتها مبتعدة عما كانت عليه من قبـــل من فطرية وسذاجة ، وقد تكاملت معالمها فى العصر الأموى على يد عبد الحميد الكاتب الذى احتفل بالمعنى وعنى بتنسيقه فى جزالة لفظ ، ومال إلى تقصير الفقرات وتنغيمها بالمزاوجة وخص بعض الأغراض بالإيجاز والبعض بالأطناب ، ونوع فواتح الرسائل وخواتيمها بما يناسب الغرض من الرسالة .

ولكن التحوير والتجويد أخذا يدخلان هذه الطريقة رويداً رويداً حتى وصلت في القرن الثالث الهجري إلى شكل جديد بعد اطلاع الأدباء على ذخائر المعاني والأفكار في العلوم المترجمة من الفلسفة والمنطق ، وبعد أن أخذت المدنية والحضارة والثقافة الجديدة تعمل في صقل الذوق وإرهاف الحس ، وتعود الآذان على النغم المتساوق لكثرة ما تسمعه من موسيقى وغناء ، فزاد احتفال الكتاب بالمعاني والتنقيب عليها واستنباط غيرها منها وعنوا بتدقيقها وتفصيلها وتحليلها والتدليل عليها ، كما نرى في نصوص الكتابة التي منها لابن المقفع والجاحظ وعمرو بن مسعدة لقد بدأت قواعد النقد في هذا العصر تتضح ويعمل بها الكتاب وكان الكتاب من أساطين النقد وأعلام البيان . ولقد كان مما اتفقوا عليه منها ، كما يتضح في النصوص التي اخترناها أن يكون اللفظ منتخباً متنخلا رشيقاً عذباً وفخماً سهلا ليس مستكرهاً بل أن يسابق معناه لفظه كما يسابق لفظه معناه ، وأن يكون المعنى غير متكلف بل ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً ، « فإذا أمكنك أن تفهم العامة معاني الخاصة ، فأنت البليغ التام » .

وأما الأسلوب فيعتمد على تقصير الفقر والمزاوجة بينها مع سجع يجيء عفو الخاطر غير متكلف ولا مجتلب . مع ميل إلى الإيجاز في الرسائل الإخوانية وبشرط الإيجاز الشديد في التوقيعات كالنماذج المعروضة .

أما الرسائل الأدبية فكانت تميل إلى الأطناب لحاجتها إلى بسط الفكرة وتفريع المعاني ومعاودتها بالترادف والتكرار لتقريرها في الأذهان . ورسائل الجاحظ شواهد على ذلك .

وأما الرسائل الديوانية فقد أفرطت بين طرفي الإيجاز والأطناب ، فكان الأطناب فيها فيما يحتاج إلى الشرح والتفصيل للإفهام كالمنشورات التي تلقى إلى العامة وكتب البيعة للخلفاء وأولياء العهود وعهود القضاء والولاية والاعلان عن الانتصارات .. الخ . وكان الإيجاز فيما يكره كالأخبار بهزيمة ، أو فيما تخشى الاطالة فيه كالتحذير من العدو ، أو فيما لا تتأتى الإطالة فيه ممن يكتبه كتوقيعات الخلفاء والوزراء .

ولقد بدأت الكتابة بمستواها الإنشائي الرفيع لعبد الحميد الكاتب — كما ذكرنا آنفاً — وانتهت بأن العميد الذي يجيء في العصر العباسي الثاني ونعرض نموذجا له

(ثانيا) وفى النصف الثاني من العصر

[أ] من رسائل ابن العميد إلى عبد الله الطبرى :

كتابى إليك وأنا بحال لولم ينغصها الشوق إليك ، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك لعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظى منها فى النعم الجليلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعيى بنجاح ، لكن ما بقى أن يصفولى عيش مع بعـــدى عنك ، ويخلو ذرعى مع خلوى منك ، ويسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظم لشمل أنسى ، وقد حرمت رؤيتك وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله فداءك ، فامتلأت سروراً بملاحظة خطك وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرظهما ، فكل خصالك مقرظ عندى ، وما أمدحهما ، فكل أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى ، وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك ، وإلا فقد « غطى هواك وما ألقى على بصرى » .

[ب] ومن المقامات:

المقامة الكوفية لبديع الزمان الهمزانى : يقول البديع : « حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت وأنا فتى السن أشد رحلى إلى كل عماية ، وأركض طرفى إلى كل غواية ، حتى شربت من العمر سائغه ، ولبست من الدهر سابغه ، فلما أن صاح النهار بجانب ليلى وجمعت للمعاد ذيلى ، وطئت ظهر المروضة لأداء الفريضة ، وصحبنى فى الطريق رفيق لم أنكره من سوء ، فلما تجالينا وخبرنا بحالينا سفرت القصة عن أصل كوفى ومذهب صوفى ، وسرنا ، أحلتنا الكوفة ملنا إلى دارة ودخلناها ، وقد بقل وجه النهار واخضر جانبه ، ولمـــا اغتمض وجه الليل وطر شاربه ، قرع علينا الباب ، فقلنا من القارع المنتاب ؟ فقال : وفد الليل وبريده ، وفل الجوع وطريده ، وحر قاده الضر والزمن المر . وضعيف وطؤه خفيف ، وضالته رغيف ، وجار يستعدى على الجوع ، والجيب المرقوع ، وغريب أوقدت النار على سفره ، ونبح العواء فى أثره ، ونبذت خلفه الحصيات ، وكنست بعده العرصات ، فنضوه طليح . وعيشه تبريح ومن دون فرخيه مهامه فسيح .

قال عيسى بن هشام : فقبضت من كيسى قبضة الليث وبعثتها إليه ، وقلت زدنا سؤالا ، نزدك نوالا .

فقال : ما عرض عرف العود على أحر من نار الجود ، ولا لقى وفد البر ، بأحسن من يريد الشكر ، ومن ملك الفضل فليؤاس ، فلن يذهب العرف بين الله والناس . وأما أنت فحقق الله آمالك ، وجعل العليا لك .

قال عيسى بن هشام : ففتحنا له الباب ، وقلنا : ادخل فإذا هو شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، فقلت يا أبا الفتح ، شد ما بلغت منك الخصاصة ، وهذا الزى الخاص ، فتبسم وأنشأ يقول :

لايغرنك الذى أنا فيـــه من الطلب
أنا فى ثروة تشق لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخذت سقوفاً من الذهب
أنا طوراً من النبيط وطوراً من العرب

التعليق على النصين

لم يكن الكتاب فى العصر العباسى الأخير فى مثل أصالة إخوانهم فى العصر العباسى الأول ومقدرتهم البيانية ومحصولهم اللغوى ، ودليل ذلك أن بعض علماء النحو واللغة عملوا فى دواوين الإنشاء مصححين ومنقحين لكتابات الأدباء فى الديوان ، ولكنهم مع ذلك كانوا يبذلون الجهد المضنى للارتفاع بمستوى كتابتهم .

لقد غرهم الزخرف وأخـــذهم بريق البديع فطاروا وراءه يكثرون من حلاه ليشتروا ضعف ملكتهم وقلة بضاعتهم البلاغية ؛ فالسجع والجناس والطباق والتورية وحشد المصطلحات العلمية والإشارات التاريخية والاستعانة بالخيال الشعرى والإكثار من التصوير البيانى وتضمين الرسائل أبيات الشعر والحكمة فى الأمثال والأحاديث النبوية والآيات القرآنية . كل ذلك وغيره من أصباغ البديع كان شغلهم الشاغل يسرفون فى التماسه ويجتهدون فى جمعه حتى كتموا به أنفاس المعانى وأكدوا به الأذهان فى فهم المراد . بل لقد تعنتوا فى كلف البديع فكان من عبثهم إلتزام حرف هجاء بعينه فى كل كلمة من كلمات الرسالة ، أو مـــداولة مفرداتها أو حروف تلك المفردات بين الإعجام والإهمال على التوالى ، أو تأليف جمل تقرأ طرداً ورداً فلا تستحيل بالانعكاس كما فى رسالتى الحريرى السينية والشينية .

ومن كتاب العصر غير من ذكرنا نصيهما : الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ ه وجار الله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ ه والقاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى المتوفى سنة ٥٩٦ ه وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ ه .

والنصان يمثلان الكتابة فى العصر العباسى الثانى ، والاتجاه الذى ساد هذا العصر بالجرى وراء الزخرف والحلى اللفظية حتى بلغ بعد ابن العميد مبلغاً أثقلت فيه الصنعة الكتابة وكبلتها بقيود زخرفية عاتية .

والنص الأول هو رسالة لأبى الفضل محمد بن الحسين العميد وزير آل بويه الذى نبغ فى الأدب والكتابة حتى قيل فيه « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » . ولقد كان أول من فتح باب الولوع بالرسائل البديعية متوخياً فيها السجع القصير الفقرات مقتبساً من القرآن الكريم بعض الآيات ، ومن السنة بعض الأحاديث ومشيراً إلى بعض الحوادث وناثرا بعض الشعر ومضمناً بعض الأمثال . وقد تشبه به معاصروه واقتفى أثره من جاء بعده من الكتاب مع شدة التزام للمسجوع وابتعاد عن المطبوع .

والنص الذى عرضناه له يمثل طريقته .

أما النص الثانى فهو مقامة لبديع الزمان الهمذانى وهى إحدى مقاماته التى قيل عنه فيها أنه أملى بنيسابور حين أقام بها مدة أربعمائة مقامة بلفظ رشيق وسجع أنيق وعلى منوالها نسج الحريرى الذى أصبح هو والبديع أشهرا علمين من أعلام المقامات .

والمقامة قصة خيالية أنشئت بعبارة مسجوعة غالباً محلاة بأنواع البديع مشتملة على كثير من الغريب ، وقد عرفت فى الأدب العربى فى القرن الرابع الهجرى وتسابق الأدباء إلى التأليف فيها على اختلاف العصور والأمصار حتى كسدت سوقها منذ مطلع القرن الهجرى الأخير .





















فضائـــل واخـلاق

سورة الحجرات

شـرح السـورة :

" بسم الله الرحمن الرحيم " :

(١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ •

المفردات :

(لاتقدموا) أى لاتقدموا امرا فحذف المفعول به ليذهـب الوهم الى كل مايمكن أو لان المقصود نفى التقديم ذاته • أو المراد من الفعل لاتتقدموا فيكون الفعل لازما لايحتاج الى مفعول به ظاهر أو مقدر • (بين يدى الله ورسوله) فيه تشبيه لحالة من يتعجـل فى الاقدام على قطع الحكم فى أمر من أمور الدين بغير اذن مـن الله ورسوله بحالة من يتقدم امام متبوعه وسيده اذا سارا فى طريق فان ذلك يكون فى العادة من الامور المستهجنة • والمعنـــى : لاتقطعوا امرا قبل ان يحكم به الله ورسوله • واذا كان المـــراد لاتقدموا أو لاتتقدموا بين يدى رسول الله فذكر لفظ الجـــلالة

وهو " الله " مع " رسوله " فى الاية تعظيم للرسول واشعار بانه من الله بمكان عظيم يوجب اجلاله •

(واتقوا الله) فى مخالفة الحكم • (ان الله سميـــــع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم •

(٢) ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِـــــيِّ وَلَاتَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ ﴾ •

(لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) : اى اذا كلمتوه وهـذا نهى عن زيادة صوتهم على صوته فى المكالمة • (ولاتجهروا له بالقـول كجهر بعضكم لبعض) اى ولاتبلغوا بالقول الجهر الدائــــر بينكم • وهذا نهى عن مساواة اصواتهم لصوته صلى الله عليـــه وسلم فى الكلام فان هذا شأن المتساوين • (ان تحبط أعمالكـم) اى خوف ان تبطل اعمالكم • (وانتم لاتشعرون) انها محبطـــة وباطلة • والوارد بالنهيين فى لاترفعوا ولاتجهروا ان يجعلـــوا أصواتهم فى مخاطبته أخفض من صوته عليه السلام كما هـــو الادب عند مخاطبة المهيب المعظم من الناس ومن اكثر مهابة واعظـــم عظمة من رسول اللـــه ؟! وتكرير النداء بيايها الذين آمنـــوا فـــى الايتيـــن للمبالغـــة فى الاتعـــاظ ولزيـادة الاهتمـــــام

بالمنادى له والدلالة على استقلاله في كل من الايتين ..

(٣) ﴿انّ الّذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ .

(يغضون اصواتهم) أى يخفضونها اجلالا له صلى الله عليه وسلم مراعاة للادب أو مخافة عن مخالفة النهى (امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى مرنها على احتمال الشدائد حتى صارت خالصة للتقوى ليس فيها سواها وأصله من امتحان الذهب واذابته ليخلص ابريزه من خبثه تقول العرب : امتحن الصائغ الذهب اذا اذابه ليخلصه مما خالطه ففى الاية استعارة لانه شبه حالة أولئك المؤمنين الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله فى خلوص قلوبهم للتقوى بحالة الذهب الذى امتحن حتى خلص من جميع الشوائب . واستعيرت الحالة الثانية للاولى .

وقد نزلت هذه الآية فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقد كان أبو بكر بعد نزول الاية السابقة لايكلم النبى عليه السلام كأخى السرار . وكان عمر اذا كلم الرسول لم يسمع كلامه حتى يستفهمه لخفض صوته .

(لهم مغفرة) أى لذنوبهم والتنكير للتعظيم (وأجر عظيم) اى لغضهم وسائر طاعاتهم .

وفى الاية الكريمة تأكيدات كثيرة لاهمية غض الصوت عند رسول الله ولبيان فضل اصحابه وللتعريض بشناعة الرفع والجهر معه وضلال فاعليهما فالاية مصدّرة بإن وهى حرف توكيد وجملتها اسمية والخبر فيها جملة اسمية اخرى مؤلفة من معرفتين هما " أولئك والذين " و " أولئك " اسم اشارة متضمن لمن يغضون اصواتهم عند الرسول " والذين " اسم موصول بصلة هى " امتحن الله قلوبهم للتقوى " وهى تدل على بلوغ هؤلاء الغاضين اصواتهم عند الرسول نهاية الكمال وجاءت " لهم مغفرة وأجر عظيم " جملة هى خبر ثان للدلالة على ثوابهم العظيم عند الله .

(٤) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

(من وراء الحجرات) أى من خارج حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم فى وقت يكون عليه السلام مستريحا فى واحدة منها . نزلت هذه الاية فى وفد بنى تميم وكانوا اعرابا جفاة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اتوا منزله فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف: "يامحمد: أخرج لنا" ثلاثا . واسند النداء اليهم جميعا حين قال تعالى " ينادونك " مع أن المنادى كان بعضهم لاكلهم لانهم رضوا جميعا بهذا النداء فكأنهم فعلوه جميعا .

(أكثرهم لايعقلون) أى اكثرهم لايجرون على مقتضى العقل وهو

مراعاة الادب مع أعظم خلق الله . وعبر بالاكثر دون الكل لان منهم من لم يقصد ترك الادب في ندائه بل نادى لامر ما .

(٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

أى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم، وفي (اليهم) اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) أى لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب وقبول طلبهم، اذ روى انهم وفدوا شافعين في أسارى بنى العنبر فاطلق عليه السلام النصف وفادى النصف. (والله غفور رحيم) أى حين اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ .

(فاسق) هو من أخل بشيء من احكام الشرع بترك مأموربه أو فعل منهى عنه والمراد به هنا مجهول العدالة، (والنبأ) هو الخبر ذو الاهمية. (فتبينوا) أى فتعرفوا وتثبتوا من صحته

قبل ان ترتبوا عليه آثاراً . أي ان اخبركم فاسق بخبر فتعرفوا صدقه وتثبتوا منه خشية ان تصيبوا قوما بمكروه بسبب جهالتكم بالحقيقة فتندموا على مافعلتم بهم متمنين انه لم يقع منكم . (والندم) هو الغم على وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه . روى انه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق ، وكان بينه وبينهم عداوة فلما سمعوا بمقدمة خرجوا يستقبلونه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهمّ عليه السلام بقتالهم فنزلت الآية . وقيل بعث الرسول اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع . وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم أي فاسق بأي نبأ . ويفهم من الآية جواز قبول خبر العدل بغير تبين .

(٧) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ .

أي واعلموا ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في كثير من الاخبار وهي باطلة فيترتب عليه احكامه ولو فعل لعنتم أي لوقعتم في الاثم والهلاك ولكنه صلى الله عليه وسلم لايطيعكم في غالب ماتخبرونه قبل التبين ولايسارع الى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه . وفي

ذلك اشعار بأن بعضهم أشار عليه بالايقاع ببني المصطلق.
(ولكن الله حبب اليكم الايمان) استدراك لبيان فضل من لم يخبر الرسول بالباطل منهم وللتعريض بذم من فعل ذلك . ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك (اولئك هم الراشدون) : أى أولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى . فالراشدون هم المستقيمون على طريق الحق الثابتون عليه .

وكان أصل الكلام أن يقول تعالى : وكرهكم الكفر والفسوق والعصيان فتتعدى كره الى مفعولين ولكنه عداها الى مفعول واحد فقال عز وجل وكره اليكم لانه ضمن كره معنى بغض فنزلت منزلتها وبغض تتعدى الى مفعول واحد وتتعدى الى الثانى بالى . والكفر هو تغطية نعم الله بالجحود . والفسوق : الخروج عن القصد والمقصود هنا الكذب . والعصيان : الامتناع عن الانقياد والطاعة أو هو كل ذنب فيكون الكلام من عطف العام وهو العصيان على الخاص وهو الكفر والفسوق .

(٨) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

أى حبب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر .... الخ . فضلا من الله ونعمة . (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل . (حكيم) حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم .

(٩) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ..

(اقتتلوا) أى تقاتلوا واسند الفعل الى واو الجماعة ولم يقل وان طائفتان اقتتلتا لاعتبار المعنى فان كل طائفة جمع . (فاصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى . (فان بغت) تعدت (حتى تفئ الى امر الله) ترجع الى ما أمر به الله من حكم . فتفئ معناها ترجع وسمى الظل بالفئ لرجوعه بعد زوال الشمس وسميت الغنيمة فيئا لرجوعها من الكفار الى المسلمين . (فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل) بفصل مابينهما على ماحكم الله . وانما قال تعالى بالعدل وقيد الاصلاح به ههنا لانه مظنة الجور من حيث انه بعد المقاتلة . فاراد ان يدفع هذا الظن والاحتمال بهذا التقييد . (واقسطوا) اى واعدلوا فى الحكم وفى كل احوالكم واعمالكم . (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء .

وقد نزلت الاية فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام . وهى ترشد الى أن الباغى مؤمن وانه

اذا توقف عن الحرب ترك وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد
تقديم النصح للباغى والسعى فى المصالحة بين الطرفين .

(١٠) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

(انما المؤمنون اخوة) لانهم منتسبون الى اصل واحد وهو
الايمان . وهذه الاية مرتبطة بما قبلها لانها تعليل للامر بالاصلاح
فى الاية السابقة ولذلك كرر الاصلاح مرتبا على هذه الاخوة
الثابتة بين المؤمنين فقال (فاصلحوا بين اخويكم) لم يقل
فاصلحوا بينهم بل وضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة فى التقرير
والتحضيض . ولم يقل فاصلحوا بين اخوتكم بالجمع بل قال بين
اخويكم بالمثنى فخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم
الشقاق فيكون هذا الكلام اشمل وادق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج . (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمال فيه .
(لعلكم ترحمون) على تقواكم .

(١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ..

(لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) أى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر . والقوم مختص بالرجال . واختيار الجمع فى قوم ونساء لان السخرية تغلب فى المجامع . (ولا تلمزوا انفسكم) أى ولا يغتب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو المعنى لاتفعلوا ماتلمزون به فان من فعل مايستحق به اللمز فقد لمز نفسه . (واللمز) الطعن باللسان . (ولاتنابزوا بالالقاب) أى ولايدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفيا . وذكر الالقاب بعده . مع أن النبز يتضمنه للتأكيد كذكر كلمة " جناحيه " بعد " طائر يطير " فى قوله تعالى : " وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم " . (بئسَ الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم الذكر المرتفع أو الصفة أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان او بئست الصفة ذلك . والمراد اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى زوج الرسول صلى الله عنها وقد أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يايهودية بنت يهوديين فقال لها عليه السلام هلا قلت ان ابى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام . واما الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح . (ومن لم يتب) عما نهى عنه . (فاولئك

هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب فذلك ظلم للنفس أى ظلم .

(١٢) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَاتَجَسَّسُوا وَلَايَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ..

(اجتنبوا كثيرا من الظن) أى ابتعدوا عنه وكونوا منه على جانب . وابهام الكثير فى اجتنبوا كثيرا ليحتاط الانسان فى كل ظن يظنه ويتأمل حتى يعلم من أى نوع هو لان من الظن مايجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى ومنه مايحرم كالظن فى الآلهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمنين ومنه مايباح كالظن فى الامور المعيشية . (ان بعض الظن اثم) وهو ظن السوء بالغير بغير دليل . والاثم هو الفعل الذى يستحسن العقوبة عليه . (ولاتجسسوا) : ولاتبحثوا عن عورات المسلمين .

فى الحديث : لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته .
(ولايغتب بعضكم بعضا) ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته . (أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا) في الكلام تشبيه ضمني أو هو كما يقول المفسرون تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه . وقد أكد القرآن الكريم تفظيع هذا الفعل بمؤكدات منها الاستفهام الانكاري واسناد الفعل الى " أحد " للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وهو أكل لحم الاخ ميتا وجعل هذا الاغتياب كأكل لحم الانسان وجعل الانسان المأكول اخا بل اخا ميتا ثم يعقب ذلك بقوله " فكرهتموه " والمقصود ان صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته . (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) اي لمن اتقى مانهى عنه وتاب عما فرط منه . وجاءت " تواب " بصيغة المبالغة لان الله تعالى بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لان الله تعالى يتوب على الكثيرين من المذنبين أو لانه تعالى يتوب على المذنبين من الذنوب الكثيرة .

(١٣) يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ..

(خلقناكم من ذكر وانثى) اى من آدم وحواء عليهما السلام او خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب • ويجوز ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من الاغتياب فيكون تقريرا للاخوة المانعة من هذا الاغتياب •

(وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب جمع عظيم منتسبون الى اصل واحد ويتشعب منه قبائل وقيل المقصود بالشعوب العرب وبالقبائل العجم وهم من عدا العرب من الاجناس الاخرى •

(لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل •

(إن اكرمكم عند الله اتقاكم) فبالتقوى تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص يقول عليه السلام من سره أن يكون اكرم الناس فليتق •

(ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم •

(١٤) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • •

(الاعراب) هم سكان البادية وقد نزلت الآية فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة • واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة والمن •

(قل لم تؤمنوا) أي قل لهم يا محمد لم تؤمنوا لأن الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ، ولم يحصل هذا لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك مقاتلته كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول في السلم وتحقق بالشهادتين .

ونظم الكلام الطبيعي اما ان يكون : لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا واما ان يكون قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل عنه الى " قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " احترازا عن النهي عن القول بالايمان اذا نظم بالصورة الاولى واحترازا عن الجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا اذا نظم بالصورة الثانية (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أي ولكن قولوا أسلمنا ولم توافق قلوبكم ألسنتكم بعد (لما) حيث يدل على استمرار نفي ما بعده الى وقت التكلم والمعنى لم يدخل الى الآن (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) لا ينقصكم من اجورها شيئا (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم .

(١٥) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ..

(لم يرتابوا) لم يشكوا وفيه اشارة الى ما أوجب نفى الايمان عن الأعراب وهو الارتياب والشك . وفى "ثم" اشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال ووقت الايمان فقط بل فى هذا الوقت وفيما يستقبل "فثم" هنا مثلها فى قوله تعالى " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " . (فى سبيل الله) فى طاعته (أولئك هم الصادقون) أى الصادقون فى ادعاء الايمان .

(١٦) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ..

(اتعلمون الله بدينكم) خطاب للاعراب أى اتخبرون الله بقولكم آمنا . (والله يعلم ... الخ) أى والله لاتخفى عليه خافية . وفى هذا تجهيل لهم وتوبيخ والاستفهام فى الاية استفهام انكارى .

(١٧) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ..

(يمنون عليك ان اسلموا) اى يعدون اسلامهم منة عليك يامحمد وانعاما . (قل لاتمنوا على اسلامكم) اى قل لهم لاتمنوا

على باسلامكم " ومن " لايتعدى الى المفعول بنفسه بل بالباء ولكنه تعالى عداها بنفسها فقال لاتمنوا على اسلامكم فنصب " اسلامكم " بنزع الخافض وهو حرف الجر او ضمن تمنوا معنى فعل يتعدى بنفسه مثل اعتدوا . (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى على مازعمتم لانهم لم يؤمنوا حقيقة ولذلك قال (ان كنتم صادقين) أى فى ادعاء الايمان . وجواب الشرط محذوف يدل عليه ماقبله والتقدير ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم . انهم لما سموا ماصدر منهم ايمانا ومنوا به على الرسول . نفى الله له ايمان وسماه اسلاما بأن قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام . وليس بجدير ان يمن عليك به . بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له وليست المنة لهم عليك .

■■■

أهل الكهف لتوفيق الحكيم

عرض وتحليل ونقد

مقدمة وتمهيد

وفدت المسرحية الى ادبنا العربي فى العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر جنسا جديدا من الاجناس الادبيه . فلم يكن للادب العربي من قبل ذلك عهد بها . وما كان يمكن ان يأخذ العرب هذا الفن عن اليونان اخذهم غيره من العلوم الاخرى كالفلسفه والمنطق عند ازدهار الترجمه فى العصر العباسي لولا اسباب حالت دون ذلك .

وقبل أن يأخذ هذا الفن الجديد مكانه فى أدبنا العربي الحديث ، وبالشكل الذى صار عليه مهدت لقيامه بعض الفنون الشعبيه كخيال الظل والاراجوز وصندوق الدنيا .

وقد بدت بشائر هذا الفن الجديد حين اخذ العرب يترجمون او يقتبسون او يعربون المسرحيات الغربية ثم يمثلونها فيما انشأوه من مسارح . ثم اكتمل شكل هذا الفن حين اخذوا يؤلفون المسرحيات العربية شعرية ونثرية .

ولان المسرحية قصة تمثل فتاريخ المسرحية هو تاريخ المسرح ، والحديث عن المسرحية يرتبط او يتوحد بالحديث عن المسرح . ويعتبر مارون نقاش فى نصف القرن التاسع عشر رائد الفن المسرحي فى العالم العربي فقد كون وشقيقه نيقولا اول فرقة تمثيلية سنة ١٨٤٨ فى سورية ، كما يعتبر يعقوب صنوع اول من اقام مسرحا عربيا فى مصر سنة ١٨٧٠ .

وجدت المحاولات لاقامة المسرح العربي فى مصر ، وتكونت فرق تمثيلية عربية كجمعية انصار التمثيل ، وجمعية رقي الأدب والتمثيل ، وشركة ترقية التمثيل العربي ، وفرقتي يوسف وهبي وفاطمة رشدي . وقد قدمت هذه الفرق وغيرها الكثير من المسرحيات ما بين مؤلف ومترجم ومقتبس . وتقوم الدولة منذ حين بدعم المسرح والعامله ، فلقد قدمت الحكومة الى الفرق التمثيلية اعانات مالية ، ومدت المسرح بروائع المسرحيات العالمية المترجمة ، ونظمت مسابقات للتأليف المسرحي ، وصرفت للمسرحيات الفائزة جوائز مالية ، وانشأت المعهد العالي لفن التمثيل المسرحي لتخريج الممثلين ، وكونت المسرح القومي والفرق الاقليمية وفرق التليفزيون .

وقد ترجمت عديد من المسرحيات والفت مسرحيات كثيرة .

ومن كتبوا المسرحية نثرا أو شعرا : نجيب الحداد ومحمد تيمور وفرح انطون ومحمود تيمور وسليمان نجيب وتوفيق الحكيم وخليل مطران واحمد شوقي وعزيز أباظة وعلى أحمد باكثير وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور .

وفى سنة ١٩٢٧ أصدر أحمد شوقي اول مسرحية شعرية ، وهى مصرع كليوباترا ، ثم تلتها مسرحياته الأخرى ، ثم تبعه بعض كبار أدبائنا من الشعراء والكتاب كمحمود تيمور وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة وغيرهم .

ومن أشهر ما مثل من المسرحيات المؤلفة : مصرع كليوباترا ومجنون ليلى لأحمد شوقي ، وصلاح الدين الايوبى لنجيب الحداد ، وأهل الكهف وشهر زاد لتوفيق الحكيم ، وغروب الاندلس والعباسة لعزيز أباظة ... الى غير ذلك من المسرحيات .

ولكن بالرغم من أنه قد أصبح لدينا عديد من المسرحيات ، فان فن المسرحية ما زال نجاحه عندنا محدودا ، ذلك لأن عمر هذا الفن فى لغتنا قصير فليس لنا منه ما لغيرنا من تراث ، ولان التشجيع عليه لا يزال قليلا . ولان انتشار المسرحية كذلك قليل ، والمسارح غير كافية عددا ولا وافية عدة ، ولان « السينما » قد نافستها منافسة خطيرة — ثم لأن بعض من تصدوا لكتابة المسرحية لم يقصدوا من ذلك الا الى الكسب الرخيص فانحدروا بمستواها الفنى الرفيع ، وبعض من تصدوا لنقد تلك المسرحيات لم يخلصوا فى حمد ما يحمد منها أو ذم ما يذم ، بل دفعهم الى كلا الحمد والذم لها علائق شخصية أو مصالح مادية .

والمسرح يحتل مكانا رفيعا فى الدول المتقدمة لانه من الفنون الأدبية ذات التأثير الفعال على جماهير الشعب ، وفى السمو بأذواقه ومشاعره وفى حياته العامة والخاصة ، فمن حقه أن ينال من الدولة والأفراد من الرعاية والاهتمام ما يضعه فى المكان الذى ينبغى أن يوضع فيه .

وتوفيق الحكيم من اغزر الادباء المعاصرين فى المسرحية التأليفية ، واعظمهم اقتدارا ، واكثرهم شهرة . ويعتبر هو ومحمود تيمور بحق زعيمى المسرح النثرى فى بلادنا .

وقد كتب توفيق الحكيم كلا من المسرحيـــة الاجتماعية والمسرحيـة الفكرية ، وقد شاركه الكثيرون في كتابة النوع الأول ولكنه تفرد بكتابة المسرحية الفكرية . ونشر منها عديدا من المسرحيات أولاها : « أهل الكهف » ومنها : بجماليون وشهر زاد والملك أوديب وايزيس ورحلة الغد ..

وقـــد قصدت من هذا العمل الذي بدأته في هـــذا الفن المظلوم ـ فن المسرحية ـ بالحديث عن « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ـ أن يكون بداية لاطلالة على اعمال شوامخ في أدبنا العربي المعاصر شعرا ونثرا . ولأن هذا العمل مجرد اطلالة فقد لا يكون فيه غير عرض لتلك الاعمال من وجهات نظر مختلفة سوف اتدخل فيها بوجهة نظر خاصة أو بوجهة نظر مؤيدة أو معارضة ، كما سوف اتدخل لتفسير ما قد يكون غامضا في هذه الأعمال من غايات أو أسباب . وقد يكون أهم ما في هذا العمل أنه يعيد التنبيه الى قيمة هـــذه الشوامخ حتى تزهو بالقدر الذي تستحق ، فيستقبلها المتلقون من القراء مفرغين في قراءتها جهدهم كله ليتخرجوا فيها مدرسة للادب بشتى أنواعه وقد يصبح منهم الأساتذة في هذه المدرسة وفي غيرها من المدارس الأدبية .

حكاية أهل الكهف :

تتلخص حكاية أهل الكهف كما يقصها توفيق الحكيم ـ في أن ثلاثة رجال من الذين اعتنقوا المسيحية في عهد « دقيانوس » الوثني الطاغية عدو المسيحية ، فروا بدينهم من وجهه ، ولاذوا بكهف لبثوا فيه ومعهم كلبهم نيفا وثلثمائة عام نائمين ، ثم استيقظوا بعد ذلك الزمان الطويل ، فانكرهم الناس وصدوا عنهم ، بل ان كلبهم انكرته كلاب المجتمع الجديد وجرت خلفه تريد الفتك به ، حتى اضطرته الى الهروب واللجوء في الكهف ليسلم الروح فيه .

ولم يجد كل من الرجال الثلاثة أمله الذي كان يعيش من أجله ، فلم يجد « ميشلينيا » حبيبته « بريسكا » ابنـــة « دقيانوس » التي اعتنقت المسيحية سرا من أجله ، واتفق معها على الزواج ، لأنها كانت قد ماتت من زمان بعيد . وكذلك لم يجد « مرنوش » زوجته وولده . ولم يجد « يمليخا » غنمه التي كان يحبها .

ولما عرف كل منهم أن أمله قد ذهب مع الزمان ، ضاقوا بالحياة ، وعادوا

الى الكهف من جديد مؤثرين المـــوت فيه على الحيـــاة فى مجتمع ينكرهم وينكرونه .

بناء المسرحية : ويشمل :

(أ) البناء الفني (أقسام المسرحية أو مشاهدها ، وشخوصها ومكانها وزمانها وأسلوبها ولغتها ٠٠٠٠) .

(ب) البناء الفكرى (مواقف المسرحية وأحداث كل موقف) .

أولا : البناء الفني :

(أ) فصول المسرحية وشخوصها :

تتكون المسرحية من أربعة فصول كل فصل من مشهد واحد ، وتدور أحداثها حول شخوص محددين بأسمائهم ، وشخوص تركها المؤلف دون أن يحدد أسماء لها ، فأهل الكهف الثلاثة هم : « مرنوش » و « ميشلينيا » الوزيران و « يمليخا » الراعى ، ورابعهم كلبهم « قطمير » ولم يطلق المؤلف اسما على الملك لأنه وجد اختلافا بين المفسرين المسلمين حوله بل حول عصر الامبراطور الذى عاش أهل الكهف فيه ، وان كان قد أخذ بما جاء فى التاريخ الكنسى من أن اسم ذلك الإمبراطور «دقيانوس» ، وأطلق اسم «الرقيم» على الوادى الذى وجد به الكهف ، وسمى المدينة التى ظهر فيها أهل الكهف « طرسوس » أخذا برأى « البيضاوى » أحد مفسرى القرآن الكريم .

ومن الشخصيات التى أضافها من خياله « بريسكا » التى حملت اسم جدتها التى كان « مشلينيا » يحبها قبل لجوئه الى الكهف، وعاد ليحب حفيدتها وسميتها بدون جدوى بعد خروجه من الكهف ، وقد سمى المؤلف مؤدبها باسم « غالياس » .

ومن الشخصيات غير المسماة شخصية الفارس الذى قابل يلميخا وفزع منه ، ثم أهل القصر وأهل المدينة .

(ب) المكان : لقد جعل الحكيم الكهف مسرحا لأحداث الفصلين الأول والأخير ، وجعل قصر الملك أو بهو الاعمدة فيه مكانا لاحداث الفصلين الثانى والثالث .

(ج) الزمان : ويمكن استنتاجه في كل فصل على حدة فقد استيقظ أهل الكهف فى الفصل الاول فى مطلع النهار وان ظنوا بسبب ظلمة الكهف انهم قد استيقظوا ليلا ، وأما الفصل الثانى فقد حدث فى آخر النهار وأما الفصل الثالث فقد حدث أثناء الليل ، واما الاخير فقد حدث فى النهار ·

(د) واما اسلوبها فهو مزاج معتدل من الروح المصرى العذب والروح الاوربى القوى ، ويظهر الروح المصرى فى القصة حين نشعر بسهولة النفس وعذوبتها وبالعبث الخفيف وبالالفاظ والجمل التى تصور النفس المصرية الآن كما صورتها فى ازمان مختلفة منذ كان للمصريين أدب عربى ويظهر الروح الأوربى حين نجد التفكير العميق الخصب الدقيق الفنى يلح فى التعمق ويغلو فى الدقة ويابى أن يترك حقيقة من الحقائق عرضة للشك أو هدفا للغموض(١) ·

وحوار « الحكيم » عامة هو ما ينفرد به « الحكيم » ومما جدد به فى أدبنا العربى لقد استخدمه ليحل محل النكتة اللفظية فى المسرح الفكاهى ، ومحل اللفظ المثير فى المسرح الدرامى ، بل محل المفاجأة الحركية للاشخاص على المسرح ، حتى استطاع أن يجعل أدباء العربية يعترفون عن طريق مسرحه الذهنى بالحوار غالبا أدبيا ·

ولقد اجرى توفيق الحكيم على لسان اهل الكهف حوارا فلسفيا شائقا رائعا ، فى قراءته لذة ومتعة ·

واما لغة المسرحية فقد كانت العربية الفصحى لانها اللغة الملائمة للمسرحية الاسطورية والتاريخية ، اذ لما كانت شخصيات المسرح الاسطورى ليست الا رموزا او واجهات لافكار الكاتب واتجاهاته الفنية والفلسفية فمن الطبيعى الا تنطق هذه الشخصيات التى ينقصها دم الحياة ونبض الحركة بلغة حياتنا اليومية · وشخصيات المسرح التاريخى اما أن تكون منتزعة من تاريخنا العربى القديم او من تاريخ قديم لدولة تختلف عنا فى لغة التعبير ، وما دام الامر كذلك فمن الطبيعى ايضا الا تنطق شخصية عربية او اجنبية قديمة باللغة التى نتحدث بها اليوم (٢) ·

---

(١) طه حسين : فصول فى الأدب والنقد ٨٥ ، ٨٦ ·

(٢) كلمات فى الأدب : انور المعداوى ص ١٤٧ ·

فاذا جاز فى مسرحنا الاجتماعى المعاصر ان ننطق شخصيات بلغة الحياة اليومية أى بالعامية فلا يجوز فى المسرح التاريخى الاسطورى أن ننطق شخصياته الا بالفصحى ، وعلى ذلك جرى « الحكيم » فى لغة « أهل الكهف » .

البناء الفكرى :

يقوم البناء الفكرى فى المسرحية على أساس ارتباط مصير الانسان فى الحياة ارتباطا وثيقا بالزمان ، فهو ليس حرا فى التخلص من زمنه ولا يستطيع أن يعيش فى كل زمن . ويقول الحكيم على لسان « مرنوش » : « ان الحياة المطلقة المجردة من كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب هى أقل من العدم ، بل ليس هناك قط عدم ، ما العدم الا حياة مطلقة » (١) فالحياة الحقيقية هى التى تخضع للزمن ، وتتسم بالحركة والتغير ، وبذلك تتولد وتختلف العلاقات بين الناس . والاحساس بالزمن يتم فى اليقظة وحين يحدث للانسان تغيير ما وهو يتحرك ، ولذلك لا يحس الانسان بالزمان وهو نائم ، ولذلك تستهل المسرحية بحوار بين الفتية اثر يقظتهم عما جرى لهم قبل النوم لأن لحظة ما قبل النوم ولحظة ما بعده مباشرة هما لحظة واحدة فى الذاكرة ، لسقوط زمن النوم لانعدام الحس به .

ولتصادم الزمان الماضى مع الزمان الحاضر يخرج « يمليخا » من الكهف الى المدينة ليحضر طعاما لصاحبيه ويصادف فارسا يفزع لمرآه الغريب من شعر طويل ، وملابس رثة ، ونقود أثرية وتبدأ التعقيدات الدالة على تأثير الزمن فى الانسان ، وتأثر الانسان به ، وتتوالى المواقف والتعقيدات فى المسرحية بسبب هذا التأثر ، حتى يضطر أهل الكهف الى أن يعودوا من حيث أتوا ، ويفضلوا الموت على الحياة (٢) .

مصادر المسرحية :

لا شك أن مصادر توفيق الحكيم لمسرحيته « أهل الكهف » قد تنوعت فهى تشمل :

---

(١) المسرحية / الفصل الثالث .

(٢) راجع تفصيلا لذلك فى القصص الدينى فى مسرح الحكيم دكتور ابراهيم درديرى ص ٣٥/٤١ .

١ ـ القرآن الكريم (سورة الكهف من الآية ٩ الى الآية ٢٢) .

٢ ـ كتب التفسير والتاريخ الاسلامى .

٣ ـ التوراة ومصنفات التاريخ المسيحى والاناجيل الاربعة وقد أفاد من هذه فى المضمون الفكرى للمسرحية بما يشتمل عليه من أفكار ومعان وقيم .

٤ ـ الأساطير الفلسفية القديمة التى دارت حول فكرة البعث ، ومما اضافه الى المسرحية منها قصة « أوراشيما » الصياد الذى تزوج بنت ملك البحر وعاد الى أهله بعد أربعمائة عام .

ولكن مما لا شك فيه أن افادة توفيق الحكيم من القرآن الكريم والتفاسير المختلفة له كان أكبر ، فقد افاد منها فى حكاية المسرحية ، وفى رسم هيكل الأحداث والشخوص ، وفى ختام المسرحية . ولقد التزم بما جاء فى القرآن الكريم عن فترة نومهم واتها ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا(١)، ولم يلتفت الى ما جاء فى غير القرآن من تحديد آخر لهذه الفترة ، والتزم بأول عدد ذكره القرآن لاهل الكهف عند سرده قصتهم ، وهو ماثل قوله تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (٢) ، ولعله اختار هذا العدد [illegible] [illegible] وكتبه [illegible] الحوار من الكاتب . وسمى المكان « بالرقيم » كما سماه اياه وأيسر فى اجراء القرآن ، واقام البناء على ابطال القصة فى النهاية كما حدث فى القرآن . وقد استمد من تفسير « النسفى » اسماء اهل الكهف .

يقول يحيى حقى : « والواقع أن هذه القصة تعتبر تصفية معقولة متزنة لجماع اقوال المفسرين عن الكهف وساكنيه » (٣) .

ومع ذلك فقد خالف توفيق الحكيم فى قصته ما كان عليه شبه الاجماع من المفسرين من أن حالة أهل الكهف بعد أن استيقظوا لم تتغير عما كانوا عليه قبل نومهم ، اى انهم سلموا من فعل الزمن أثناء نومهم لأن هذا أساس المعجزة ، ولذلك نص القرآن على انهم عندما استيقظوا اخذوا يتساءلون :« كم

---

(١) الكهف : الآية ٢٥

(٢) الكهف : الآية ٢٢ .

(٣) خطوات فى النقد ص ٦٦

لبثتم » ؟ فهذا التساؤل يدل على ان حالتهم لم تتغير ، ولانهم أرسلوا بعد ذلك احدهم الى المدينة ليستبضع لهم طعاما ، ولم يكن منطقيا أن يخرج الرسول من الكهف وهو فى هيئة من نما شعره وطالت أظافره ثلثمـــائة سنين وازدادوا تسعا ٠

لقد خالف « الحكيم » ذلك وخرج على الاجماع ليحقق جزءا من الهدف الذى قصده ، من المسرحية ولأنه اعتمد على الآية التى سبقت يقظتهم والتى تقول : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » ، وما ذلك الرعب لمرآهم الا لأن تغيرا قد طرأ عليهم ، وأن حالتهم لم تكن طبيعية ، كما اعتمد على تفسير « الألوسى» بأنهم لم يدركوا التغير الذى حدث لهم ساعة استيقظوا « لأن الذى يستيقظ لا يشعر بنفسه وأنهم شعروا بأنفسهم بعد ذلك » ٠ ولكن المنطق يميل على كل حال للتفسير الآخر (١) ٠

دوافع توفيق الحكيم الى كتابة مسرحية « أهل الكهف » :

نستطيع أن نرجع الأســـباب التى جعلت توفيق الحكيم يكتب تلـــك المسرحية الذهنية وهى : « أهل الكهف » الى ما يلى :

١ ـ أسباب ذاتية ٠ وهى التى ترجع الى ذات الحكيم وطبيعته وثقافته ٠

٢ ـ ظروف محلية ٠

٣ ـ أحداث عالمية ٠

الاسباب الذاتية :

(أ) من الناحية النفسية ، فقد كان توفيق الحكيم يعيش حياة التجرد ، مما جعله ينظر الى العالم نظرة مجردة ترجع بالعالم المنظور الى ما وراء المنظور ومن هنا كانت الغيبية فى الاتجاه الذهنى عنده ، ومن هنا جاءت اليقظات الرمزية فى فنه ، وهى رؤيه مستنزلة من عالم المعانى (٢) ، كذلك يلاحظ أن مخيلة توفيق الحكيم دائما فى شرود ومثل هذا الشرود والتية يجعل من الصعوبة بمكان أن

---

(١) خطوات فى النقد ص ٩٥ ، ٩٦ ٠

(٢) اسماعيل أدهم وابراهيم ناجى : توفيق الحكيم ـ دار سعد مصر ـ القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ١١٢/١١٤ ٠

يدرك الانسان الأشياء ادراكا صحيحا منطقيا سليما ، وتكون نتيجة ذلك أن يرى العقل الأشياء تتارجح على خضم الرموز ، وعلى هذا الوجه يمكن تفسير المنحى الرمزى فى فن الأستاذ الحكيم (١) ، والحكيم بالاضافة الى ذلك ذو مزاج رقيق ، وتفكير مستان ، وحب لتجريد المعانى والأفكار .

(ب) ومن ناحية الثقافة الخاصة ، فقد كان المام توفيق الحكيم واحاطته بالثقافة العربية عامة ، وبالقرآن الكريم وتفاسيره بصفة خاصة ، ثم كان لاتصاله بالثقافات الأجنبية عامة والثقافة الفرنسية خاصة فى فترة اقامته بفرنسا وتأثره بالجو الفرنسى الفنى والثقافى بها ، واطلاعه على المسرح الفلسفى . كان كل ذلك من العوامل المساعدة على ابراز موهبته الفنية ، وقدرته على اخراج أهل الكهف بالصورة التى خرجت بها .

٢ ـ الظروف المحلية :

فى العشرينات كانت مصر تقع تحت حكم الاحتلال ، وكان الاحتلال يجثم على صدر الأمة ، ولا يريد أن يتصور أن الشعب المصرى يستطيع أن يستقل بحكم نفسه ، فهو لا يعترف بشخصية مصر المستقلة ، ولذلك كان على الادب أن يثبت شخصية مصر بالبحث والتنقيب عن جذورها فى التاريخ ، وكان ذلك يقتضى الاهتمام بالماضى وبعثه ، ولكن حينما ظهر الاهتمام بالماضى واحيائه كضرورة لاثبات النفس المصرية ، ظهرت جماعة رأت ان احياء الماضى يعنى تقديسه وعدم المساس به وأخذه برمته دون الانتقاء منه بما يناسب الحياة الجديدة ، هؤلاء هم من كانوا يسمون من خصومهم بالسلفيين أو الرجعيين ، وكان طبيعيا أن يتصدى لهؤلاء من يرون أن بعث الماضى لا يعنى العودة بعجلة الحياة الى الوراء وانما يعنى الأخذ منه بالقدر الذى يجعل منه أساسا لحياة جديدة ، ومنطلقا الى آفاق ارحب وأوسع .

ومن هنا جاءت «أهل الكهف» لترد على السلفيين ، وتعبر عن وجهة النظر التى ترى أن بعث الماضى يعنى اثبات الشخصية والاصالة ، ولكن لا يعنى الجمود عند القديم ، فهى تمثل أهم الماضى « أهل الكهف » وقد بعثوا فى مجتمع جديد ليعيشوا فيه بافكارهم القديمة ومشاعرهم السالفة ، فلم يجدوا مكانهم فى هذا المجتمع الذى اعتبرهم أشباحا ، ولم يقبلهم كمعاصرين معايشين اعتبرهم

---

(١) اسماعيل ادهم وابراهيم ناجى : توفيق الحكيم .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

تراثا ينظر اليه باحترام وتبجيل دون ان يسمح له بان يتدخل فى حياتهم بنظراته ومثله القديمة ، فيعرقل انطلاقة الحياة وتطورها ٠

يقول الحكيم : اذن لم يكن اختيار قصة أهل الكهف بالمصادفات من بين قصص القرآن اختيارا عفويا غير ملتزم ، والا كانت قصة « يوسف » مثلا اكثر امتاعا ، ولكن الاختيار هنا لأهل الكهف كان اختيارا طبيعيا ومرتبطا بالمجتمع فى حالة تجديد فكرى وتطور حضارى (١) ٠

يضاف الى ذلك محليا ان توفيق الحكيم اراد ان يدخل للمسرحية قالبا ادبيا معترفا به فى الادب العربى ، كما ان المسرح المصرى فى ذلك الوقت الذى كتب فيه الحكيم هذه المسرحية الذهنية كان فى حالة من الركود جعلت الحكيم يلجأ الى المسرحية التى تقرا ولا تمثل . ولان عامة الشعب المصرى فى ذلك التاريخ كان ينظر الى التشخيص او التمثيل على أنه مهنة حقيرة ٠

٢ - الاحداث العالمية :

يقول توفيق الحكيم « ان الحرب ما يكاد يختفى شبحها ويسكن ثائرها وتنقشع غيومها حتى يطيب احيانا - للفن ان ينطلق من جو المسائل القومية الى جو المسائل الانسانية ، لهذا ما كادت الحرب العالمية الاولى تبعد شقتها ونهدا ثائرتها حتى اتجهت الى مصدر آخر هو الانسان فى افكاره الثابتة فى كل زمان كان ذلك منذ عام ١٩٢٨ ، حيث اخذت فى كتابة تمثيليات « اهل الكهف » و « شهرزاد » و « الخروج من الجنة » و نهر « الجنون » (٢) ٠

اهداف الحكيم فى اهل الكهف :

لقد تغيا الحكيم من كتابة أهل الكهف غايات كثيرة منها :

١ - غاية فكرية وهى : الرد على السلفيين الذين يريدون سيطرة الماضى على الحاضر ، ولذلك فهم يناهضون حركات التجديد فى الفكر والفن تحت شعار قدسية الماضى والحفاظ على التقاليد ، ولقد وضح ذلك حين أعاد « الحكيم » أهل الكهف الى قبرهم كأنه يريد أن يقول لهم عودوا بفلسفتكم الى الماضى

---

(١) من حديث توفيق الحكيم فى الاهرام الصادر فى يوم ١٩٧٦/١/١٦ ٠

(٢) مقدمة مسرح المجتمع ط ٠ الآداب ٠

ولنجعل عليكم هيكلا أو بناء نزوره من آن الى آخر بغية الذكرى والعبرة لا أكثر ولا أقل ، أما أن نتركم بيننا تعيشون وتؤثرون فى روابطنا وتقاليدنا فهو تعطيل لنا فى حاضرنا ومستقبلنا • فالمعنى الخفى الذى قصده هو شجب دعوة الرجعيين وأصحاب فكرة تقديس القديم لقدمه فحسب (١) •

٢ ـ غاية سياسية :

يقول د• لويس عوض : ربما كانت « أهل الكهف » مسرحية سياسية رمزية اتخذت من أشخاص «دقيانوس ومشلينيا ويمليخا ومرنوش وبريسكا» اقنعة تحكى قصتنا نحن المصريين ، ونومتنا فى كهف العصور الوسطى أربعة قرون تحت الأتراك العثمانيين ، ثم يقظتنا الحديثة المفاجئة لنجد أنفسنا فى عصر غير العصر ، ولنكتشف أن ما نحمله عملة قديمة غير متداول ، لا يشترى به زاد ولا يقتنى به عتاد ولا يقام به عماد • فالحكيم حين تصدى للمشاركة فى قيادة الفكر السياسى المصرى ، علم المثقفين أن يرفضوا بالعقل أيضا ما كانوا يرفضونه بالقلب كما بين لهم ماذا يرفضون •

٣ ـ غاية اجتماعية :

وهذا ما رآه بعض النقاد الأجانب فى المسرحية من القضاء على الوهم الذى طالما داعب الشرق والشرقيين وزين لهم أن يحيوا حياة كأنها الأساطير السرمدية ، حياة خارج حدود الزمان (٢) •

[illegible] : « أهل الكهف »

ويشمل ذلك بيان محاسنها أو ايجابياتها • وبيان مساوئها أو سلبياتها •

أولا : محاسنها وايجابياتها :

أغلب النقاد على أن توفيق الحكيم قد نجح بأهل الكهف التى نشرها سنة

---

(١) من حديث توفيق الحكيم للدكتور [illegible] ص ٣٦ من كتاب القصص الدينى •
(٢) المصدر السابق ص ٦٩ •

١٩٣٣ بابا جديدا في الأدب المسرحي العربي هو أدب المسرح الذهني(١) الذى يخاطب الشعور والعقل . يقول طه حسين انها « حادث ذو خطر لا أقول فى الأدب العربى العصرى وحده بل أقول فى الأدب العربى كله ... وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول: ان فنا جديدا قد نشأ فيه وأضيف اليه ، وان بابا جديدا قد فتح للكتاب واصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه الى آماد بعيدة رفيعة ؟! ثم يقول : « انها اول قصة وضعت في الأدب العربى ، ويمكن أن تسمي قصه تمثيلية حقا ، ويمكن ان يقال انها اغنت الأدب العربي وأضافت ثروة لم تكن» . وقد أثنى كبار أدباء العربية فضلا عن ذلك على توفيق الحكيم حين أصدر هذه المسرحية من جوانب مختلفة : من حيث الموضوع ، ومن حيث طريقة البناء والتحليل والحوار ، ومن حيث ما تضمنه من مبادئ وحقائق ، ومن حيث غاياتها التي ترمى اليها .

فالموضوع شائق لا يمل ، وبناء المسرحية محكم دقيق ، وقد ارتبط الحكيم بالاطار العام للقصة المأثورة ، ثم أتي بتفصيلات ملأ بها هذا الاطار فاكسب القصة حيوية من جهة ، ودلالة من جهة أخرى بما ضمنها من آراء وفلسفة .

يقول طه حسين : الحكيم لم يخترع الموضوع وانما « استكشفه » فموضوع القصة موجود في القرآن الكريم في آيات كريمة هي أعذب وأسمى ما يعرف من آيات البيان العربى ، وموضوع القصة معروف كذلك في القصص المسيحية وانما بعث فى « أهل الكهف » حياة فيها قوة وخصب وفلسفة تمكنها من الاتصال بالحياة الانسانية العامة على اختلاف العصور والبيئات من نواح غير ما عني بها القرآن والأحاديث المسيحية ، مدخلا عناصر جديدة لم تدخلها القصة القديمة ، أهمها عنصران : الأول عنصر الفلسفة ، والثانى عنصر الحب ، فقد صور القرآن والأحاديث المسيحية أشخاص القصة فى سذاجة ووداعة وايمان لا حد له ، ولكن الحكيم صورهم وقد تعقدت حياتهم فتعقدت نفوسهم ، ففقد اثنان منهم السذاجة والوداعة والايمان المطلق ، ولم يحتفظ بهذه الخصال الا شخص واحد وهو «يمليخا» الراعى ، وبذلك استطاع

---

(١) يرى د. درديرى أن « مى زيادة » سبقت توفيق الحكيم فى المسرح الذهنى الرمزى بعشر سنوات بمسرحية قصيرة اسمها « على الصدر الشفيق » وقد شارك توفيق الحكيم فى كتابة المسرحية الفكرية النثرية كل من فريد أبو حديد فى « عبد الشيطان » وزكى صالح فى « ايزيس » وبشر فارس فى « مفترق الطرق » واحمد صبرى فى « كاهن آمون » .

أن يجعلهم أبطال قصة تمثيلية حديثة ، فهو قد خلق أشخاص القصة خلقا جديدا ، وأدار بينهم حوارا فلسفيا رائعا مثيرا ، به طائفة من الآراء والمذاهب تدور حول الزمن والبعث ، والعلاقة بين الانسان والزمن ، والحى والأحياء ، والقلب والعقل ·

وقد صور الحب فى القصة فى غير تكلف ومن غير مصـــادمة للشعور الدينى ، صوره حبا صوفيا طاهرا بريئا من كل شائبة ·

وقد كان بارعا فى تصوير شخصية المؤدب « غالياس » ليمثل به من يصطنعون العلم وهم أنصاف متعلمين ، ومن يريدون أن يكونوا فلاسفة وهم سذج ، أو يريدون أن يكونوا أذكياء وفيهم غفلة ، أو يتظاهرون بايثار الايمان على الحياة وهم يحبون الحياة ويحرصون عليها »(١) ·

ولكن اذا كان موضوع المسرحية معروفا ـ كما يقول طه حسين ـ وهو كذلك بالفعل ، فهل يطعن ذلك فى حد ذاته فى اختيار توفيق الحكيم له ؟ من وجهة نظر البعض أن الأمر على العكس من ذلك ، يقول جوته « لو بدأت حياتى الفنية مرة أخرى لما شغلت نفسى بتأليف قصة من ذهنى ، ولاقتصرت دائما على اعادة كتابة القصص القديمة مع تموينها بمعان جديدة حيوية» ، ويقول يحيى حقى تعقيبا على هذا القول ، وتأييدا له : يذكرنا ذلك بالتراجيديا اليونانية فى ازدهارها فقد كان اغلبها يدور حول موضوع قديم تعرفه النظارة قبل أن يرفع الستار كقصة « أو ديب الملك » التى احتفل بها أكثر من مؤلف واحد»(٢)

وقد كان تحليل توفيق الحكيم فى المسرحية عظيما ودقيقا وذكيـــا ، النور ، لبريسكا ، كيف شعرت بأنها ماتت عندما حييت فيها جدتها بعودة مشلينيا ··· انه توفيق حكيم : ولا عجب فللاستاذ من اســــمه نصيب كبير(٣) ·

ولنا أسلوب الكاتب فى المسرحية فهو الأسلوب الجديد الخالى مما كان يشوب الأساليب التى سبقته بعصره من اللفظية والخطابية والاهتمام

---

(١) طه حسين بتصرف فصول فى الادب والنقد ص ٨٦/٨٩ ·

(٢) خطوات فى النقد ٩٤ ، ٩٥ ·

(٣) يحيى حقى : المصدر السابق ص ٩٩ ·

بالرصانة والازدواج وقوة جرس الكلمات .. الخ ، فجاءت عبارته مركزة محددة موجهة مبلغة بمعنى الرمز وتعدد مستويات المعاني .

ويدافع يحيى حقي عن الحكيم حين يتهمه المازني وطه حسين وغيرهما بالوقوع في الأغلاط القبيحة التي يمس بعضها جوهر اللغة ، ويمس بعضها النحو والصرف ، ويمس بعضها الأسلوب وتركيب الجمل (١) فيقول«أي كتابة في مصر لا تخلو من الغلط ؟! لم يدع الأستاذ الحكيم أنه نحوي أو صرفي أو ان قصته حجة في الأسلوب ، وكل ما أراه هو ان يكون طبيعيا غير متصنع ولا متكلف . ان الاسلوب هو حجة وجود بعض الكتاب ، أما الفكرة فليست بذات بال ! » .

ونحن وان كنا نقبل كلام يحيى حقي في دفاعه من حيث أهمية الفكرة وان الأستاذ الحكيم قد أعطانا بالمسرحية فكرة أو أفكارا نقدرها ونعتز بها ، الا أننا لا نقبل دفاعه عنه بالنسبة للاسلوب ، لأن العمل الأدبي لا يقوم الا على الدعامتين الفكرة والأسلوب ، ولولا الاسلوب لما كان هناك فرق بين الأعمال الأدبية والكتابات العلمية .

ولقد وفق الحكيم في حواره غاية التوفيق ، ولعله لا نظير « للحكيم » في ادارة الحوار ، وفي اصطناع الفلسفي منه ، أو مزج الفلسفة به ، ولكن يعاب عليه أن شغفه الشديد بالجدل العقلي أدى به أحيانا الى التعقيد وتغليف المعاني بحيث يصعب ادراكها أو يتضارب تفسيرها في بعض الأحيان ، وفي الاستطراد في أسلوبه كالاستشهاد بأسطورة الصياد الياباني (٢) والاطناب في الحديث عن رؤية الفراعنة للبعث ، وصراع مصر القديمة مع الزمن ، وحكاية ارث بريسكا لعذيب جدتها ، فهذه التفاصيل لا تخدم تطوير الفكر أو تساعد على كشف جوانب أساسية في الشخصيات وان حققت وظيفـــــة في الترغيب والتشويق .

وأما المبادئ أو الحقائق التي عاونت المسرحية على تثبيتها واجلائها فمنها:

١ - ضرورة الاحساس بالانتماء ، فنحن لا نحيا الا لأن بيننا وبين الناس علاقات ووشائج متينة . يقول « مرنوش » عن زوجته وولده « اني أحيا بهما ولهما » .

---

(١) أنظر فصول في الادب والنقد لطه حسين ص ٨٩ .
(٢) المسرحية : الفصل الرابع .

٢ ــ ان الحياة لا تقوم بغير الحب : فالحب هو القوى يقف فى وجه كل شىء ويعلو على كل شىء : يقول « مرنوش » : « ان الحب يقتلع كل شىء حتى الصداقة وحتى الايمان » وقد اعتنق «مرنوش » المسيحية لا لايمان بها بل حبا لزوجته التى كانت مسيحية ، واعتنقت «بريسكا الاولى» المسيحية مع ان اباها «دقيانوس» كان اكبر عدو للمسيحية ، وما ذاك الا للحب الذى ربط بينها وبين «مشلينيا » الذى كان مسيحيا فاعتنقت المسيحية من أجله . ولم يقم « مشلينيا » وزنا لفارق الزمان بينه وبين «بريسكا الثانية » ، ما دام قلبه متفتحا للحب ، وحب « يمليخا » لغنمه جعله يأمل فى الحياة ، ولكن ضعف هذا الحب لانه قائم على علاقة مادية واهية هى قطيع الغنم ... ضعفه بالنسبة الى حب « مرنوش » لزوجته وابنه ، وبالنسبة الى حب « مشلينيا لبريسكا » جعله يفقد الأمل فى الحياة سريعا ، وحب «مرنوش» لزوجته وابنه جعله يبقى على امل فى الحياة اطول من « يمليخا » ، ولكن عدم وجود بديل لحبه لزوجته وابنه «كمشلينيا» جعله لا يستمر على امل فى البقاء « كمشلينيا » اما « مشلينيا » فقد طال أكثر منهم جميعا ، لانه عاش على امل حب « بريسكا الاولى » ثم لانه عاش على أمل حب « بريسكا الثانية » وهو لم يحبها كالأولى لانها لا تملك ما كانت تملكه الأولى من معان روحانية خاصة ، ولأنها لا تقبل حبه لها لفارق الزمان بينهما ، ولأنه لا يحبها وانما يحب « بريسكا » الأولى فيها ... حتى اذا فقد الأمل فى الحب فقد الأمل فى الحياة ولحق بصاحبيه فى الكهف ليقضى فيه نحبه .

ثم ان تسلل حب «ميشلينيا» الى قلب « بريسكا الثانية » بعد ان لحق بصاحبيه فى الكهف بفترة ، واحساسها بان الحياة فقدت كل معنى فيها بفقده هو الذى دفعها الى أن تدفن نفسها حية معه وتنتحر وتقول : انهض يا «مشلينيا» .. أنى منذ حادثتك اول مرة كأنى احبك منذ ثلثمائة عام ، وسوف أحبك الى آلاف الاعوام ، وهو الذى يدفعها الى ان تلح على مؤدبها « غالياس» الا يذكرها للناس بعد موتها حتى يقص قصتها على انها قديسة ، وانما على انها امراة أحبت .

واما غايات المسرحية التى ترمى اليها فكما ذكرنا من قبل أن المسرحية قد تغيت غايات نبيلة فكرية وسياسية واجتماعية فلم تكتب عبثا بل لم تكتب لاهداف ليست بذات بال وانما كتبت لاهداف نبيلة عظيمة .

ثانيا : مساوئها وسلبياتها :

لعل اول ما يوجه الى المسرحية من النقد والمآخذ ــ انها مسرحية فكرية ذهنية تصلح للقراءة ولا تصلح للتمثيل . وقد اعترف بذلك الحكيم نفسه

حين قال : ان ملعب هذا المسرح العقل والفكر لا المنصة ، وانه لم يفكر عند كتابة مثل هذه المسرحية في ظهورها على المسرح الحقيقى ، معللا بظروفها التاريخية التى ألفت فيها ، فقد عاد من أوربا فوجد أن المسارح تختفى من القاهرة ، مثل مسرح « عكاشة» ومسرح« منيرة المهدية» ، فالمسرح غير موجود ، اى ان تمثيلها من فرقة معينة وعلى مسرح معين في تاريخ معين لم يعد أمرا محددا واضحا أمامه وكان همه أن يفصل مسرحياته عن المسرح ويلحقها بالأدب ، يقول : «لأن الأدب في بلادنا أكثر استقرارا أو استمرارا أو ارتباطا دفعت بمسرحياتي الى المطبعة متجاهلا المسرح الذى كان وقتئذ في حالة احتضار حقيقى ، وكان لى ما أردت من ايجاد جمهور المسرحية المطبوعة يطالعها في كتاب باعتبارها أثرا فنيا مستقلا بذاته » .

ويقول : « انعماد التكتيك الذى اتبعته في مسرحياتى الذهنية الـ هو صراع الافكار ، وحوار العقول ، وروح الشعر في لغة المسرحية ، أكثر من الاعتماد على المواقف الحركية ، والمفاجآت المسرحية ، وان كنت لم أغفل هذه المفاجآت للتشويق والقضاء على الملل عند المتفرجين » (١) .

يقول يحيى حقى « أن الاستاذ كتب أهل الكهف للقراءة لا للتمثيل ، ولو كتبت للمسرح لما أمكن الحكم عليها الا اذا مثلت ، ولم تجد هذه التمثيلية للآن مسرحا فى مصر ، ان قوة المسرحية مهما أصبحت حبيسة لا يظهرها الا محيط يفهمها ، من ممثل يستطيع أن يؤديها الأداء الفنى تستحقه ، ونظارة في مكنتها ان تجاوب على ايماءاتها واشاراتها ، هل يستطيع موليير او « شكسبير» أو «ابسن» أن يعيشوا من غير مسرح أو ممثلين ؟! »

ويعلل يحيى حقى هذا الإتجاه الذهنى الصالح للقراءة لا للتمثيل فى أدب الحكيم وغيره من الأدباء المصريين - الى أن الأدب فى مصر فردى لا يصدر عن روح عامة قوية تعطى لتأخذ ، وتوحى لتستمتع ، والذنب ليس على مصر ، وانما على الكتاب الذين همهم ان يعلموها قبل ان يفهموها وعلى احساسهم

---

(١) من حديث الاستاذ الحكيم ليوسف الشارونى (دراسات فى الادب المعاصر ص ١٩) . ومن حديث له للدكتور دريني (القصص الذهبى مخشر ص ٤٥) ومن مقال له بمجلة الادب يوليو سنة ٥٣ ص ٢٠

الضعيف المنقطع عن روح مصر ولذلك فان هذا الأدب الفردى لا يفترق عن الصرخة تدوى فى واد (١) ٠

ولكن الحكيم مع اعترافه بهذا العيب ، ومع وضوحه جيدا فى أهل الكهف وغيرها من المسرحيات الذهنية ـ يحاول بعد ذلك الدفاع عن نفسه ولصق العيب بجمهورنا العربى وبيئتنا العربية ، فيقول : ان اختلاف البيئات فى مجتمع واحد وعصر واحد قد يجعل للاثر الواحد حياتين مختلفتين ، ويضرب مثلا على ذلك بتجربته فى أهل الكهف وغيرها من مسرحياته الذهنية ، وانها قد استطاعت أن تحيا بعض الحياة فى الكتب ، ولكنها لم تستطع الحياة حتى الآن فوق مسرحنا العربى ، مما جعله يعتقد انها لم تكتب الا لتنشر فى كتب ، الى أن تنقل الى لغات اجنبية ، واطلع على بعض تقارير متحمسة لبعض رجال المسرح الأوربى عن صلاحيتها هناك للحياة والتمثيل ٠٠ فعرف ان اختلاف البيئة الثقافية الشديد لدينا بين قراء الكتب الأدبية ، وروّاد المسارح العامة ، هو الذى يجعل لمثل هذه الأعمال هاتين الحياتين المختلفتين (٢) ٠

ويقول د ٠ درديرى : لا يمنع فشل الفرقة القومية فى تمثيل أهل الكهف عام ١٩٣٥ م من صلاحيتها للتمثيل اذا ما توافرت الامكانيات الفنية المعينة للمسرح الذى تمثل عليه ، وربما لو عرفت مصر مسارح الجيب آنذاك لقدر لأهل الكهف أن تنجح كعمل مسرحى يتذوقه جمهور خاص لا جمهور عام (٣) ٠

ولكن د ٠ مندور مؤمنا أن جودة المسرحية تتوقف على صلاحيتها للتمثيل ـ لا كما يقول الحكيم ـ ومؤمنا بأن «أهل الكهف» مسرحية ذهنية ضعيفة الحركة يقول : « والظاهر أن توفيق الحكيم نفسه قد أخذ يغير من اتجاهه الرمزى الذهنى فى معالجة الأساطير ، محاولا أن يقترب بها من الواقع الانسانى وأن يوفر لها من الحركة المسرحية ما يضمن لها شيئا من النجاح عند تمثيلها على المسرح : وهذا ما يمكن أن نستخلصه بسهولة من آخر مسرحية اسطورية كتبها وهى مسرحية «ايزيس» (٤) ٠ فقد خلص هذه الإسطورة من الخوارق ليدنو بها من الواقع الانسانى ، كما أدخل المفاجأة الرومانسية فى خاتمة المسرحية لينفث فيها الحركة وينجو من الرتابة ٠

---

(١) خطوات فى النقد ص ٩٧ ٠
(٢) فن الأدب لتوفيق الحكيم ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ٠
(٣) القصص الدينى ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠
(٤) المسرح ص ١١٥ ، ١١٦ ٠

ويرى يحيى حقي أن « الحكيم» نتيجة لانه كتب المسرحية للقراءة لا للتمثيل لم يعد في أولها أشخاص القصة . ولو فعل لاستغنى عن تقديم «مرنوش» الى القراء في أول سطر منها بقوله « وهو أحد الرجلين» .

ويفسر طه حسين كيف ان المسرحية للقراءة لا للتمثيل فيقول ان الحكيم قد غلبت عليه الفلسفة والشعر حتى نسى ان للنظارة حقوقا يجب ان تراعى . فاطال في بعض المواضع وكان يجب ان يوجز . وفصل وكان يجب ان يجمل. وعمق وكان يجب ان يكتفى بالاشارة ومن من الكثير على النظارة ان يستمعوا القصة الطويلة جدا التى تقصها « بريسكا » على « غالياس» وهى تودعه وقد اعتزمت أن تموت في الكهف مع عشيقها القديس . (١)

ومن أقصوصة أو أسطورة الصياد اليابانى التى أوردها الحكيم على أنها مشبهة لقصة أهل الكهف ـ لتعد حشوا في المسرحية لا داعى له ، وقد ذكر مندور أنه لولا حشو المسرحية بهذه الاسطورة لجاز أن نعتبرها في مستوى المسرحيات العالمية الكبرى (٢) . والى جانب طول المناقشات الفلسفية في المسرحية وغلبة الأسلوب الشعرى الذى أخرجها من مسرحية التمثيل الى مسرحية القراءة فان فلسفة المسرحية كان يشوبها الغموض والإبهام ولم يكن مذهب « الحكيم » الفلسفى فيها واضحا بحال . فالقارئ يخرج من القصة وهو لا يدرى هل الحياة موجودة ، أو هى وهم أو هى حلم ؟ وهل الزمن حقيقة او هو اختراع أوجده عقل الانسان ؟ ولا يعرف الوجود فليس في عالمنا حقيقة واحدة يمكن اتخاذها نقطة ثابتة فى رسم خريطة أفقنا .

ويرى « يحيى حقي » أن مذهب المؤلف هو التصوف الذى يرمى الى القول بأن كل موجود هو من الله ، والله دائم ،فكل ما هو موجود دائم ، وأن الزمن احدى خصائص عقل الانسان . ثم يرى «حقي» أنه لامكان لنزعات التصوف فى مصر ، لانها ميدان قتال مادي ، وهو يستلزمنا أقصى الجهاد ، وأنه قد يكون مفهوما في البلاد القوية كانجلترا وفرنسا التى من ورائها الجيوش والأساطيل ، أما فى مصر الضعيفة فهو غير مفهوم ، فقصة أهل الكهف خطرة على شبابنا اذ ليس كل القراء في ثقافة المؤلف والنظرة السطحية للتصوف اما أن تشجع على التكاسل والهروب من المسئولية . واما أن تخلق الانانية التى

---

(١) فصول فى الأدب والنقد ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٢) المسرح ص ١١٤ .

تقطع صلة الانسان بمن حوله ، على حين أنه لا خلاص لمصر الا على يد مجهود مشترك يبذل فيه كل شخص أقصى مالديه دون نظر الى منفعته المباشرة (١) ويعزو طه حسين عدم وضوح مذهب توفيق الحكيم الفلسفي في أهل الكهف الى تواضعه وعدم تعصبه ، فهو لا يريد أن يفرض عليك مذهبا بعينه ، وانما يريدان يثير في نفسك التفكيرفيطائفة من الآراء والمذاهبلتفكر فيها ، وتلتمس لها الحل لعلك تظفر به (٢) .

ويقول د. درديري : أن من نقدوا المسرحية ووصموها بالغموض والابهام لم يتفحصوا مضمونها وافكارها ، ولعل الباعث الأول على الغموض والابهام كان طبيعة صراع الانسان مع الزمن كي تستمر الحياة ، وقدشكل «الحكيم» الزمن تشكيلا دراميا بحيث تناوله من عدة أوجه، وعلىأكثر منمستوى. وعرض لكل وجه ومستوى من نواح مختلفة حسب طريقته في تفتيت الفكرة الواحدة الى جزئيات . ويرى أن من طبيعة العمل الفني الايماء والابهام . لا التقرير والتحقيق ، يضاف الى ذلك أن الأعمال الفنية الرمزية باطنها أعمق من ظاهرها (٣) .

ويعاب « الحكيم» في أهل الكهف كذلك من ناحية عدم واقعية حواره ، ففي حواره نوع من المقابلات الذهنية أو اللفظية الذكية البعيدة عن الحوار الواقعي ، ولكن الحكيم يدافع عن ذلك قائلا ان حوار شكسبير مثلا لا يجرى على منطق الحديث الواقعي بين الناس في الحياة ..

وقد عيب على توفيق الحكيم الانهزامية أو السلبية التي تبدو واضحة في مواقف متعددة في المسرحية وفي بعض حوارها « فالحكيم يجعل أهل الكهف يلوذون بالفرار ويعودون الى الكهف بعد أن لم يستطيعوا التكيف مع المجتمع الجديد ، ولقد أنهى الصراع الرئيسي الذى أقامه بين القلب والزمن ، قلب « بريسكا » والزمن الذى تمثله مشلينيا في الكهف .. انهاء بما أراده من انتصار للقلب على الزمن ولكن باتحاد بريسكا بأن دفنت نفسها حية مع مشلينيا ليتم الاتحاد العاطفي في عالم الموت بعد أن عجزت يد الحياة عن

(١) خطوات في النقد ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) فصول في الأدب والنقد ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) القصص الديني ص ٦٢ .

صنع هذه المعجزة ، وهذا ليس انتصارا ولكنه صورة مجسمة للهزيمة (١) .

وتظهر سلبية الحوار فى مثل اشارة الحكيم الى اخفاق مصر فى مقاومة الزمن وانتقام التاريخ (١) .

ويرد د . عز الدين اسماعيل ود. درديرى على هؤلاء الذين يتهمون المسرحية بالسلبية فيرى د . عز الدين أن هدف دعوة الحكيم من المسرحية هو القضاء على الوهم الذى طالما داعب خيال الشرق ، وزين له أنه يمكن أن يحيا كأنها الاسطورة السرمدية ، حياة خارج حدود الزمان والواقع .. فالنظر الى عودة أهل الكهف الى الكهف على أنه هروب وانهزام أمام الحياة ، واننا فى حاجة الى الأدب الدافع المثير ، نظر قائم على غير أساس ، لأن أول ما يعترض تحقيق هذه الغاية من أهل الكهف هو أن تسقط المأساة أو تفقد القصـــة عنصر المأساة فيها ، فهذه النهاية بعودة أهل الكهف انما كانت لكى تكتمل المأساة وليس هروبا .

ومما يعاب على « الحكيم » أن بعض ما أجراه من فلسفة على لسان بعض الشخصيات لا يتفق مع دور تلك الشخصية ، كالفلسفة التى أجراها على لسان « يمليخا» الراعى ، وما ذلك الا لأن المؤلف لم يستطع أن يبتعد بثقافته عن الشخصيات فطغى تفكيره على تفكير الشخصيات الروائية وسلوكها ،وتكلم من فم كل بطل من الابطال ، وهذا تصنع وتكلف .

كذلك فان مما يعاب على « الحكيم » تلك الشتائم الكثيرة المتوالية التى جعل « بريسكا » تهديها الى مؤدبها « غالياس» كلما كلمته وما كان يحق لها أن تفعل ذلك .

ولعل أخطر ما وجه الى توفيق الحكيم فى « أهل الكهف » مـــا قاله « حبيب الزحلاوى » من أن قصته منقولة من قصة انجليزية فى أواخر القرن الماضى هى قصة «الالتفات الى الوراء» وقد ذكر أن الحكيم قد قلد فى عشرة مواقف فى أهل الكهف مواقف أبطال تلك القصة تقليدا تاما فى التناسق

---

(١) د . عبد القادر القط فى «الأدب المصرى المعاصر » ، وراجع فى الحديث عن سلبية المسرحية : «فى الثقافة المصرية» لعبد العظيم انيس ومحمود العالم . وتوفيق الحكيم .اسماعيل ادهم .

(٢) المسرحية : الفصل الرابع .

والحوار والسياق ، وفى صيغ الكلام وفى التفكير الآلى وفى العودة بالذاكرة الى ماضيهم البعيد ، والى مقارنة حاضرهم بمستقبلهم ، والى الموازنة بين ما هم عليه وبما سيئولون اليه ، والى عودتهم فى النهاية الى الكهف ليدركهم الموت طبقا لرغبتهم ، فهل من المعقول ان تكون كل هذه المواقف جاءت مصادفة؟! (١) .

الا أن جماعة من النقاد «كالعقاد» و «تيمور» تصدوا للدفاع عن الحكيم، فذكر «تيمور» أن تشابه الموضوع لا يمحو اصالة المبدع الذى يعالجه معالجة جديدة ، ومن وجهة نظر مختلفة ، وبفلسفة مميزة . وذكر «العقاد» انه مع وجود الاتفاق مع القصة الاجنبية يوجد الاختلاف . وقد نجم الاتفاق عن وحدة الموضوع وان الحكيم قد «مسرح» الموضوع ولم يقتبس لان قصة أهل الكهف معروفة .

هذا وقد أعطى الحكيم دلالة رمزية لابطال قصته «فمشلينيا» يمثل العاطفة . و«مرنوش» يمثل العقل أوالفكر . و «يمليخا» يمثل الفطرة .

ويفند د. هدارة كذلك مزاعم القائلين بسرقة «الحكيم» للمسرحية لان لها أصلا فى الآداب الاوربية اقتبسها منه ، فيقول : ان ما فعله « الحكيم » بها نوع من الاحتذاء Imitation لا السرقة Plagiarism ، وفرق بين اللفظين . اذ السرقة تكون باتحاد الفنانين فى فكرة واحدة ، وألفاظ وعبارات مشتركة بعينها ، ويكون أحد الفنانين سابقا على الآخر ، والا لم تكن سرقة .

ويقول : « ولم يسلم شاعر أو كاتب فى اى أدب من الآداب وفى أى زمن من الاتهام بالسرقة ومن ذلك مثلا ما ادعاه « بيرسى آلن » من أن رواية « ماكبث» لشكسبير مسروقة من Arden Fevrsham والذى دعاه الى هـذا الاعتقاد الخاطىء أن كلا من الروايتين تدور حول جريمة واحدة » .

ثم يقول مفسرا معنى الاحتذاء : « فالاحتذاء أو التحوير الفنى هو أساس الفنون جميعا ، ولا يتنافى مع وجود أصالة فنية أو شخصية ادبية لها كيانها ومميزاتها الفنية ، فقد كان موليير يقول : «انى آخذ المعنى الحسن حيث أجده» ومع ذلك فلم يكن الا موليير واحد . والابتكار فى العمل الأدبى ليس معناه « اختراع شىء من الهواء » ولكن معناه وجود مادة تتفاعل مع شخصية قوية فتتمثل خلقا جديدا ، فلولا الأساطير القديمة لما وجد كتاب المسرحية اليونانية

---

(١) انظر : شيوخ الأدب الحديث ص ١٦٨ ، ١٧٨ .

ولولا الاغانى الشعبية لما كتب الموسيقار العظيم «باخ» موسيقاه الرائعة .
يقول جوته : « فى كل فن توجد صلة نسب ، فانك اذا رأيت فنانا كبيرا فلابد انه قد وعى أحسن ما عند أسلافه ، وأن هذا هو الذى جعله عظيما ، فالرجال أمثال روفائيل لا ينبثقون من الأرض وانما يأخذون أصلهم من القديم ، فالفن كما يقول « اليوت » لا يتغير ، ولكن مادته هى التى لا يمكن أن تبقى كما هى ، فلا ينال من فن الحكيم مشابهة عارضة بينه وبين أثر أوربى أو أكثر ، والاحتذاء الفنى اذا كان يأخذ به « الحكيم » حق طبيعى له كما هو لكل فنان » . وينتهى الدكتور هداره فى رده مهاجما نقاد الحكيم فى مسرحيته ومشبها اياهم ببعض أسلافنا من النقاد ، فيذكر أن ذلك منهم عود الى جهل بعض النقاد العرب الاقدمين لطبيعة الفن والخلق الفنى ووصفهم جميع الشعراء والكتاب بالسرقة(١) .

ونقول : انه بالرغم من كل ما وجه أو يوجه الى أهل الكهف لتوفيق الحكيم من نقد فانها لا شك تعد معلما بارزا من معالم التطور الفنى ، ولذلك فقد اقبل الغرب على ترجمتها إلى لغات مختلفة ، وقد مثلت على مسارح أجنبية ، ومنح الحكيم من أجلها وأمثالها أنواط الشرف باعتباره كاتبا مسرحيا .

ولذلك نقول — كما قال طه حسين — انه « يجب أن تقرأها ، فما ينبغى لمثقف فى الادب العربى أن يجهل هذا الأثر الادبى البديع (٢) .

---

(١) مقالات النقد والأدب ص ١١٧ ، ١١٨ .
(٢) فصول فى الأدب والنقد ص ٨٩ .

أهم مراجع البحث

١ _ توفيق الحكيم _ أهل الكهف _ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣ .
٢ _ توفيق الحكيم _ مسرح المجتمع (المقدمة) ، ط . الآداب .
٣ _ توفيق الحكيم _ مقال منشور بجريدة الاهرام ١٦/١/١٩٧٦ .
٤ _ د . ابراهيم دردیری : القصص الديني في مسرح الحكيم _ دار الشعب ط ٢ سنة ١٩٧٥ .
٥ _ طه حسين : فصول في الأدب والنقد _ دار المعارف بمصر ط : سنة ١٩٦٩ .
٦ _ يحيى حقي : خطوات في النقد _ مكتبة دار العروبة .
٧ _ د . عز الدين اسماعيل : قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر . من سلسلة الألف كتاب ع ٤١٣ _ دار الفكر العربي .
٨ _ أنور المعداوي : كلمات في الأدب _ المكتبة العصرية _ صيدا _ بيروت سنة ١٩٦٦ .
٩ _ . محمد مندور : المسرح . دار المعارف ١٩٥٩ .
١٠ _ . محمد مندور : في المسرح المصري المعاصر ، دار نهضة مصر ١٩٧١ .
١١ _ . محمد مصطفى هدارة : مقالات في النقد الأدبي . دار القلم ١٩٦٤ .
١٢ _ د . عبد القادر القط : الأدب المصري المعاصر .
١٣ _ عبد العظيم أنيس ومحمود العالم : في الثقافة المصرية .
١٤ _ اسماعيل أدهم : في الثقافة المصرية .
١٥ _ يوسف الشاروني : دراسات في الأدب المعاصر .
١٦ _ مجلة الآداب يوليو ١٩٥٣ .
١٧ _ الموسوعة العربية الميسرة ١٩٦٥ . اشراف محمد شفيق غربال .
١٨ _ اسماعيل أدهم وابراهيم ناجي : توفيق الحكيم . دار نهضة مصر القاهرة ١٩٤٥ .



من الأدب في
العصـــر الحديث

* * *

الأدب الاجتماعي

يُطلق اسم العصر الحديث على الفترة الزمنية التى تبدأ من أول القرن التاسع عشر إلى الان . أو التى تبدأ من الحملة الفرنسيّة على مصر أو من عهد « محمد علي » إلى الآن .

ويشمل من البيئة المكانيّة البلاد العربية جميعاً مُضافاً إليها « المهاجر » . والعصر الحديث امتاز عن غيره بالتّقدّم الثّقافى والحضارى والعلمي . نتيجةً لأسباب عدّة منها :

التعليم . واحياء التراث العربى . وانشاء المكتبات العامّة . ووسائل الإعلام . وكان ذلك بسبب اتّصال العرب بالغرب . وأخذهم عنه كثيراً من ألوان المعرفة والحضارة والتّقدم .

اتّجاهات الأدب فى العصر الحديث

وقد اتّجه الأدب فى العصر الحديث إلى غرضين أساسيّين :

أوّلهما الغرض السياسى الذى يتمثّل فى مُكافحة الاستعمار والدّعوة إلى الاتّحاد والقوميّة العربيّة .

الثاني :. الأدب الاجتماعى . والمقصود به هذا الأدب الذى يُحارب الجهل والفقر والمرض ويدعو إلى الحريّة . وكُلّ ما يمسّ علاقة الناس بعضهم ببعض .

وهذا النّوع من الأدب (الأدب الاجتماعى فى العصر الحديث) موضوع دراسة فى هذا العام للمُقارنة بينه وبين أدب العصر الجاهلى من حيث الألفاظ والتراكيب والمعانى والأخيلة . لتتبين مدى الفرق بين عصرين . وذلك يُتيح لك التّمييز بين نصوص الأدب فى العصور المُختلفة .

من الأدب الاجتماعي
حريق (ميت غمر)
لحافظ ابراهيم *

شبت النار في مدينة ميت غمْر بمحافظة الدقهلية . أول مايو عام ١٩٠٢ م . واستمرت حتي يوم ٨ من مايو سنة ١٩٠٢ . فهلك بسببها كثيرون . ودمّرتْ كثيرَ من الدُور والمحال . وحضّتْ الصُحفُ الناس علي جمع المال لذلك ..

ومن وَحْي هذا الحرْيق . نظمَ حافظ إبراهيم هذه القصيدة التي منها .

النص
أ) وصْفُ أهوالِ الحريق

١) سائلوا الليل عنْهم والنهارا ‏ ‏ كيْف باتتْ نساؤهم والْعذارى ؟

٢) كيفَ أمسى رَضيعُهم فَقَدَ الأُ ‏ ‏ مَّ . وكيفَ اصْطلى مع الْقوْم ناراً ؟

٣) كيْف طاح الْعجوزُ تحْتَ جدار ‏ ‏ يــتداعى . وأسْــقُــف تــتـجارى ؟

٤) ربِّ إن القضاء أنْحي عليْهم ‏ ‏ فاكْشفْ الْكرْب واحْجب الأقْدارا

٥) ومُر النار أنْ تكُفَّ أذاها ‏ ‏ ومُر الْغيْث أنْ يسيْل انْهمارا

٦) أيْن طُوفانُ صاحبِ الْفُلْك يرْوِي ‏ ‏ هذه النَّار فهْى تشْكوى الأُوارا ؟

٧) أشْعلتْ فَحْمةَ الدَياجي فباتتْ ‏ ‏ تــمْلأ الأرض والــسّــماء شــرارا

* ولد حافظ ابراهيم عام ١٨٦٩ م بالقرب من ديروط بصعيد مصر . ومات أبوه وهو طفل . ولم يتلق تعليما منظما . ثم دخل المدرسة الحربية . وعُيّن ضابطاً في السودان . واشترك مع بعض زملائه في حركة تحرير ضد الانجليز . فأحيل إلى الاستيداع . وظلّ دون عمل حتى عيّن في دار الكتب وبقى بها حتى سنّ الستين . وكان حافظ ذكيا ذا حافظة قوية وموهبه شعرية . وقد غلب على شعره الطابع السياسي والاجتماعي . وكانتْ له طريقة مؤثرة في إلقائه الشعر في المحافل . وقد لُقّب بشاعر النيل . وله ديوان شعر . وألف نثراً « ليالي سطيح » . وترجم رواية « البؤساء » . وتوفى عام ١٩٣٢ م .

١ ـ العذارى ، جمع عذراء وهى الفتاة البكر

٢ ـ اصطلى بالنار ، استدفأ بها . والمراد قاسى حرها . وفى هذا المعنى يقال صلى النار أو بالنار ويقال تصلىَ النار

٣ ـ طاح ،

٣ ـ طاح ، هلك . وتداعى الجدار ، انقض وتهدم . وتتجارى ، تتســابق فى السقوط

٤ ـ أنحى ، يقال انحى الرجل على عدوه ضربا إذا أقبل عليه يضربه

٥ ـ الغيث ، المطر . وانهمر المطر ، انسكب وسال .

٦ ـ صاحب الفلك ، سيدنا نوح عليه السلام . والفلك ، السفينة . ويروى ، فعل مضارع من أروى . ويقال أروى الظمآن إذا سقاه حتى ارتوى . والأوار ، العطش

٧ ـ الدياجى ، الظلمات . والشرار والشرر ، ما يتطاير من النار . والواحدة شرارة

٨) غَشِيتْهمْ والنَّحسُ يجري يميناً ... ورمتْهم والبؤسُ يجرى يسارا

٩) فأغارتْ وأوْجهُ القومِ بيضٌ ... ثمّ غارت وقد كستهنّ قارا

١٠) أكلتْ دورهمْ فلمّا استقلّت ... لمْ تغادرْ صغارهم والكبارا

١١ ـ أخرجتْهم من الدّيار عُراةً ... حذرَ الموتِ يبتغون الفرارا

١٢ ـ يلْبسُونَ الظّلام حتّى إذا ما ... أقبل الصُّبْحُ يلبسُون النهارا

١٣ ـ حُلّةً لا تقيهمُ البَرْد والحـ ... ـرَّ ولا عنهم تردُّ الغبارا

(ب) نعيٌ على التّفاوت الطّبقي

١٤ ـ أيُّها الرافلون فى حُلَلِ الوَشْي(١١) ... يجُرُّون للذُّيول افْتخارا

١٥ ـ قدْ شهدْنا بالأمسِ فى مصر عُرْساً ... ملأ العينَ والفؤادَ ابتهارا(١٢)

١٦ ـ وسمعنا فى بيت غمْرٍ صياحاً ... ملأ الجوَّ ضجّةً والبحارا

١٧ ـ جلّ منْ قسّم الحُظوظ فهذا ... يتغنّى وذاكَ يبكى الدّيارا

١٨ ـ رُبّ ليلٍ فى الدّهر قدْ ضمّ نحساً(١٣) ... وسُعوداً وعُسْرةً(١٤) ويسارا

* * *

---

٨ ـ غشيتهم : يقال غشى الماء الشيء إذا غطاه

٩ ـ أغار على الأعداء : هجم عليهم . وغار الماء : ذهب فى الأرض وغاص . وغارت الشمس : غربت . والقار : الزفت .

١٠ ـ استقلت : عدت ما أحرقته من الدور قليلا ١١ ـ رفل فى ثوبه : اختال فيه وتبختر . وحلل الوشى : الثياب المنقوشة

١٢ ـ ابتهارا : يريد عجبا . والعرس المشار إليه هو عرس زواج الأمير حيدر زكى فاضل بك بكريمة على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال فى نهاية أبريل وأول مايو سنة ١٩٠٢ ..

١٣ ـ النحس : ضد السعد . والسعود جمع سعد وهو اليمن (١٤) العسر : وهو نقيض اليسر واليسار ومعناهما الغنى

دراسة وتحليل

(أ)

فى هذا القسم الأول من القصيدة يصف الشاعر أهوال الحريق ، ومدى ما أصاب (ميت غمر) وأهلها من جرائه .

٢٠١ ـ وفي مطلع هذه القصيدة يخاطب الشاعر من يتأتى خطابه من الناس أن يسائلوا الليل والنهار عما دهى أهل (ميت غمر) . فقد علم الناس جميعاً وتسامع الزمان بكارثتهم ..

وحدد الأسئلة التى طالب الناس أن يسائلوا الزمان عنها ليتبينوا فداحة المصاب فى ثلاثة أسئلة .

الأول : كيف باتت نساء (ميت غمر) وعذاراهم ؟ فقد بتن ومنهن من لم تنج من الحريق،ومن نجا منهن بتن باكيات صارخات ساغبات مذعورات خائفات .

والثانى : كيف أمسى طفلهم الرضيع ؟ فقد أمسى فاقداً أمه،وفقد الرضيع الأم لا يساوى عنده غير فقد الحياة ، بل لعله قد اصطلى بالنار مع أمه فماتا معاً وهو فى حضنها محترقين .

والثالث : كيف بات الرجل أو المرأة العجوز تحت أنقاض جدار انقض . أو سقف خر عليه من فوقه فإذا هو هالك ؟

ولعلك وقفت عند قول الشاعر « سائلوا »،فهو يخاطب الناس جميعاً . لأنه يعلم أن الكارثة قد انتشرت فى الأرجاء،وطبقت،شهرتها الآفاق،وبلغت مسامع الناس كافة أو هو يريد الناس جميعاً على أن يعرفوا ما جرى فى "ميت غمر،لأن ما جرى خطب فادح يستحق مواساة جميع الناس .

ولعلك وقفت عند كلمة « الليل والنهار» إذ إنه يريد أن الزمان كله قد علم بالحادث،فقد استمر الحريق أياماً وليالى عدة .

وهو يذكر كلمة « العذارى » . بعد كلمة « النساء » . وهذه تشملها لأنه يريد بالعذارى التخصيص بعد التعميم لمزيد الإثارة بها،فالضرر الذى يصيب الفتاة التى تهنأ بالزواج أشد من الضرر الذى يصيب من هنئت به .

ومساءلة الليل والنهار صورةٌ من صور الاستعارة المكنيّة . إذ يجعلهما من قبيل الإنسان الذي يسأل،وفى هذا توكيدٌ للمعنى وتهويلٌ للموقف،لأنّ سؤالَ مالا يعقل دليلٌ على أنّ الحدث قد تجاوز فى تأثيره من يعقل إلى مالا يعقل .

والاستفهام فى البيت وفى البيتين التاليين بـ « كيف » خرج عن حقيقته من السؤال عن الحال إلى التعجب والاستغراب عمّا آل إليه ذلك الحالُ .

وفى الأبياتِ الثلاثة إشعارٌ وإيحاء بأنّ حال أهلِ (ميت غمر) قد ساءت إلى درجةٍ لا تُحتمل بسبب ذلك الحريق .

واختيار « النساء » و « العذارى » و « الرّضيع » و « العجوز » أمثلةً على هول الحادث ـ اختيارٌ دقيقٌ . لأنها أمثلةٌ متنوّعة فيها الصّغيرُ والكبير والرّجل والمرأة . والمرأة المتزوجة وغير المتزوجة .. والأهمُ أنها أمثلةٌ لنوعياتٍ ضعيفة من البشر تستحقُ الرّحمة من غير شيء . فكيف إذا ألمّ بها خطبٌ . وكيفَ إذا دهمتها داهيةٌ دهياء كذلك الحريق ؟

وفي قول حافظ « اصطلى ناراً » تجوز لغوىٌ . اذ الـوارد في اللغة « اصطلى بالنار »

٤ ، ٥ ـ يتوجّه الشّاعر في هذين البيتين إلى الله العليّ القدير ذاكراً أنّ القضاء نزَلَ بهؤلاء القوم ولا رادَّ لقضائه . ولكنّه يسألُه اللطفَ فيه . وأنْ يكشفَ كُربَهُ عنهم . ويحجب آثاره المدمّرة . وأنْ يكفَّ الأذى عن الناس بأنْ يرسل السّماء عليهم بالمطر مدراراً . و « أنحى القضاء عليهم » صورةٌ استعاريّة فيها تجسيم لثقل الحادثة . وحركة قوية تشير إلى أنّ ما نزَلَ بهم كان شديداً .

وأفعالُ الأمر في البيتين بالكشف والحجب والأمر ـ خرجت عنْ أصلها من الوجوب إلى الضّراعة والدعاء لأنّها منْ صغير وهو الإنسان . لعظيم و هو الله سبحانه .

و في كفّ النّار الأذي استعارةٌ مكنيّة . و كذلك في أمرِ الغيث بأنْ يسيل . لأنّ النار لا تكُف والغيثُ لا يؤمر . وإنما الذي يكُفُ ويُؤمرُ . الإنسانُ وهو يخلع عليهما صفاتِ العقلاء . لأنّه يعلم مدي تأثيرِ النّار في الإحراق . والغيثِ في الإطفاء .

٦ ـ و يتساءلُ متعجّلا عن طوفان سيّدنا نوحٌ عليه السّلام أينَ هو ؟ فلعلّهُ وحده الذي يستطيع أنْ يرويَ ظمأ هذه النار المتأجّجة .

وفي البيت كذلك سؤالٌ مقصودٌ به التّمنيّ و طلب التعجيل بإخماد النّيران،وفيه كنايةٌ عن سيّدنا نوحٌ عليه السلام بقوله «صاحبُ الفلكِ»،وصورةٌ منْ صور الاستعارة

تمثل ضراوة تلك النار، وتعطشها لالتهام كل ما تلحق به في « تروي هذه النار »، و يقوي هذه الاستعارة باستعارة أخرى في « فهي تشكو الأوارا »، والبيت كناية عن شراهة تلك النار وشراستها .

٧ ـ و يصور ضخامة هذه النيران حين يذكر أنها أنارت ظلمات الليل . وملأت الأرض والسماء بشررها المتطاير .

وإذا كان البيت السابق قد عبر عن حالة النار النفسية، وهو تعطشها الشديد للتخريب، فقد عبر في هذا البيت عن حالتها المادية في التخريب وشكلها الظاهري، وهي أنها قد حولت الليل إلى نهار، وانتشرت حتى غطت الأرض والسماء في صورة حسية ذات حركة وألوان :

وفي « فحمة الدياجي » تشبيه للدياجي بالفحمة . وفي « أشعلت فحمة الدياجي » استعارة مكنية . وفي « الأرض والسماء » تضاد .

والشطر الأول من البيت كناية عن شدة النار . والشطر الثاني كناية عن سعة انتشارها .

٨ و ٩ ـ وفي هذين البيتين وما بعدهما يصف ما حل بأهل (ميت غمر) بسبب هذه النار الكثيفة . فذكر في هذين البيتين أن النحس والبؤس قد أحاطا بهما ذات اليمين وذات الشمال، فحينما أغارت عليهم كانوا سعداء تبيض وجوههم بالبشر، وحينما انكشفت عنهم كانوا بائسين تسود وجوههم بالنار .

وقد جمل البيتين بجمال بديعي فيه تضاد في « يمين ويسار .... » و « بيض وقار » وفيه جناس في « النحس والبؤس »، وفيه تضاد وجناس معاً في « أغارت وغارت » وفي « أوجه القوم بيض » كناية عن السرور . وفي « قد كستهن قاراً » كناية عن الحزن والاغتمام . ولعلك تلاحظ الاستعارات المكنية الشائعة فى الأبيات .

من ٦ـ ١٠ يشبه فيها النار بالإنسان . فيسند إليها أفعاله . وقد كان الشاعر دقيقا حين استخدم في الشطر الأول من البيت التاسع فاء العطف ليدل على هجوم النار بشدة على أهل المدينة عقب اشتعالها فيما بدأت الاشتعال فيه . وكان دقيقا حين استخدم في الشطر الثاني « ثم » ليدل على تراخي إقلاع وسكوت ألسنتها المتصاعدة .

١٠ ، ١٣ ـ وفي هذه الأبيات يصور الشاعر وحشية هذه النار . فبعد أن التهمت الدور تحولت إلى ساكنيها من صغار وكبار تحاول أن تلتهمهم كذلك . ولكنهم خرجوا هاربين هائمين على وجوههم . حفاة عراة يحذرون الموت ويطلبون الفرار . أحرقت

ملابسهم فإذا هم يلبسون ظلام اللّيل إذا حلّ المساء . ونور النّهار إذا أقبل الصّبح . وتلك خلّة لا تقيهم الحرّ والبرد،ولا ترد عنهم الغبار .

ولعلّك تلحظ كيف يصوّر الشاعر النّار وحشاً ضاريا يفترس الدّور ولكنه لا يكتفى بذلك فيميل إلى من فيها ليأتي على كبيرهم وصغيرهم . فيفر من ينجو من براثنه عارياً بعد أن تخترق ثيابه .

(ب)

وفي هذا القسم الثّاني من القصيدة ينعي حافظ إبراهيم على ما يراه من تفاوت طبقي في المجتمع لأن بعض أفراد الشّعب من أمثال من وقعت بهم الكارثة في « ميت غمر » يعيشون في بؤس شديد،وبعضهم يحيون في نعيم مقيم .

١٤ – وهو يخاطب طبقة المترفين من أفراد الشعب،يريد أن يذكّرهم بواجبهم نحو إخوتهم الفقراء . فيقول : أيها المختالون بملابسهم المزركشة يمشون يجرجرون أذيالها عجبا وفخارا . وكان أولى بالشّاعر لغويا أن يقول « يجرّون الذّيول » لا « يجرّون للذّيول » ولكن الوزن اضطره إلى ذلك وهذا ليس عذرا .

١٥ و ١٦ – ثم يضع أيديهم وأعينهم على المثل الحيّ الذي يفضح أمرهم . وهو ما شهدته البلاد من عرس زواج لأحد الأمراء . أنفقت فيه الأموال الطائلة في الوقت الذي شهدت فيه حريق ميت غمر فيقول : لقد شاهدنا بالأمس في مصر عرساً كبيراً بهرت العيون أضواؤه . وخلبت الأفئدة مشاهده ونفقاته . وسمعنا في (ميت غمر) صراخ المستغيثين من أهلها من النار يملأ بضجيجه الأرض والجوّ والبحار .

وقد وفّق الشاعر في مقابلة الصّورة في البيت الثاني ممّا معنا بالصّورة في البيت الأول . ليظهر التناقض الشديد بينهما . ولكنّه لم يوفّق في البيت الأول في كلمة « ابتهارا »[1] إذ لا وجود لها في القاموس اللّغوي . ويقصد بها عجباً » . ولعلّة قال « انبهارا» بالنون بدلا من الباء وصحفت . كما لم يوفق في البيت الثاني بمقابلة كلمة « الجو » بكلمة « البحار » لأن الأنسب أن يقابل بالأرض . فضلا عن أنه قابل المفرد بالجمع والأولى مقابلة المفرد بالمفرد . ولكن القافية هي التي اضطرته الى « البحار . »

---

[1] الانبهار : تتابع النفس من الاعياء ويقصد حينئذ بها الدهشة .

١٧ و ١٨ - وينتهي إلى الحكمة المستخلصة من ذلك التفاوت . فيقول ، قسّم الله الأرزاق ونوّع الحالات . فهذا أخذ الناس يتغنّى سعيداً راضياً . وذاك أخذهم يبكي شقيا محروماً . والليلة الواحدة يجتمع فيها سعْدٌ هنا ونحسٌ هناك . ويُسْرٌ عند قوم وعسْر لدي آخرين .

وهذه الحكمة لاشك في صحّتها وصدْقها . و ما كان ينبغي للشّاعر الوقوف عندها . إنما كان ينبغي أنْ يستحثّ الناس علي التّغيير كما استحثّ الأغنياء علي البذْل . وعلي أيّة حالٍ فقدْ كان هذا الشعر الاجْتماعي الذي يُجسّد أوجاع الجماهير وأوْصا بها من أهمّ أسْبابِ قيامِ الثّورة في عام ١٩٥٢ م .

***

تعْلِيق

كان حافظ إبراهيم شاعر الشّعب يُحس بإحْساسه . ويتألمّ لألمه . فلقدْ كانت حياته الشّخصية صعْبةً قاسيةً كَكثير منْ أفراد الشّعب . حتّي لقد كان برماً بها وكثيراً ما كان يشْكو في شعره همومه ومواجعه الخاصّة فإذا شعْره يقْطرُ أسيً وحسْرةً .

فهو حينما يتحدثُ عنْ مأسي شعْب مصر - يصفُ منْها ما يراهُ . ويخلع عليْها منْ نفْسه ما يحسُ هو به . ولذلك نجدُ أفكارهُ وألفاظه - كما في قصيدته التي معنا - حزينة باكيةً .

فالنّصّ الذي بيْن أيْدينا كاشفٌ عن شخصيّة « حافظ » وعنْ نفسه المُولعة . وهو في الوقت نفسه كاشفٌ عن حُبّه لمصْر،وأهْلها وعنْ بُغْضه وكراهيته للفوارق الاجتماعية في المجتمع . واختصاص بعض طبقات المجتمع بالجاهِ والثّراء دون عامّة الشّعب . ثمّ هُو كاشفٌ عن رغبته المُلحة . في تذويب تلك الفوارق بالتكافل الاجتماعي .

إن القصيدة التي معنا أصدقُ مثل علي أنّ شعْر الشاعر مرآةٌ لعاطفته . فهي تشي بأحاسيس « حافظ » ومشاعره . وهي توحي بالموقف النّفسيّ الصّعْب الذّي عاشه مع أبناء« ميت غمر » في نكبتهم . وتُصوّر بدقّةٍ هوْل تلك الكارثة وما جرّته عليْهم من ويلات .

وقد كانت الألفاظ في القصيدة جزلة قوية . والعبارات رصينة متينة . وكلاهما معبّر عن قسوة الحياة على أهل (ميت غمر) . وعن ضراوة النار التي أحرقتهم . وعن فداحة الخسائر التي لحقت بهم . وعن ضرورة التعاون من أجل إغاثتهم وتعويضهم عمّا فقدوه .

وقد كان أسلوب القصيدة - في عمومه - خبريًا . لأنه يحكي قصة . ويصف حادثاً . وجاءت بعض العبارات إنشائية في صورة الأمر الذي يعني الالتماس . وذلك قوله « سائلوا الليل .... الخ » . أو في صورة الاستفهام الذي خرج عن حقيقته إلى معني التعجب . وذلك قوله « كيف باتت . كيف أمسي .. الخ » . أو في صورة النداء المقصود به الدعاء . وذلك في قوله « رب إنّ القضاء . الخ » . أو المقصود به الرجاء . وذلك في قوله « أيها الرافلون .. الخ » .

وتلوين الأسلوب مفيد في تنبيه السامعين وتنشيطهم . وهو دليل على براعة الشاعر . وقد يكون تعبيراً لا شعوريًا عن حالة الشاعر النفسيّة المهتزّة . وعن الموقف الحادث المضطرب . وعن حياة الناس القلقة الفزعة في هذا الوقف .

غير أنّ « حافظا » تجاوز في بعض ألفاظه وأساليبه السّماع اللغويّ . فجاء ببعض ألفاظ لم ترد في اللغة مثل « ابتهار » في البيت الثاني عشر . واستخدم بعض الأساليب استخداماً لغويا خاطئاً . مثل : « اصطلي نارا » وحقه : « اصطلي بالنار » . ومثل « يجرون للذيول » في البيت الرابع عشر . وأصله «يجرون الذيول» .

وأفكار القصيدة بسيطة واضحة مرتّبة مترابطة . تصنع في مجموعها وحدة موضوعيّة ونفسيّة تجعل من القصيدة بناءً غير ذي عوج .

وقد امتازت القصيدة بالتّصوير الرائع للنار . فقد عرضها في الأبيات من ٥ - ١٣ مرسومة في لوحة فنّية جمعت بين اللّون والصّوت والحركة . وكانت الصّورة الكليّة لها وما يندرج تحتها من صور جزئيّة موحياً بالأسى والحسرة وشراهة النار وشراستها .

والقصيدة تقليديّة البناء . إذ جري الشّاعر فيها على ما جري عليه الشعراء القدماء في ألفاظه وتعبيراته وصوره . وخاصة في التزامه وزنا واحداً وقافية واحدة

ولكن التّجديد في القصيدة يتمثل فى اختياره موضوعاً واحداً . وحادثاً عصريًا . وفي تصويره للنار وآثارها بصورة فنّية تجمع اللّون والصّوت والحركة . وهو اتجاه جديد في الشعر الحديث . وكذلك يجيء التجديد في القصيدة في تسخيره الفن للحياة وخدمة المجتمع .

المناقشـــة ..

١ - وضح المناسبة التاريخيّة التي قال فيها « حافظ ابراهيم قصيدته » ..

٢ - أشعلت فحمة الدياجى فأمست تـــملأ الأرض والـــسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يميناً ورمتهم والبؤس يجرى يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض ثم غارت وقد كستهن قارا

(أ) صورت الأبيات سعة انتشار النيران وشدة أثرها على أهل «ميت غمر» أروع تصوير اشرح ذلك .

(ب) وضح الصور البلاغيّة في الأبيات وأثرها في إبراز المعنى .

٣ - كيف وصف الشاعر التفاوت الطبقيّ في المجتمع في قصيدته ؟ وما الذي كان يبتغيه من هذا الوصف ؟!

٤ - اختتم الشاعر قصيدته بالحكمة . ما مصدرها في نظرك ؟ وما علاقتها بموضوع القصيدة . وتجربة الشاعر في حياته ؟

٥ - تبدو شخصيّة الشاعر من شعره،وقصيدة حافظ إبراهيم التي معنا تكشف عن شخصيّته بوضوح . اشرح ذلك مستشهداً عليه بأبيات من القصيدة .

٦ - يلبسون الظلام حتى إذا ما أقبل الصبح يلبسون النهارا
خلة لا تقيهم البرد والحـــر ولا عنهم ترد الغبارا

أ) انثر البيتين بأسلوبك .

ب) في البيتين استعارة وتشبية وتضادٌ - أذكرها مبيّنا قيمتها البلاغيّة .

ج) أعرب قوله : « خلة لا تقيهم الحرُ والبرد » .

٧ - لحافظ ابراهيم مميزات في شعره جعلت النقاد يلقبونه بشاعر .. اذكر ما تراه منها في القصيدة .

٨ - اذكر الأبيات التي خرج فيها الشاعر عن حدود اللغة . مبيّناً كيف خرج ؟

٩ - ما مدي ملاءمة أسلوب القصيدة للغرض الذي سيقت له ؟ مع التمثيل بالشعر .

***

أيها العُمّالُ

لأحمد شوقى *

قامَت وتقومُ النهضةُ الحديثةُ فى العالَم كُلّه على أكتافِ العُمالِ . فقد طَفرَ العلْم الحديثُ طفراتٍ مذْهِلة . وكانتْ حركةُ التّصْنيع أسْرَع مِنْ كُلّ ما يتصوّره خيالُ شاعر . وحمَل العُمّالُ عِبْءَ هذه الحركةِ التى كانتْ السّبَب فى رَخاء وازدهار الشّعوبِ التّى نشطتْ بها ..

ومِنْ هذا المُنْطلَق يدْعو الشاعر عمالَ بلاده إلى مزيد مِن العملِ والجُهْدِ لإشاعة الرّخاء فى البلادِ . لافتاً أبصارهم إلى آبائهم ذوى أعرق حضارة فى الوجود . بهذه القصيدة التّى أولُها .

النّص [1]

١ – أيُها العُمّالُ أفْنوا الْـ ـــــعُمْر كدًّا[1] واكْتِسابا

٢ – واعْمروا الأرض فلوْلا سَعْيُكم أمسَتْ يبابا[2]

٣ – إنّ لى نصْحًا إليْكم إنْ أذنْتُمْ وعِتابا

٤ – فى زمانٍ غبِى النّـ ـــاصح فيْه أوْ تغابى[3]

٥ – أيْنَ أنْتمْ مِنْ جُدودٍ خلّدوا هذا التّرابا

٦ – قلّدوهُ الأثرَ المُعْـ ـــجِزَ والْفنَّ الْعُجابا[4]

٧ – وكَسَوْه أبدَ الدّهْـ ـــرِ مِنَ الْفخْر ثِيابا

٨ – أتقنُوا الصّنْعةَ حتىّ أخذوا الْخُلْدَ اغْتِصابا

٩ – إنّ لِلْمُتقِن عِنْدَ اللّـ ـــه والنّاس ثَوابا

---

* أحمد شوقى : هو أمير الشعراء فى العصر الحديث ولد بالقاهرة عام ١٨٧٠ م . تنقل فى مراحل التعليم بالقاهرة ثم أتم تعليمه فى الحقوق والاداب بفرنسا . وظهر نبوغه فى الشعر والأدب فصار شاعر العصر ولما قامت الحرب العالمية الأولى نفى إلى أسبانيا . ثم عاد منها واتصل بالشعب اتصالا وثيقا فصار لسان الأمة العربية يخبر عن آمالها وآلامها . ولعبقريته الفذة بويع أميرا للشعراء عام ١٩٢٧ م . وقد سبق شعراء عصره إلى الشعر المسرحى، وكان له حقُّ الرّيادة فيه . ثم توفى عام ١٩٣٢ م .

١ – الكدّ : الشدة والتعب فى العمل وطلب الكسب ٢ – اليباب : الخراب

٣ – غبى عن شىء : لم يفْطنْ إليه . وتغابى : تغافل

٤ – قلد المرأة قلادة : جعلها فى عنقها . والعُجاب والعجب : الأمرُ الذى يُتعجَّب منه .

(٢) ـ يخاطب الشاعر العمال ويقصد عمال مصر بقوله : يأيها العمال أنفقوا عمركم فى الجد والكد واكتساب الثناء من مواطنيكم وبلادكم ·
وعمروا الأرض بالإنشاءات الجديدة من مصانع ومساكن ومرافق عامة . إذ بغير سعيكم المشكور تمسى الأرض خرابا يبابا ·
(٣، ٤) ـ ثم يوجه نصحه إليهم مشوبا بعتاب رقيق لهم قائلا :
إن لى نصحا أوجهه إليكم وعتابا أعاتبكم به ـ إذا أذنتم لى بهما ـ فى الوقت الذى لا ينصح فيه أحد أحدا . ولا ينتصح أحد من أحد . لأن الناصح الأمين غير موجود . أو هو موجود ولكنه تجاهل المشكلات والناس . فهو لا يهدى نصحه فى موقف من المواقف،ولا لواحد أو جماعة من الناس ·
(٦) ـ ويأخذ فى نصحه وعتابه بتذكيرهم بأجدادهم وأسلافهم القدماء . لأنهم لم يبلغوا مبلغهم من الكفاح والعمل الجاد . ولم يبلغوا مبلغهم من الفن والعلم والصناعة . ولم يبلغوا مبلغهم من الجاه العريض فى الحياة . ومن خلود الذكر بعد الممات . فهو يقول : أين أنتم من أولئك القدماء من جدودكم الذين خلدوا ذكر بلادهم بما أتوه من الأعمال الخالدة ؟ فقد شادوا على أرضها آثارهم المعجزة وفنهم العجيب . فكسوها مدى الدهر ثياب السؤدد والفخار وأجادوا الصناعة وهى سر السبق والتقدم فاستحقوا بها الخلود ··
٧ ـ ثم يختتم هذه الأبيات بالعبرة منها واستخلاص الحكم . فيقول : إن للمحسن فى سعيه وتفكيره . وللمتقن فى عمله وأدائه ـ لثوابا عظيما عند الله وعند الناس . بما يعود من الإحسان والإتقان من عوائد طيبة،وخيرات جمة مادية ومعنوية فى الحياة . ومن طيب ذكر وحسن أحدوثة . ورضا من الله بعد الممات ·
ولعلك تلاحظ دقة الشاعر فى اختيار ألفاظه . حين يختار كلمة مثل « أفنوا » فى البيت الأول . بدلا من « اقضوا » لأن الإفناء محو تام فهو أدل على انقضاء الوقت كله فى العمل . ثم حين يقول « كدا واكتسابا » لأنه يقصد بالكد العمل الجاد الذكى المخطط . وليس مجرد العمل . لأن ذلك هو الذى يعقبه اكتساب الخيرات مادية ومعنوية،فكأنه لم يذكر الكلمة الثانية بعد الأولى لمجرد استكمال البيت والقافية بها . وإنما لغرض معين يكمل به غرض الكلمة الأولى والبيت ·

ولعلك تلاحظ ربط طرفى البيت الثانى بكلمتين متضادتين هما : « اغمروا » و « يبابا » ليتأكد المعنى بهما وأهمية الدور الذى يقوم به العمال فى الحياة .

وفى البيت الثالث يؤكد ما يسوقه من نصح لهم . ولكنه بعد أن بين فى الشطر الأول عظم هذا النصح بتوكيده وقصره عليه بتقديم الجار والمجرور (لى) ـ يخشى أن يصيبهم من قسوة وقوة هذا الأسلوب حرج أو ضيق . فيقول « إن أذنتم » . ثم هو يؤخر العتاب عن النصح وعن الاستئذان له . لأنه أقسى من النصح .

فانظر كيف استطاع بنظمه الكلام على هذه الصورة أن يجعله سائغاً لإزجاء النصح وابداء العتاب . دون خشية من رفض العمال لهما أو إعراضهم عنهما . وخاصة أن المجاملة أصبحت سائدة . حتى إن الناصحين أمسوا يخفون نصائحهم عمن يستحقونها . جهلا منهم بقيمة النصح أو تجاهلا . وفى « غبى وتغابى » تجانس وتضاد .

فاذا بدأ فى البيت الخامس وما بعده نصحه وعتابه للعمال . بأن عليهم أن يكونوا خير خلف لخير سلف . لأنهم تخلفوا عن أسلافهم تخلفا شديدا ـ بدأ كلامه بسؤال يعنى استبعاد أن يكونوا مثل جدودهم الذين صنعوا لبلادهم ما خلدهم . ثم فصل أعمال الجدود فذكر أنهم تركوا اثارا معجزة وفنا عجيبا .

(البيت السادس) وأنهم أتقنوا الصناعة (البيت الثامن) . ولذلك استحقوا اعتزاز الزمان بهم (البيت السابع) . واغتصاب الخلد منه لهم (البيت الثامن) . وقد جمل الشاعر هذه الأبيات بألوان من جمال الصناعة الأدبية . فالاستفهام فى البيت الخامس مراد به الاستبعاد . والمراد بالتراب أرض مصر . فذكر الجزء وأراد الكل . وهذا من المجاز المرسل . وفى البيت السادس فى « قلدوه الأثر المعجز ... الخ » استعارة مكنية توحى بأن اثار القدماء وفنهم العجيب كانا فى غاية الروعة والإبداع .

وفى البيت السابع فى « كسوة من الفخر ثيابا » استعارة تصريحية تؤكد أن ما نالهم من الفخر بما قدموه من عطاء فنى ومعمارى كان عظيما .

وفى قوله « من الفخر ثيابا » تشبية للفخر بالثياب . وفيه تجسيد لمعنى الفخر . وتأكيد له . وفى البيت الثامن فى « أخذوا الخلد اغتصابا » استعارة مكنية أيضاً . توحى بأنه لا يجوز لأحد بما قدموه من عمل وأثار وفن أن ينكر فضلهم على مر الدهور والأزمان .

ولكنْ لعلّه كانَ من الأوفق أنْ يقعَ مكانَ البيت السابع بعد البيتِ الثامن . لأنّ الشاعر يعدّد أعمال القدماء . فيذكرُ آثارهم المُعجزة . وفنّهم العجيْب وصناعتهم المتقدمة . فحقُّ ذلك كُلّه أنْ يجيىءَ على التّوالى . ثم تجىء بعده نتيجتــه وهو أنّه كساهم ثيابــا منَ الفخارِ وأخذوا الخُلْد بــه اغْتصاباً ..

وانظر جمال خِتَام هذه الأبياتِ بتلك الحِكْمة البسيطة الواضحة البليغة الجامعةِ التى يؤكّد فيها أنّ لِلْمُتقن ثواباً عظيماً على إتقانــه عنْد الله وعنْد النّاس .

وفى تقْديم الجارّ والمجْرُور فى « للْمُتْقن » تخْصيصٌ لهُمْ بالثّواب وحصْرٌ للثواب فيهم . وفى تنكير « ثواباً » تعظيم . أى ثوابا عظيما . كما أنّ فى تنكيره شُمولاً . أىْ ثواباً فى الدُّنيا وفى الآخرة .

* * *

تعليق

القَصيدةُ منَ الشّعر الاجْتماعى . لأنها تتحدثُ عن نوعيّةٍ خاصّةٍ فى المُجْتمع . لِلْمجتمع مصْلحة فى الاهتمام بها . ودعْوتها إلى ما دعاها الشاعر إليه من العمل والإنْتاج واتخاذ القدوة ممنْ سبقهم منْ جُدوُدهم . وقد وفق الشّاعر فى اختيار الأفكار وترتيبها . وفى انتقاء الألفاظ والتّعْبيرات السّهْلة الواضحة . وقد جاء أسْلوبُ القصيدة فى مُعْظمه خبرياً . كما قلّتْ الصُّور البلاغيّةُ فى الأبياتِ . وما ذاك إلاّ لان الشــاعر يُخاطبُ العُمال . وحال هؤلاء يتطلبُ ذلك . والبَلاغةُ مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

والجانبُ الفكرى طاغٍ فى القصيدة على الجانب العاطفى . لأنّ الموقف لمْ يكنْ موقفَ عاطفةٍ بل موقف علم وتعْليم وضرب المثل وإرسالُ الحِكْمةِ .

والقصيدة تنْتمى إلى المدرسة الكلاسيكيّة تفكيرا وتعْبيراً وتصْويراً ؟

وبناء القصيدة تقليدى لالتزامه وزْناً واحداً وقافية واحدةً . واستخدامــه أسلوباً عربياً رَصيناً وصُوراً تقْليديّة . مثْل « كساهُ منَ الفخْر ثياباً » .

ولكن بالقصيدةِ تجْديداً يتمثّلُ فى اتّخاذِ عُنوانٍ لها . وفى وحدة موْضوعها . وفى جمْعها بينَ الفنّ الرفيع بالشّكْلِ . والهدف الاجْتماعى الذى يخْدم المُجتمع بالموضوع ..

المناقشـــة

١ ـ ما الدافع الذى دفع الشاعر الى نظم هذه القصيدة ؟

١ ـ إنّ لى نُصْحا إلَيْكم ، إنْ أذنـــتـــمْ وعـــتابا
٢ ـ فى زمان غبى النـــاصح فيْه أوْ تغابى

(أ) فرّق بينَ معاني المفردات : نُصح ـ عِتاب ـ غبى ـ تغابى
(ب) ما النصح الذى نَصح الشاعر به العمال ؟ وما عتابه عليهم ؟
(جـ) كيف أكّد الكلام فى البيت الأول ؟ وماذا أفاد قوله « إنْ أذنتم » ؟

٢ ـ أىُّ أبيات القصيدة يدلُّ على المعانى الآتية :

● (بغير العمال لا يكون عُمران)
● أجدادنا كانوا أوْلى مجْد خلّدهمَ على مدى الأيام .
● منْ يُحْسنْ عمله يجد الثواب عليه عند الله وعند الناس

أيْنَ أنتمْ منْ جُدودٍ خــــلّدوا هذا الـــتّرابا
قلّدوهُ الأثر المُعْـــــجزَ والْـفـنّ الـعجابا
وكسوْه أبد الدهْـــر من الفخْر ثِيابا

(أ) اكتب معانى هذه الأبيات نثرا بأسلوب أدبىّ .
(ب) لماذا اخْتار الشاعر الجُدود ليضْرب بهم المثل ؟
(جـ) ما المراد بالاسْتفْهام فى البيت الأول ؟
(د) اذكر صُورتَينِ بلاغيتّين مُخْتلفتين فى هذه الأبيات .
مُبيناً أثر كلّ فى إبراز المعنى ..

* * *

ضحايا

لمحمود أبو الوفا *

هذه نفثة شاعر رقيق يعانى مع بنى البشر فى عصره من الظلم والعبودية والفوارق الطبقية . فهو يدعو فى قصيدته إلى العدل والحرية والمساواة الاجتماعية . فيقول ،

المشكلة أزلية

١ ـ عهد الجهالات أم عهد الحضارات ؟ لن يبرح[1] الناس عبدانا وسادات
٢ ـ فوارق ستنوذ الأرض ما لبثت تلك العداوة بين الذئب والشاة
٣ ـ لن تبلغ المجد إلا إن صعدت له على سلالم أشلاء[2] وهامات
٤ ـ هدى الديانات تنهى أن يراق دم فالهدى بالدم قربان الديانات

وهى أبدية

٥ ـ ياليت شعرى خراف العيد هل علمت ماذا يكن لها عيد الضحيات
٦ ـ وليت شعرى هل تلقى الخراف[4] غدا كبشا يغار على تلك الذبيحات
٧ ـ هيهات[5] هيهات إن البهم ما خلقت إلا مطايا لأغراض الزعامات

سخرية وأمنية

٨ ـ عهد الصراحة ما بال الصريح به لا يملك النطق إلا بالكنايات
٩ ـ أحب أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتسامات
١٠ ـ هاج الجواد فعضته شكيمته[6] شلت أنامل صناع الشكيمات

---

* هو من الشعراء المعاصرين المجددين يهتم كثيرا بالنواحى الاجتماعية والأدب الشعبى

١ ـ لن يبرح ، لايزال وسيبقى وعبدان ، جمع عبد ٢ ـ أشلاء ، جمع شلو وهو العضو من الجسد . وهامات جمع هامة وهى الرأس

٣ ـ الهدى بالدم ، يقصد إهداء الهدى أى سوقه للذبح . والهدى، ما ينقل الى الحرم من الانعام للذبح . والقربان ، ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة وغيرها ..

٤ ـ الخراف جمع خروف والكبش ، فحل الضأن ومعنى الفحل الذكر القوى . والذبيحات جمع ذبيحة أى مذبوحة .

٥ ـ هيهات ، بعد البهم ، جمع بهمة وهى الصغير من الضأن مطايا ، جمع مطية وهى من الدواب ما يمتطى أى يركب يركب

٦ ـ الشكيمة ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ..

دراسة وتحليل

يبدأ الشاعر قصيدته متسائلا قائلا :

١ و ٢ – ترى أعهد الجهالات الذى ساد حياة الناس قديما أفضل ؟ أم عهد الحضارات الذى نعيشه اليوم ؟ لسوف يبقى الناس على الدوام طبقتين ، طبقة السادة وطبقة العبيد . وسوف تظل الفوارق بينهم سائدة . لأنهم جبلوا على ذلك . وأصبح ذلك فيهم كالغريزة التى تدفع الذئب إلى معاداة الشاة وافتراسها ما وجد إلى ذلك سبيلا . كما تدفع الشاة إلى كراهية الذئب والاستسلام له لأنها لا تملك لضعفها غير الاستسلام .

ويبين الشاعر السبب فى هذه الفوارق وهو اتباع الناس لأسلوب الغابة فى صراعهم فلا قانون يحكمهم إلا قانون القوة . فيقول :

٣ و ٤ – إنك إذا أردت علوا فى الأرض ورقيا إلى المجد – فلن يكون السبيل إلى ذلك إلا بتحطيم غيرك من منافسيك والصعود على حطامهم .

والسبب فى ذلك هو غيبة القانون . أو عدم اتباع الناس إياه ،أو عدم اتباعهم شريعة الله فى أديانه السماوية . فإن الأديان السماوية قد نهت عن القتل الذى يمارسه الإنسان اليوم بصور متعددة منها صورة هذه الفوارق التى تجعل من الناس سادة وعبيدا . مع أن الديانات قد شرعت إهداء الهدى قربانا يتقرب به إلى الله .

ونلاحظ أن الشاعر بدأ كلامه فى البيت الأول باستفهام إنكارى . فيه إنكار واستغراب أن يكون عهد الجهالات القديم أفضل من عهد الحضارات الجديد . ويدلل على ذلك الشىء المنكر الغريب بما يحدث اليوم من تقسيم الناس إلى سادة وعبيد ..

وانظر كيف يؤكد ويجسد استمرار هذه . الفوارق الطبقية بتشبيهها بالعداوة بين الذئب والشاة . ثم انظر أيضا كيف يضاهى بين قتل الإنسان لأخيه الإنسان كى يعلو فى الأرض . وقتل الذبائح قربانا إلى الله تعالى فى الأديان السماوية . فهذا حرام وهذا حلال .

وبين « الجهالات والحضارات » و « عبدان وسادات » فى البيت الأول تضاد وكذلك بين « الذئب والشاة » فى البيت الثانى . وفى « لن تبلغ المجد إلا على سلالم » فى البيت الثالث استعارة مكنية فيها تشبيه المجد بالبناء المشيد ذى السلالم وفى (سلالم أشلاء وهامات) تشبيه من إضافة المشبه به للمشبه . وفى « أن يراق دم » .

فى البيت الرابع كناية عن القتل . وفى كلمة « الدم » مجاز مرسل . إذ المراد الذبيحة . فذكر البعض وأراد الكل . وبين شطرى البيت مقابلة .

ولم يكن الشاعر دقيقاً فى عبارة « فالهدى بالدم قربان » فالصحيح أن يقول فإهداء الدم قربان على سبيل المجاز . أو أن يقول . « فالهدى قربان » .

(ب)

ويتساءل الشاعر فى هذا القسم من القصيدة أيضاً عن الخراف فى عيد الضحية الخالى قائلا :

٥ ـ ترى هل علمت خراف العيد ماذا يخبئ لها عيد الضحية من مفاجأة غير سارة وهى ذبحها ؟

ليتنى أعرف ذلك عنها . ثم يتساءل عن مستقبلها . فيقول :

٦ ـ وهل ستجد هذه الخراف فى غد كبشا ثوريا يغار على عرضه أن يمتهن . وعلى إخوته الخراف أن يهلكن بهذه الصورة الوحشية .

ثم يجيب عن السؤالين مؤكداً الجواب عنهما بالنفى فيقول :

٧ ـ إن الخراف ما خلقت لتكون مطية للناس . والرعية ما خلقت لتسخر فى تحقيق أغراض الزعماء .

ولعلك تلاحظ أن الشاعر استخدم عبارة « يا ليت شعرى » وكررها فى بيتين متتاليين دليلا على حيرته وضيقة بما يحدث . والسؤالان فى البيتين مراد بهما التمنى . وفى « علمت » و « يكن عيد الضحيات » فى البيت الخامس . وفى « كبشا يغار » فى البيت السادس استعارات مكنية فيها تجسيم وتجسيد للمعانى .

والتعبير بخراف العيد وبالكبش تعبير رمزى . وهو من الكناية الخفية . لأن المقصود بالخراف الناس . وبالكبش زعيمهم المدافع عن حقوقهم .

وقد أكد فى البيت السابع « هيهات » توكيدا لفظياً استبعاداً لعلم الخراف بما ينتظرها من الذبح فى العيد، ولقيام كبشها بالثورة على الظالمين . وفى « البهم خلقت مطايا » تشبيه .

(جـ)

وفى هذا الجزء من القصيدة يتساءل أيضاً مستغربا ما يحدث للصرحاء من الناس فيقول :

٨ و ٩ ـ اذا كان هذا العهد هو عهد الصراحة والديمقراطية فكيف بالرجل الصريح فيهم،لا يستطيع النطق بما يعرفه من عيوب المجتمع إلا بالرمز والكناية :
لقد زاد الكبت والتضييق على الناس حتى إننى لأحب الضحك للحياة فيمنعنى منه خوفى من العقاب عليه . كما عوقبت ذات يوم على بعض ابتساماتى .
فأصبح مثلنا كمثل الجواد الذى يريد أن يثور على من ألجمه ولكن اللجام الموضوع فى فمه يمنعه من العض،فتعساً للقوم الظالمين صناع الشكيمات .

ولعلك تلاحظ مدى سخرية الشاعر وغضبه وتمنيه تغيير الحال فى الأبيات السابقة .

وفى البيت الثامن فى « الصراحة والصريح » جناس . وبين « الصراحة والكنايات » تضادٌ . والاستفهام مرادٌ به التعجب والسخرية .

وفى البيت التاسع فى « أضحك » استعارةٌ تصريحيةٌ ففيها تشبيه إعطاء الأمان للحياة بالضحك لها.وفى ذكر الجواد الهائج الذى عضته الشكيمة تمثيلٌ ورمزٌ لإنسان العصر الذى يحاول الثورة على الأوضاع الفاسدة فلا يستطيع .

تعليق

القصيدة اجتماعيّة إنسانيّة . يشكو الشاعر فيها من (الديكتاتورية) وحكم الفرد . ومن الفوارق الطبقية التى تسود المجتمعات . واستئثار الأقوياء وذوى الجاه بالخير والمجد من دون الناس . بل إن الذين يرقون فى الحياة لا يرقون إلا على أكتاف غيرهم وعلى أشلائهم ورؤوسهم . والرعايا يساقون فى الحياة سوق الخراف إلى هلاكها ليلة عيد الأضحى ولا من مغيث . لا ينطقون إلا بالكنايات . ويعاقبون حتى على الابتسامات .

ونلاحظ أن القصيدة تكشف عن شخصية الشاعر . فالشاعر إنسانٌ رقيق المشاعر يجيش بأحاسيس بنى البشر . ويشعر بمشاعرهم . ودعوته هذه الشديدة إلى إزالة الفوارق الطبقية وإقرار العدالة الاجتماعية دليلٌ على ذلك .

وهو ذو ثقافة عربيّة أصيلة . يظهر ذلك من لغته واستخدامه للرمز بالخراف والكبش والحوت . ومن صوره وتشبيهاته واستعاراته وكناياته فى القصيدة ..

والتقليد فى القصيدة واضح فى استخدامه الألفاظ الجزلة . والعبارات الرصينة . وفى طريقة نسجها . وفى اختياره وزنا واحدا من البحور الطويلة . وهو بحر

البسيط . وقافية رتيبة . وصوره أكثرها صور تقليدية قديمة . والجديد فى القصيدة أنه عنونها بعنوان خاص،وقالها فى موضوع واحد،وموضوعها عصرى يتحدث عن قضية من قضايا العصر هى قضية الحرية والعدالة والمساواة ..

***

المناقشـــة

١ ـ اذكر الأفكار الرئيسية التى اشتمل عليها النص،ثم اختر إحداها وأعد صياغتها بأسلوبك الأدبى .

٢ ـ « للعاطفة أثرها فى التعبير والتصوير »

اشرح هذه الحقيقة فى ضوء دراستك للقصيدة مع التمثيل ببعض أبياتها

٣ ـ وليت شعرى هل تلقى الخراف غداً　　كبشا يغار على تلك الذبيحات ؟
هيهات هيهات إن البهم ما خلقت　　إلا مـــــطايا لأغراض الزعامات

(أ) اشرح معانى المفردات : كبش ـ ذبيحة ـ هيهات ـ البهم ـ مطية

(ب) ما الذى يرمز إليه الشاعر بالخراف وبالكبش ؟ ولماذا لجأ إلى الرمز ؟ وهل ينجح الشاعر بالرمز كما ينجح بالتصريح ؟ علل لما تقول ..

(جـ) عين فى البيتين أسلوباً خبريًا . وآخر إنشائيا وبين الغرض البلاغى لكل منهما ..

٤ ـ تكلم عما يمثله النص من الخصائص الفنية لصاحبه .

٥ ـ بين مظاهر المحافظة فى النص،ومدى ارتباطها بشخصية الشاعر وثقافته .

٦ ـ ما القيمة التعبيرية الفنية لكل من البيتين التاليين :

(أ) لن تبلغ المجد إلا إن صعدت له　　عـــــلى سلالـــــم أشلاء وهامات
(ب) هاج الجواد فعضته شكيمته　　شلت أنامل صناع الشكيمات

***

عبّاس محمود العقّـــاد
نماذج مِنْ شعره ..

واليك نموذجيْن التقطتْهما آلة التصْوير الحادة عنده،ثم أسبغت عليهما نفسه من إنسانيته . ثمّ صاغهما عقله الذكيُ ولُغته الطّيْعة صياغة رائعة .

واجهاتُ الدّكاكينْ

يقول عباس محمود العقاد :

هذي المطارفُ[1] ضُفّفتْ عجباً ... فانظر وراء ستارها عَجَبَا
إنّ الدكاكين التي عرضت ... تلك المطارف تَعْرِضُ النُّوَبا[2]
انظر إلى التّجار ما عرفوا ... غير النُّضار[3] وعدّه تَعَبا
وانظرْ تر الشّارين قدْ سمحُوا ... بالمال يقْطر مِنْ دم صَبَبا[4]
وانظرْ تر الحسناء لابسةً ... لمْ تلتمس غيرَ الهوى أربا[5]
هذا زمانُ العرْض فانتظرُوا ... عرْضاً يريــنا الويْل والحَرَبا[6]
بِهِر النُّفوس بكُلّ ظاهرة ... وطوي جمال النّفسِ مُحْتَجِبَا

مُتَســوّل

ويقول عباس محمود العقاد :

هُمْ النّاسُ صنف لهذي الحيـ ... ـاة وذلك صنْفٌ لَهم مُبْرِمُ
ففي كُلّ بيْت لـه لُقْمةٌ ... وفي كُلّ جيْبٍ لـه دِرْهَمُ
ذليلٌ مهيْنٌ بما يغْنمُ ... ذليلٌ مهيْنٌ بما يَحْرِمُ

---

١ ـ المطارف : جمع مطرف وهو رداء من حرير ذو أعلام . ضففت : رتبت عجبا : أى عجيبا وعجبا : أى متعجبا
٢ ـ النوب : المصائب جمع نوبة ٣ ـ النُضار : النهب
٤ ـ صَببا : أى منصبا متدفقا ٥ ـ الأرب : القصد والغاية ٦ ـ الحرب : الهلاك

ألا أيها السائل المفدم — قسمت فحسبك ما تقسم
حقرت الحياة كما حقرتك — فما منكما أحد يظلم
وما هكذا النابغ العبقري ! ولا هكذا الآثم المجرم

من النموذجين الاجتماعيين الآخيرين للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد يتبين لنا كيف أنه استطاع أن يحوّل ما حوله من شئون الحياة العاذية إلى موضوعات شعرية يخلع عليها من الاحاسيس والمشاعر ما يجعلها تضج بالحياة . وتهوى إليها أفئدة الناس .

ومن كان يظن أن العقاد أو غيره يستطيع أن يجعل من « واجهات الدكاكين » أو من « المتسول » موضوعاً يقول فيه ما قاله العقاد فيهما مما معنا من الشعر الذى يوثق . ما بيننا وبين هذه الأشياء العاذية . أو هؤلاء الناس العاديين المغمورين . فيعطي صورة كل ذلك واضحة، ويعطي ما بأنفسنا من هذه الصورة بالوضوح نفسه .

فما واجهات الدكاكين إلا كواجهات الناس. وما حقائق ما بداخل الدكاكين إلا حقائق ما بداخل الناس من تجار وشارين ورجال ونساء ...

وما المتسوّل إلا ضيف . وكل إنسان في الحياة ضيف . ولكنه ضيف من نوع خاص فتقابله الحياة بما يستحقه من التقدير أو التحقير .

وإنا لنحس بما في شعر العقاد من النماذج التى عرضناها من دقة اللفظ . وقوة التركيب . وصحة الأسلوب . وغزارة المعنى . وسعة الخيال . ونصاعة الحجة . وفهم للناس وللحياة عظيم . واستبطان لأمورهم الحيوية . والمعيشية وإسباغ رداء الإنسانية عليها واتخاذ العبرة منها والعظة .

وعلى هدى هذه النماذج - وغيرها كثير من شعر العقاد المتنوع المتعدد ألوان الجمال . المتخذ طريقا جديدا في الشعر لم يطرقه أحد غيره ممن سبقوه من الشعراء وهو ما يمكن أن نسميه شعر الحياة العادية -

على هدى من ذلك يمكننا أن نتعرف شخصية العقاد وخصائصه الفنية التى سنعرضها عليك فيما يلي :

---

١ - قضاء مبرم ، أى لا مناص منه ٢ - المعدم الفقير ٣ - انظر فكرة الديوان فى « دواوين للعقاد ص ٤٦٦

نشأته وحياته :

وُلد عباس محمود العقاد ـ الشاعر الناثر المفكر ـ في ٢٨ يونية عام ١٨٨٩ م لأسرة مصرية متواضعة، فقد كان أبوه أمينا للمحفوظات بمدينة أسوان، وكان جدُّه الأعلي يشتغل بمصنع حرير في دمياط، ولذلك لُقب بالعقاد، أما أمه فقد كانت حفيدة لأحد رجال الفرقة الكردية التي وجهها محمد علي إلي السودان عام ١٨٢١ م لتأديب ملك « شندي » علي عصيانه، وقد أورثت ابنها امتداد القامة، وملامح الوجه، وشدة المراس .

وقد تلقي العقاد دراسته الابتدائية في أسوان، ولم يكمل تعليمه بعد ذلك، وانخرط في سلك الوظائف الحكومية في أسوان وغيرها من مدن الوجه القبلي والوجه البحري ثم انتقل إلي القاهرة ليعمل في الصحافة، وعمل في أشهر الصحف التي كانت تصدر في عهده كالدستور والأهرام والجهاد وروز اليوسف . والبلاغ ... وغيرها، وكتب في هذه الصحف، وأمدَّ غيرها بمقالاته الكثيرة .

ولقد كان العقاد دائم القراءة والاطلاع في الثقافتين العربية والإنجليزية، بجدٍّ وحرص وعمق، ولأنَّ قراءاته كانت متنوعة فقد كانت كتاباته متعددة الاتجاهات فكان يكتب في الأدب والفنّ والتاريخ والفلسفة والدين والسياسة وشتي شئون الحياة .

وبعد الحرب العالمية الأولي اتصل بالزعيم سعد زغلول، وأصبح كاتب حزب الوفد ولسانه الناطق بسياسته، وخاض معارك سياسية عنيفة مع كتاب الأحزاب الأخري، وقد كانت السياسة سبباً في شهرته واختياره عضواً بمجلس الشيوخ ولكن آراءه السياسية الجريئة ضد الاستعمار والقصر الملكي أدت إلي دخوله السجن، وقضائه فيه شهوراً عديدة .

وكانت للعقاد ندوة أسبوعية فى بيته، يلتقى فيها وطلاب المعرفة ليفيض عليهم من علمه . ويجيبهم عن أسئلتهم التى يوجهونها إليه .

ولقد أسهم العقاد فى بناء حياتنا الفكرية والأدبية . وفى نهضتنا الصحفية والسياسية . وتقديراً لعلمه وفنه وأدبه اختير عضواً بمجمع اللغة العربية . وعضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب . ولقد خلف العقاد ثروة هائلة من المؤلفات والدواوين الشعرية التى تزيد فى مجموعها عن سنىّ عمره . ومنها كتبه التى تجمع مقالاته « كالفصول » و « يسألونك » و « مراجعات فى الآداب والفنون »

و « مطالعاتٌ فى الكتب والحياة » . ومنها قصة « سارّة » . ومن أعظمها العبقريات ٠
وأما دواوينُ شعره فكثيرة . وقد طبعت الدّولة بعْد وفاته خمسة دواوين له فى مُجلد واحد وهى :

« هدية الكروان ـ أعاصيرُ مغرب ـ بعد الأعاصير ـ وحى الأربعين ، وعابرُ سبيل » ..

ومات العقاد رحمه الله فى ١٣ مارسْ عام ١٩٦٤ م بعد حياة حافلة بالكفاح الأدبى والعلمى والسّياسى، قلّما يسْتقلُّ به فردٌ واحد خلال فترة العُمْر التى عاشها ..

شعْره

الشعر شُعورٌ ووجدان ،ولهذا فإنّه مُلازمٌ للإنْسان فى كُلّ زمان ومكان . وإذا وجدت الموسيقيّةُ ـ كما يقول العقاد ـ فى لسان الطّائر، فلماذا تُحرّمُ على لسان الإنسان ؟ ولماذا يكونُ الكَلامُ الإنسانىّ وحده بمعزل عن الأوزان والأشْجانِ ؟

ومنْ هنا كانَ العقاد بما أودِعَ فيه منْ شعور صادق بالناس والحياة ،ومنْ عقْل مُفكّر،ومن اقتراب شديد واختلاط بالشئون العامة للناس على اختلافها،ثم من معرفة واسعة باللغة واللُغات المُتعدّدة .كانَ مُمْتلكا لأدوات الشعر، قادراً على العطاء الكثير فيه، شأنه فى ذلك شأنهُ فى النّثْر الذى أجزل فيه العطاء، مع قوّة واْقتدار وسُمُوّ وشُموخ .

ويعُدُ العقاد أغراض الشعر كلها أغراضا عصْريّة حتى المدح والهجاء . ما دام الشاعر يتناول ما يتناول منها بإحساس وإخلاص وإيمان بما يقول . وبتمثُّل وتخيُّل لأنّ مثل الشاعر ـ كما يقول ـ كمثل المُصوّر، بالريشة . كُلُّ ما يُطلب منه أن يجيد نقل الشبه والدّلالة على الملامح والأطوار النّفْسيّة . سواء أجر على ما يفْعل أوْ لمْ يُؤجر . فإنْ أجاد فى عمله فهو يُصوّر كأحسن المُصوّرين . وإنْ لمْ يُجد فليس هو بمُصوّر وإن كان يرسُم الأشخاص غير مأجور . أو كان يشغل نفْسه بمناظر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التى تقابل الوصْف والْغزل فى الْقصائد ..

ولهذا جاءت أغراضُ شعْر العقّاد غير محْدودة .. جاءت تشْمل الأغراض القديمة التى نظم الشعراء القدامى فيها شعْرهم، كما تشمل الأغراض الْحديثة التى خلّفتْها حياةُ الناس الجديدة وعصْرهم الجديد، وديوان « عابر سبيل » الذى اخترنا منه نماذج شعر العقاد يكادُ يكونُ جديدا كله . فهوُ شعرٌ اجْتماعىّ ينزل إلى قاع

المجتمع فيصف فيه ما لم يحاول الشعر القديم أن يصف أمثاله، مسبغا عليه غلالة شفافة من شاعرية الشاعر وإنسانية الإنسان .

وقد رأى العقاد أن القدماء أخطأوا حين ظنوا أن موضوعات الحياة العامة وشئون المعيشة موضوعات خسيسة لا تستحق المعالجة الشعرية . لأنه رأى أنه بتعمقها والإحساس بها ثم التعبير عنها شعرا يحقق أغراضا كثيرة ..

فهو يضيف موضوعات وميادين جديدة للشعر، إذ قدر على أن يحيل هذه الموضوعات العامة مما في البيت أو الطريق أو الدكاكين أو السيارة أو غيرها إلى موضوعات شعرية، بما يخلع عليها من إحساسه، ويفيض عليها من خياله ويبث فيها من نفسه وروحه .

وهو يبين ـ كما يقول ـ أن كل هذه الاشياء العامة تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية يمتزج بالشعور، فيصلح للتعبير، ويجد في التعبير عنه صدى مجيبا في خواطر الناس .

ثم هو يستطيع بتعويد الناس العناية بتلك الاشياء حينما يجدون فيها بالشعر ما يستحق العناية ـ أن ينقذ النفس الانسانية من التفاهة التي غلبت على الحياة وعلى الشعر والفن . بسبب ما حدث في عصورنا الحديثة ـ بدءا من أوربا ـ من ضعف الأوامر الانسانية، والروابط الاجتماعية، وبه فقرا لإيمان بالمثل العليا والعقائد الراسخة والفضائل الروحية حتى فترت النفوس فلم يعد الناس يصغون إلى الشاعر الذي يتغنى بهذه المعاني . لأن الهدف لم يعد أكثر من إشباع اللذة وقضاء اللحظة العابرة . وقد استطاع العقاد مع الآخرين من زملائه الشعراء أن يختطوا للشعر خطة جديدة تعتمد على الشعور والوجدان، ولا تعتمد على العقل وامتلاك أدوات البيان فحسب .. فكانت لذلك جماعة الديوان . وجماعة أبوللو في الشعر ..

ويمتاز أسلوب العقاد في شعره بالوضوح، والصفاء، ومتانة التركيب، واستقامة التعبير، وحسن التصوير، وعمق التفكير، وثراء المعاني وخصوبة الخيال .

ويرجع ذلك إلى امتلائه باللغة، واتساع ثقافته، وعدم اقتصارها على الثقافة العربية وحدها، بل امتدادها إلى الثقافة الأجنبية العالمية أيضا، لأنه كان يجيد الإنجليزية فكان يطلع على أكثر ما تخرج المطابع في شتى أنحاء العالم من كل مستحدث في الفن والعلم والأدب . حتى ما لا يتعلق منه باهتمامات الأدباء وعامة المثقفين ..

ولذلك كان العقاد مجدداً فى موضوع شعره وفى مضمون فكره، وكان العقاد قد وافق بعض الشعراء على إلغاء القافية من الشعر العربى - كما يحدث فى الشعر الأجنبى - حتى لا تكون القافية قيداً على الشعر والشاعر. ثم عاد وتنازل عن رأيه وآثر القافية فى شعرنا العربى، غير أنه نوع فى أوزانه، ونظم فى الأوزان القصيرة التى لم تكن مطروقة فى الشعر القديم، بل لقد ابتكر بعض أوزان جديدة لم ترد فى أوزان « الخليل بن أحمد ».

ولم يكثر العقاد من نظم الشعر فحسب، ولم يدخل به إلى ميادين وأغراض جديدة فقط، ولكنه إلى ذلك كله كان صاحب مدرسة فيه. ذات نظرية جديدة، تعتمد الحس والشعر - كما عرفت - وقد تخرج فى مدرسته - ولا يزال - عديدون من الشعراء المعاصرين.

***

أسئلة عامة

١ - اختر من محفوظاتك بعض ما يمثل النثر الجاهلى. من خطبة أو منافرة أو وصية أو أمثال وحكم .. الخ وضح فى ضوء ما تختاره خصائص النثر الجاهلى ..

٢ - ذرست لحافظ ابراهيم قصيدة حريق ميت غمر - اكتب بعض أبياته التى وصف فيها النيران. وبين فى ضوئها كيف استطاع أن يصور شراسة الحريق وأثره فى تلك المدينة وأهلها.

٣ - اكتب مذكرة عن حياة العقاد وأثره فى مجال الأدب ؟

***



مرآة الإسلام لطه حسين

تلخيص وتعليق

كان الدكتور طه حسين ـ رحمه الله ـ من العلمـــاء الأعلام فى عصرنا الحديث الذين تشغفوا عن جوهر الاسلام الأصيل خلال عصر قوته وجدته، بما أنتجه من مؤلفات اسلامية مثل : « على هامش السيرة » فى أجزائه الثلاثة و « الوعد الحق » و « الفتنة الكبرى » بجزئيه : عثمان وعلى وبنوه ، «والشيخان أبو بكر وعمر » . و « مرآة الإسلام » ، وهو أشد كتبه اقترابا من سيرة الرسول الكريم وتجلية لجوهر الاسلام الحنيف .

واسلوب طه حسين فى «مرآة الاسلام » ، وحسن عرضه لاحداثه وافكاره لا يجعل من هذا الكتاب كتابا فى تاريخ الدعوة الاسلامية والسيرة النبوية فحسب . بل يجعل منه كذلك كتابا فى الادب وحسن التفكير ودقته واستنباطه، ولهذا فالكتاب ثروة تاريخية دينية أدبية لا ينبغى أن يحرم منها طلاب العلم فى معاهد العلم المختلفة .

اقسام الكتاب وفصوله :

وينقسم الكتاب الى قسمين ، أو الى كتابين ، كما سماهما المؤلف . ثم ينقسم كل كتاب الى فصول لا يسميها المؤلف ، وانما يعطى لكل فصل منها رقما مسلسلا . وبعض الفصول يطول كثيرا ، وبعضها يقصر كثيرا ، وبعضها يتوسط بين الطول والقصر حسب مقتضيات الاحوال وحسب المسالة التى يبحثها طولا أو قصرا .

ويبلغ الكتاب الاول نحو مائة وثمانى عشرة صفحة من القطع المتوسط(١) ويبدأ بمقدمة عن البيئة العربية التى ظهر فيها الاسلام وأسرة النبى ، والتى قضى فيها النبى حياته حتى توفى ، وتولى الخلافة من بعده أبو بكر الصديق .

وأما الكتاب الثانى فيبلغ نحو مائة وست وأربعين صفحة تبدأ ببيان أهم مصدرين للإسلام وهما القرآن والسنة ، ثم تتحدث عن سيرة المسلمين فى عهد النبى والخلفاء الراشدين حيث تطبق الشريعة الاسلامية ، ويعيش المسلمون أحرارا متساوين كما لم يكونوا فى أى عصر أو مجتمع آخر . ثم تتحدث عن إهتزاز المبادىء الاسلامية خلال الفتنة الكبرى ، وظهور الأحزاب

---

(١) حسب الطبعة الرابعة لمرآة الاسلام ـ نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦ .

السياسية والفرق الكلامية والصراع بينها ، وظهور المذاهب الفقهية ، وغلبة العناصر الأجنبية على الحكم ، وسيادة التخلف والجمود ، وشيوع الفساد والخراب في أنحاء البلاد . ثم تتحدث عن قيام النهضة الحديثة عقب الغزو الاستعماري الغربي للعالم العربي طمعا في خيراته . وكان رد الفعل أن يتيقظ المسلمون فعملوا على تدارك ما فاتهم بوسيلتين : احياء تراثهم القديم . والاستفادة من أسباب رقي الدول الغازية المستعمرة .

هذه هي محتويات الكتابين بايجاز ، ولما كان الكتاب الأول قد عرض المسيرة النبوية المطرة عرضا صحيحا ميسرا مسلسلا ، فقد رأيت أن أقدمه للقارىء ملخصا ـ فلعله أن يشتهي الرجوع بعد هذا الملخص الى أصله في الكتاب ، ثم بعد الكتاب الى أصوله في كتب السير المطولة ، فالحديث عن سيرة الرسول حديث عذب شهي مستطاب .

الكتاب الأول

الأمة العربية في تخلف حضاري خلال القرن السادس الميلادي :

كانت الأمة العربية في تخلف ثقافي وحضاري خلال منتصف القرن السادس الميلادي في أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية اذا قيست بالأمم المجاورة لها ، فسكان اليمن جنوبا كانوا أهل حضارة سادت ثم بادت ، وكانوا على شيء من الاستقرار لما كان لهم من قليل زراعة وتجارة أديا الى شيء من الرخاء لا ينعم بمثله بقية العرب . أما في قلب الجزيرة فكانت « نجد » تعيش حياة بدوية قاسية تسودها العصبية والحروب المتصلة ، ولم تكن مكة والحجاز بأحسن حالا من نجد ، ولكن كانت بالحجاز قرى ينعم أهلها بالاستقرار ، فلأهل مكة تجارتهم يرحلون بسببها رحلة الشتاء الى الجنوب ، ورحلة الصيف الى الشمال ، وعندهم الكعبة يحج اليها سائر العرب فيعظمونهم لتعظيمها . ولأهل الطائف الى جوارهم شيء من الزراعة وغرس الحدائق ، وأما المدينة فلها زراعتها اليسيرة ، وعربها قبيلتان يمنيتان هما الاوس والخزرج في صدام مستمر . ولكل منهما حلفاؤها من اليهود يشاركونها سلما وحربا .

وفي تلك الفترة كان العرب قد جاوزوا جزيرتهم فبلغوا العراق شرقا ، والشام شمالا ، ولكنهم كانوا خاضعين للفرس في الشرق ، وللروم في

الشمال ، ودخل معظمهم المسيحية ، وان لم يتركوا تقاليدهم البدوية ، وهكذا بقيت الوثنية غالبة على العرب داخل جزيرتهم وخارجها .

كانت الوثنية هي الغالبة على العرب :

انتشرت المسيحية بين عرب العراق والجزيرة والشام ، وعرفت في مكة والطائف واليمن ، ولكن المتدينين بها لم يتركوا منها الا عنصرا اقرب الى الوثنية ، وكذلك عرفت اليهودية في اليمن ويثرب ، ولكن احبار اليهود كانوا جهالا . وعرفت المجوسية الفارسية بين القبائل المجاورة للفرس .

وفي الشعر الجاهلي وصف للاطلال عن حضارات هذه البلاد يدل على إن العرب كانوا على صلة بالعالم من حولهم ، فالعرب لم يكونوا في عزلة وكل ما في الأمر ان قلب الجزيرة وشمالها لم يخضعوا لسلطان أمة متحضرة فبقوا في عيشة غليظة ، وسيطرت عليهم جاهليتهم بكل ما فيها من الآثام والمنكرات .

وثنية العرب ساذجة :

ويصف المؤلف وثنية العرب بالسذاجة فلم تفكر فيهـــا عقولهم ، ولم تمتزج بقلوبهم ، وانما كانت اخلاطا ورثوها من آبائهم .

والعرب الوثنيون لم ينكروا الله : كما يرى المؤلف ان هؤلاء الوثنيين لم ينكروا ان للسموات والارض خالقا هو الله ، كما تشير الى ذلك الآية القرآنية : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » ، وقول الشاعر « لبيد » في الجاهلية « الا كل شيء ما خلا الله باطل » ، ولكن علمهم بالله كان ساذجا فاتخذوا الهة قريبة منهم يحسونها لمسا وبصرا وهي الأصنام .

ويرى المؤلف ان اهل مكة لم يكونوا صـــادقين في وثنيتهم ، بل انهم كانوا يتجرون بالدين كما كانوا يتجرون بالسلع التجارية ، لأنهم كانوا أذكياء خبراء يشغلون الحياة داخل جزيرتهم وخارجها ، مطلعين على حضارات الأمم من حولهم ، ولذلك لم يكونوا يؤمنون بهذه الخرافات التي يؤمن بهـــا العرب الوثنيون .

قريش اهل تجارة :

ويرى ان قريشا لم يكونوا اصحاب دين وايمان ، بل اصحاب تجارة ، فهم يظهرون الوثنية ويحببونها الى العرب ترغيبا لهم في الحج ، ليعتقدوا

منافعهم من التجارة . فقد كان هدف مكة التجارة والمسالمة ، ولذلك كانت تتحاشى الحروب ، لأنها تعوق التجارة ، وتضيع المال ، وقد عقدت « حلف الفضول » الذى شهده النبى مع أعمامه قبل البعثة وأثنى عليه بعدها . وقد تعاهدت فيه بطون قريش على مناصرة المظلوم فى مكة ، وأخذ الحق له من ظالمه ليطمئن الغرباء والضعفاء الى الأمن والعدل فيها ، فيقبلون عليها حجاجا ومتجرين . وكان الحكم فى مكة لشيوخ البطون القرشية .

عبد المطلب جد النبى :

وكان أحد هؤلاء الشيوخ عبد المطلب بن هاشم جد النبى عليه السلام يصفه المؤلف بالوقار والتمسك حتى حفر بئرا خاصمته قريش فى ملكيتها فجعلها للكعبة ، ورأى خلال هذه الخصومة أنه وحيد لا نصير له من الولد ، فنذر لئن تم له عشرة أولاد ليقربن أحدهم . وأراد بعد تمامهم عشرة أن يقرب أحدهم وهو عبد الله (أبو النبى) فاستبشعت قريش عمله وألزمته أن يقرع بين ابنه وعشرة من الابل فجعل كلما أقرع خرج السهم على ابنه حتى بلغت الابل مائة ، فخرج السهم عليها ثلاث مرات فقربها للآلهة فنجا ولده . وعندئذ زوجه من آمنة (أم النبى) ، ثم ارسله فى تجارته مع قومه الى الشام ، فذهب ولم يعد اذ أدركه الموت فى يثرب عند أخوال أبيه فيها خلال عودته من الشام .

وفى تلك الأيام طمع الاحباش الذين كانوا يحكمون اليمن فى مكة فحاولوا فتحها وهدم كعبتها ليصدوا العرب عنها ويتملكوا تجارتها وينشروا المسيحية بها وبسائر بلاد العرب . ولكنهم فشلوا وعادوا خائبين دون مقاومة من قريش ، لأن عبد المطلب نصح قريشا بتخلية مكة ، وأنزل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل . وسموا بأصحاب الفيل وسمى العام عام الفيل لأن الجيش الذى هزم كان يضم مجموعة من الفيلة .

مولد النبى ورضاعته ونشأته ثم زواجه :

ويقص المؤلف قصة مولد محمد ، ورضاعه فى بنى سعد ، ونشأته فى مكة فى رعاية جده عبد المطلب ، ووفاة أمه وهو فى السادسة ، حين أرادت أن تزور وتزيره معها قبر أبيه فى المدينة ، فماتت ودفنت فى طريق عودتها الى مكة . وفى نحو السابعة فقد جده ، فكفله عمه أبو طالب . وحين كان فى الثانية عشرة خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه محمد وعادا سويا . وحين كان فى الرابعة عشرة من عمره شهد مع أعمامه « حرب الفجار » بين قريش وقيس فكان ينبل على أعمامه .

وكان محمد للفقر عمه أبى طالب يرعى الغنم لقومه ، ولكنه لما شب سلك سبيل التجارة كأبيه وأعمامه وجده وسائر قبيلته . وربطه عمه فى التجارة بسيدة ثرية من شريفات قريش هى « خديجة بنت خويلد » فاتجر لها فى مالها فرأت من أمانته ورجولته وبراعته ما يسر زواجهما فعاش فى سعة كما قال تعالى « ووجدك عائلا فأغنى » ويسر الله له منها من الذرية مازاد غبطته .

نزول الوحى :

وكلما ازداد محمد نضجا ازداد ميلا الى العزلة . وكان يلجأ الى غار حراء بجوار مكة فيخلو فيه الايام والليالى . حتى جاءه الوحى يقول ربه « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » وفزع لنزول الوحى عليه فجاة ، ولكن خديجة هدأته واخذته الى ابن عمها المستنير « ورقة بن نوفل » الذى اخبر بأن ما رآه هو الناموس الذى انزله الله على «موسى» وتمنى ان يكون حيا حين يخرجه قومه بسبب دعوته اياهم الى الايمان .

ثم نزل الوحى بعد ذلك على الرسول يدعوه أن ينذر قومه ويصبر على اذاهم ، فانذر قومه ، ثم عمم دعوته ، ولم يستجب له الا أقلهم ، وآذوه ومن تبعه فصبروا .

واستمر نزول الوحى بالقرآن . وكان الرسول يتلو القرآن على الناس من قريش ، فمنهم من آمن ومنهم من لم يؤمن ، وكانوا يبهرون بالقرآن لفظا ومعنى ونظما ، ولكنهم لا يؤمنون به حسدا أو كبرا أو استمساكا بما توارثوه من الشرك ، وعرضوا على الرسول الملك والمال فرفض ، فلجأوا الى عمه ليمنعه من دعوته ، فكان جوابه لعمه التصميم على الاستمرار فى دعوته ، فاخذوا فى ايذائه وايذاء اصحابه بالقول والقطيعة والضرب بل والقتل احيانا ، ثم قاطعت قريش بنى هاشم أهل النبى ، وحبست بنو هاشم ثلاثة أعوام حتى رفعت قريش عنهم الحصار .

ويمتحن النبى بعد ذلك بموت زوجه خديجة وعمه أبى طالب ، ويشتد البلاء على المسلمين ، فيأذن لهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ، ويبقى النبى ومن أبى فراقه من أصحابه بمكة يتحملون الأذى صابرين .

وفي موسم الحج يعرض النبي الإسلام على قبائل العرب ، فيجد في أحد المواسم من أهل يثرب ميلا اليه . وفي العام التالي يبايعونه على أن يؤيدوه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم . ويأذن لأصحابه في الهجرة الى المدينة فيهاجرون اليها جماعات . وقبل أن يهاجر عليه السلام اليها يتفق كفار مكة على أن يقوم نفر من أحياء قريش بقتله فيضيع دمه في القبائل . وآذنه ربه بمكرهم ، فخرج مستخفيا مع أبي بكر الى غار حراء ، ومن بعده الى المدينة التي استقبلت النبي أحسن استقبال . ومن ذلك اليوم فتحت أمام الدعوة طريق جديدة .

الدعوة في مكة بعد نزول الوحي :

بقي النبي في مكة قبل هجرته ثلاثة عشر عاما قضاها في الدعوة الى الاسلام والصبر على أذى المشركين ، كان يدعو الى التوحيد والعدل والمساواة ، وينهى عن الشرك والظلم ، وينبىء بالقيامة ويقربها ويهول من شأنها وما يحدث حين قيامها في الكائنات والناس ، وما يكون بعدها من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين .

وكان يتحدى المشركين المستهزئين بالقرآن أن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ، وكان عجزهم وهم الفصحاء دليلا على أنه كلام الله ، وكان البعض ممن تسحرهم روعة القرآن يؤمن به كعمر بن الخطاب ..

وكان المشركون يسرفون في مطالب سخيفة كأن يفجر النبي ينبوعا ، أو ينشىء جنة ، أو يسقط السماء كسفا ، أو يأتي بالله والملائكة ، أو ترقى في السماء ، أو يحيي العظام ، وكان النبي يخوفهم العذاب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة كغيرهم ممن كذبوا الرسل قبله ، فقد تعذبوا في الدنيا بالطوفان ، أو الريح ، أو الصيحة ، أو المطر ، أو الرجفة وبقي لهم عذاب النار في الآخرة .

وأسري بالنبي من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الأقصى في الشام ليلا ، وعاد في ليلته مع أنها رحلة أيام طويلة . وما زال النبي يدعو المشركين الى الايمان وما يستتبعه من العدل والاحسان والانتهاء عن المآثم : حتى أذن الله له في الهجرة فهاجر بعد أن أدى حق الله مع قومه ولم يؤمن له منهم الا القليل .

الرسول في يثرب وفتح مكة :

وبلغ الرسول يثرب حيث المسلمون الذين آمنوا قبل الهجرة ، والمشركون الذين آمن بعضهم بعد الهجرة ونافق البعض منهم ، وحيث اليهود الذين ظلوا على ما ورثوه من دينهم ، فآخى بين المهاجرين والانصار وتحالف مع اليهود ، واتخذ أول مسجد في الاسلام يقيم فيه الصلاة ويعلم فيه المسلمين أمور دينهم ، ولم يكشف للمنافقين سترهم واكتفى بظاهر اسلامهم . ولكنه أحس انه بين عدوين : اليهود في المدينة الذين لم يحافظوا على العهد معه وأضمروا الغدر به ، وقريش في مكة التي تركها حانقة عليه خائفة منه أن ينتقم منها ، فهي تحرض عليه العرب وتغرى به اليهود ، وتؤذى أصحابه ممن لم يهاجروا معه . فلا يكاد العام الثاني من الهجرة ينتهي حتى تدور الحرب في « بدر » وكفار قريش كثرة والنبي واصحابه قلة ، وينتصر النبي وتهزم قريش ، وتعود قريش بعد عام لتثأر لنفسها في أحد ، ولولا أن بعض المسلمين خالفوا أمر النبي وطمعوا في الغنيمة لانتصر المسلمون ، ولكنهم هزموا بسبب المخالفة والطمع ، وقتل كثير من الصحابة ، وجرح الرسول الكريم ، وطمعت قريش في انتصار آخر أكبر فحالفت القبائل واليهود وكانت « غزوة الأحزاب » بعد أكثر من عام ، وحفر النبي خندقا ليمنع المشركين من دخول المدينة ، وأقبلت قريش في جموع كثيرة ، ونقضت « بنو قريظة » عهدهم ، وأضمر المنافقون خذلانهم للمسلمين ، هنالك ابتلى المؤمنون . وقد أتاح الله للمسلمين فرصة اسلام واحد من المشركين قام بدور أوقع به بين الجماعات المحتشدة لقتال المسلمين . كما أتاح الله للمسلمين فرصة ريح عاصفة أطفأت نيران الكفار واقتلعت خيامهم ، فرحلوا متفرقين ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . ولم تحاول قريش بعد هذه الهزيمة معاودة غزو المدينة وان استمرت تحرض القبائل على النبي وأصحابه .

ولما كان العام السادس للهجرة ، خرج النبي وأصحابه الى مكة للاعتمار ، وعند الحديبية عقد صلح الحديبية على أن يدخل النبي وأصحابه مكة في العام القادم للاعتمار ثلاثة أيام لا يحملون الا السيوف في أغمادها ، وعقدت الهدنة في يوم الحديبية بين النبي وقريش عشر سنين على وقف الحرب وأن يدخل في عقد النبي أو قريش من يشاء وأن من جاء لاجئا الى النبي رده ومن جاء لاجئا الى قريش لم ترده ، وأمن المسلمون مكر قريش بالهدنة وتفرغوا لمواجهة من لم يحالف قريشا من العرب ، ووعدهم الله فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها .

النبي مع اليهود في يثرب وما جاورها :

كان مكر اليهود شديدا ، وكانوا يغرون المنافقين في المدينة بالنفاق ، وكانوا يتيهون بدينهم الذي يعظمه المسلمون على المسلمين ، وكانوا أصحاب جدال وعناد وجرأة على الحق يحرفون التوراة ، يسألون النبي فاذا أجابهم بالوحي ماروا في ذلك ، لا يفون بالعهد ، وهم « بنو النضير » بقتل النبي والغدر به بمحاولة القاء صخرة عليه لولا أن انباه الله بعزمهم ، فاجلاهم النبي عن المدينة ولم يأخذ شيئا منهم . وأهان « بنو قينقـــاع » امرأة مسلمة ثم قتلوا مسلما ، فاجلاهم النبي كذلك وأخذ سلاحهم . وغدر « بنو قريظة » يوم الأحزاب وانضموا للأعداء فقتل المقاتلون وغنمت الأموال وسبيت الذرارى والنساء . وغزا النبي من بقى منهم في خيبر ووادى القرى بعد يوم الحديبية وغنم أرضهم وأعملهم فيها بنصف خراجها وللمسلمين النصف الآخر .

وقد أنزل الله في اليهود قرآنا كثيرا قص فيه سابقتهم في الكفر به والتنكر لرسله ، وعقاب الله لهم على ذلك . وأحيـــانا يرد على افترائهم ويصفهم بأنهم يحرفون كلام الله وأنهم منافقون وأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وانه نجاهم من آل فرعون ، وأغرق آل فرعون ، ولكنهم جحدوا هذه النعمة وعبدوا العجل . كما يصفهم بالجبن وأنهم حين طلب منهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي اختصهم الله بها قالوا له « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ويكذبون على الله بزعمهم ان النار لن تمسهم الا أياما معلومات ، وانهم لم يتمنوا الموت لما قدموا من سيئات ، وأنهم أحرص الناس على حياة ، وأن أحدهم يود لو يعمر ألف سنة .

وكان أول رد عملي عليهم حين حولت قبلة المسلمين في الصلاة عن بيت المقدس الى المسجد الحرام . وكان النبي يتمنى ذلك لما وصفوا به . وبعد خلو المدينة منهم وفتح خيبر ووادى القرى ، خف الجدل بين النبي وبينهم وقل ذكرهم في القرآن لانقطاع الحاجة اليه .

النبي مع النصارى :

لم يكن أمر النصارى ظاهرا في جزيرة العرب وانما كانت لهم جماعة في نجران ، وأفراد متفرقون في أنحاء الجزيرة ، فلم يكد الجدال بينهم وبين النبي متصلا . وقد صورهم القرآن أقرب الناس مودة الى المؤمنين . وقد قرر القرآن ان المسيح عيسى ابن مريم عظيم لم يلده أب ، وانما هو كليم الله وروح

منه القاها الى مريم . ووصف تبشير الملائكة لمريم بالمسيح ومولده وما اختصه الله به من معجزات لم يؤتها أحدا من قبله كأحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص ، وانه يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله، وانزل عليه وعلى اصحابه مائدة من السماء كانت عيدا لأولهم وآخرهم . وانه كلم الناس فى المهد ، وانه أرسله الى بنى اسرائيل يدعوهم الى الايمان به ، ولكنهم كذبوه وآذوه وهموا بقتله وصلبه .

وكان مما غضب الله به على اليهود قذفهم لمريم وزعمهم انهم قتلوا المسيح رسول الله .

ولم يكن بين النبى والنصارى جدال الا ما كان بينه وبين نصارى نجران فى مولد عيسى بغير اب ، وكيف انه فى ذلك كآدم ، بل أن آدم خلق من غير اب ولا أم ، كذلك لم يكن بين النبى والنصارى حرب الا حين علم الرسول بعزم أهل الشام من نصارى العرب غزو النبى فارسل جيشا الى مؤته ، وحدثت موقعة امتحن فيها المسلمون لولا براعة خالد بن الوليد التى نجت المسلمين . وعسى أن يكون ما حدث فى « مؤتة » هو ما حمل النبى على غزوة « تبوك » .

النبى مع المنافقين :

وهم الذين أظهروا الأسلام والمودة وأضمروا الكفر والعداوة ، ولهــذا كانوا أخطر على المسلمين من المشركين واليهود . وكان رأس المنافقين هــو « عبد الله بن أبى بن سلول » وكان عظيما فى قومه « الاوس » وهى احــدى القبيلتين اللتين دخلتا الاسلام فى المدينة ، والقبيلة الثانية هى « الخزرج » ولم يسلم « عبد الله » مع قومه حقدا وحسدا للنبى والمسلمين . ولم يستطع الجهر بكفره هو وغيره من المنافقين خوفا من أن يخرجوا من المدينة ، وأموالهم فيها وكبرياؤهم يمنعانهم من ذلك .

ولم يتعرض لهم النبى والمسلمون بسوء ، لما علم النبى عنهم من الوحى ، ولما رآه وسمعه منهم مما يدل على نفاقهم وكفرهم ، لانهم عصموا أنفسهم منه بكلمة التوحيد ، بل لقد عفا النبى عن « عبد الله بن أبى » حين أعلن عداوته

للمسلمين وازماعه ان ينصب لهم الحرب اذا عادوا الى المدينة، ولم يقبل ما أشار به « عمر » من قتله حتى لا يتحدث الناس ـ كما قال الرسول ـ بأن محمدا يقتل أصحابه ·

وقد فضح الله المنافقين في خداعهم وعنادهم وكبريائهم في أكثر من سورة في القرآن ، وبين أنهم الخاسرون ، وصور حيرتهم بين الخوف والأمن ، وترددهم بين الايمان والكفر ، ومناصرتهم للكافرين ، كما صور كسلهم اذا قاموا الى الصلاة لانها صلاة خداع · وأمر الله نبيه أن يبشر المنافقين بالعذاب الأليم وأنهم في الدرك الأسفل من النار ·

وكان خطرهم في الحرب شديدا لما يظهر حينئذ بسببهم من انقسام في الجيش ، ففريق يقبل على الحرب في ثقة بالله ووعده ، وفريق هو فريقهم يظهر الجبن ويحتال للفرار ، ويشكك في عواقب الحرب ويشيع الخوف . كما فعلوا في غزوة الأحزاب حين خافوا وأشاعوا الخوف في أهـــل المدينة وأغروهم بالفرار ، واستأذنوا النبي في العودة ، متعللين بأن بيوتهم مكشوفة للعدو ، وقد فضح القرآن أمرهم ووصفهم بالجبن والمكر ·

وقد ظهرت نياتهم حين هم النبي بغزوة تبوك ، لأن ذلك كان في أشد الصيف حين يشتد القيظ على المقيمين فكيف بالسائرين ؟ ، وكان في وقت عسرة قل فيه المال ، وهذه الحرب بعيدة عن حدود الشام ، ولا تعرف عواقبها . وتحتاج الى النفقة الكثيرة ، وأن يجاهد المسلمون فيها بأنفسهم وأمـــوالهم ، ولذلك كانت غزوة « تبوك » محنة للمنافقين جميعا ولفريق من المؤمنين أيضا ، ولهذا شدد الله على المؤمنين في أن ينفروا مع النبي ، ولا مهم فيما أظهر بعضهم من التثاقل . واذا كان الجهاد قد ثقل على بعض المؤمنين ، فهو على المنافقين أشد ثقلا . وقد استأذنوا النبي في القعود عن الجهاد ، واذن لهم . وقد بين الله كذبهم حين زعموا انهم كانوا يودون الخروج ، ولكنهم لا يستطيعون لانهم لم يعدوا له عدة ، ومع ذلك فقد كره الله خروجهم لانه يعلم انهم لـــو خرجوا لسعوا بين المؤمنين بالفتن ·

وقد عدد القرآن سيئاتهم ، كلمز النبي في الصدقات ، وقولهم عنه انه أذن يسمع ما ينقل اليه · وقد بين الله في قرآنه غضبه عليهم بعدم جـــواز الاستغفار لهم ، أو الصلاة على أحد منهم مات ، أو قبول عذرهم في قصورهم عن الجهاد ، ثم نهى النبي عن اخراجهم معه في قتال العدو · وفي السورة التي سميت باسمهم وصف القرآن حالاتهم في سكوتهم وكلامهم ، وقولهم وفعلهم ،

وفى مظهرهم ومخبرهم ، وفى جبنهم ومكرهم وكبريائهم ، ونهيهم عن اعانة النبى على النفقة من يحتاج الى النفقة من اصحابه لينفضوا عنه .

لقد كان جهاد النبى للمشركين واليهود والمنافقين متصلا وجديرا أن يستغرق حياته كلها ، ولكنه لم يستغرق الا اقلها ، وانفق سائرها فى نشر الاسلام وتعليم المسلمين أمور دينهم .

فتح مكة وانتشار الدعوة ووفاة الرسول الأعظم :

لم تكف قريش بعد صلح الحديبية عن مكرها وتحريضها لقبائل العرب فى البادية واغرائهم بالمال وغيره وكانوا أهل مكر وغدر ، فكان منهم من يدعون الاسلام ، ويطلبون من الرسول أن يرسل معهم من يفقهونهم فى الدين ، فاذا ابتعدوا بهم قتلوا بعضهم ، وأسروا البعض ، ونكثت قريش فى عهدها حين أغارت على حلفاء النبى من « خزاعة » فجعل النبى يتهيأ لعقابها . وفى العام الثامن للهجرة خرج النبى الى مكة فى جيش كثيف ، ودخلها بعد أن أمر قواده الا يقاتلوا أحداً الا من عرض لهم بسوء .

واقبل النبى على المسجد الحرام فحطم ما كان حول الكعبة من الأوثان ، وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

ثم أمر بلالا فاذن فوق الكعبة ، اعلانا للاسلام ، واجتمعت قريش فقال لهم الرسول : « ما تظنون انى فاعل بكم ؟ » قالوا : « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء » ، فاسلمت قريش ودخلت فى دين الله .

وبعد الفتح التقى المسلمون و « هوازن » فى « يوم حنين » الذى امتحن فيه المسلمون امتحانا شديداً ، ولكن كانت الدائرة على المشركين .

ومنذ ذلك الوقت انتشر الاسلام فى الجزيرة العربية كلها ، فخلق العرب خلقا جديدا اذ اجتمعت كلمتهم ، واصبحوا أمة واحدة ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وصاروا اوفياء امناء ، اعزاء رحماء ، بعد أن كانوا على عكس ذلك فى ثلاثة وعشرين عاما ، أنفق فيها النبى ثلاثة عشر عاما « بمكة » لا يكاد ينتشر الاسلام الا قليلا ، وعشرة أعوام فى « المدينة » أتم الله فيها على يده جل هذه المعجزة الكبرى .

وانطلقت الأمة العربية لمهمتها الكبرى ، وتجاوزت حدود جزيرتها ، وغيرت وجهة التاريخ ، ووجه الأرض في أقل من نصف قرن .

وفي السنة الأخيرة من حياة الرسول ، حج حجة الوداع التي خطب فيها خطبته المشهورة التي كانت وصية عامة للمسلمين ، وأتم عليه السلام رسالته كأكمل ما تتم الرسالات ، وأدى أمانته كأحسن ما تؤدى الأمانات . وصدق الله العظيم حين أنزل على نبيه أثناء حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » وصدق رسول الله حين صعد المنبر ذات يوم فقال : « ان عبدا قد خيره الله بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عند الله » فقال أبو بكر : « بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا » ، فعجب الناس لكلام « أبي بكر » ولم يحققوا مغزاه الا حين اختار الله رسوله للرفيق الأعلى .

وتوفي عليه السلام في نفس الشهر الذي وصل فيه الى المدينة مهاجرا في ربيع الأول بعد عشر سنوات من هجرته ، ولم يصدق المسلمون أنه قد مات ، ولكن « أبا بكر الصديق » تلا قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » فثاب المسلمون الى صوابهم ، ورجعوا الى الحق ، وذكروا قول الله لنبيه « انك ميت وانهم ميتون » .

ووقع خلاف بين المهاجرين والأنصار فيمن يكون الخليفة ، وحسم « أبو بكر » الخلاف حين روى للانصار حديث الرسول : « الأئمة من قريش » فأذعنوا ، وبايع « عمر » « أبا بكر » بالخلافة ، وتبعه المسلمون مهاجرين وأنصارا . وامتنع بعض العرب عن دفع الزكاة ، فحاربهم « أبو بكر » لامتناعهم من أداء ركن من أركان الاسلام ، وظهر كذابون ادعوا النبوة فحاربهم كذلك لظهور ارتدادهم ، وعادت الجزيرة العربية بفضل « أبي بكر » خالصة للاسلام . ثم اتجه « أبو بكر » بجيوشه الى العراق والشام .

تعليق

كان طه حسين — رحمه الله — فى « مرآة الاسلام » هو طه حسين فى قمة مجده الأدبى والعلمى ، فالكتاب صورة صادقة حية لدقة البحث وصحة التقسيم وحسن العرض ، وعظمة الاستشهاد وقوة التأثير .

لقد قسم المؤلف الكتاب الى قسمين كبيرين خص الأول منهما بسيرة الرسول الكريم العطرة . كما خص الثانى بالحديث الطويل الصادق الدقيق عن أصلى الاسلام : الكتاب والسنة ، وعما تلا وفاة الرسول من فتنة وافتراق لمذاهب المسلمين وآرائهم . وعما ينبغى للمسلمين أن يفعلوه فى حاضرهم لرفعة شأن الأمة الاسلامية .

ولقد كان تقسيمه لمسائل الكتاب على وفق تسلسلها التاريخى فى الغالب ، معالجا كل مسألة فى فصل من الفصول ، ففصول الكتاب متجاورة متلاحقة غير متداخلة مما يسهل الالمام بها .

وقد حقق المؤلف مسائل الكتاب وأحداثه تحقيقا أقرب ما يكون الى الصواب والمنطق والعقل ، متحفظا متحريا أن يقع فى خطأ ، أو يلم بإثم . وزاد عرضه طرافة ورشاقة وتأثيرا ، كما زاده تألقا وتوهجا وتمكينا كثرة استشهاده لوقائع الكتاب بما نزل فيها من آيات القرآن الكريم ، والقرآن هو أشد ما يؤثر فى النفوس وينفذ الى القلوب ويحفز على العمل .

وكان من تمام احسان المؤلف أن أفرد القرآن الكريم بأطول فصول الكتاب ، وأقواها عرضا . ويزيد « مرآة الاسلام » جلاء وقوة أسلوب طه حسين الذى تفرد به وهو الأسلوب الرشيق الفضفاض ، الذى يميل الى الاطناب والاسهاب أكثر مما يميل الى الاختصار والايجاز . ومن مواقفه التى أثر بهما أشد تأثير سواء بأسلوبه الجميل أو حسن عرضه موقفه حينما حكى قصة الرسول فى عودته مكروبا محزونا من وفادته على ثقيف ، وقد آوى من التعب والجهد الى ظل بستان من العنب ، وموقفه حينما حكى حديث العبد الذى خيره الله بين هذه الدنيا وما عنده فاختار ما عند الله ، فأدرك أبو بكر ان رسول الله راحل عنهم الى ربه فقال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله » .

ويمتاز الكاتب فى عرضه الأحداث بصراحته الشديدة ، ففى صراحة لا مواربة فيها يتحدث عن تلك الفتنة التى أصابت حياة المسلمين بعد مقتل عثمان وعن حروب على وعائشة ومعاوية ، ثم يتحدث عن افتراق المسلمين الى مذاهب وآراء تنتهى بهم الى سفكهم دماء بعض ، وكلهم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وكان حريا بهذه الشهادة أن تعصم دماء بعضهم من بعض ، ولكن الله اذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له .

ومـــع أن الكتاب كله يشير الى عظمة طه حسين فى علمه سعة ، وفى تفكيره دقة وعمقا ، وفى أسلوبه براعة ونصاعة .. فان بالكتاب مواضع تدعو الى الوقوف عندها لمناقشة المؤلف . منها : انه « يرجح » أن تكون ســـورة القرآن التى تتناول موضوعا واحـــدا قد نزلت جملة ، وكـــذلك تلك التى تتداعى موضوعاتها تداعيا شديدا ويلتزم فيها نسق بعينه وكذلك العكس .

والأمر كما نعرف توقيف لا مدخل فيه لاعمال العقـــل والاستنتـــاج والترجيح . بل ان المؤلف يكاد يخرج ببعض آرائه فى ذلك حـــين يرى أن سورة « يوسف » وسورتى « هود » و « الانفال » أنزلت جملة ، والمصحف الذى بين أيدينا يذكر أن السور الثلاث مكية مدنية ويحدد الآيات المكية فيها والآيات المدنية .

ومنها : انه يذكر ان على بن أبى طالب رضى الله عنه امتنع عن بيعة أبى بكر الصديق أول الأمر لأن أبا بكر منع فاطمة ميراث أبيها عليه السلام فغضبت لذلك وغضب معها على . ولئن كان عـــلى قد تأخر فى بيعـــة أبى بكر حقيقة وغضب لغضب فاطمة بالفعل ، فان المؤرخين الثقات ينكرون أن يكون تأخر مجاربة على لأبى بكر بسبب منعه فاطمة من ميراث أبيها . بل لابد أن يكون بسبب آخر .

رحم الله طه حسين المؤمن الذى طالما اتهم فى عقيدته وايمانه ، ورحم الله الشاعر ابراهيم « الفتى أنصفه اذ ظلمه الكثيرون ، فكتب اليه هذين البيتين الطريفين :

ان صح ما قالوا وما ارجفوا ... وشهدوا زورا بدين الحميد
فكفر « طه » عنه ديانـه ... أحسن ايمان عبد الحميد(١)

(١) عبد الحميد : هو عبد الحميد سعيد أحد البرلمانيين ، والمتشددين الذين اتهموا طه حسين بالكفر لاصداره كتاب « في الشعر الجاهلي » . والاتهام بالكفر والزندقة اتهام خطير لأنه يمس العقيدة والقلب ، والله وحده هو العليم بالسرائر . وكثيرا ما اتهم بالكفر ظلما الصفوة الاعلام من ذوى الفكر الوثاب الذى يغذى الحياة ، وأقرب الأمثلة على ذلك الامام محمد عبده الذى اتهم بهذه التهمة . وهو من هو دفاعا عن الدين . واجلاء لعقيدة التوحيد . ومن ذا الذى لم يعد يتمنى أن يكون كالاستاذ الامام ايمانا ودفاعا عن الايمان . ولو اتهمه النـــاس بكل ما اتهموه به ؟! على حد قول القائل :

ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنى رافضى

أغنية النصر شعر د. أحمد هيكل

اغنية النصر

شعر د . احمد هيكل (١)

شعبنا الحر الذى كان طعينـــا طاوى الصدر على الجرح سنينا
عاد عملاقا قويـــا شامخـــا عالى الرايات لا يحنى الجبينـا
جيشه الباسل داوى جرحـــه وشفى الصدر بقهر المعتدينـا
عندما اطلق فرسان الحـــمى يكتبون المجد فى صفحة سينا
حينما قيل اعبروا فانطلقـوا يصنعون الفخر والنصر المبينـا
وصحا العـــرب على هبتهم يشهدون الحلم قد عاد يقينـــا
ويغنون نشيـــدا هـــادرا بعد ان كانوا يذوبون أنينـــا

* * * *

يا أخى الزاحف فى الارض الحبيبة مرحبا للأم سينـــاء السليبـه
دافنا صهيون فى بيدائهـــا بعد ما اطفأت بالنار لهيبـــه
قد محوت العار عن أعراضنـــا باذلا روحك للمجد ضريبـــه
ان أخذت الثار من واترنـــا واذقت البغى اهـــوالا رهيبه
ساعة التحرير دقت فـــاذا كل فرد صار فى الجيش كتيبة
انه البعث يـــدوى صوتـــه وبنود النصر تعلونـــا مهيبـه

* *

يا بنـــاة المجد صناع الســـلام يا حماة الحق من بغى اللئام
أغصن الزيتون داسوها فما للطغاة عربدوا غير الحســـام

المفردات اللغوية :

الحمى : ما يحمى ويدافع عنه . شامخا : متكبرا عزيزا . هبتهم ثورتهم وهياجهم

---

(١) نشرت فى اخبار اليوم فى ١٩٧٣/١١/١٧ م .

هادرا : ذا صوت مرتفع • بيدائها : صحرائها • واترنا : من أنا لنا تاره عنده • البغى : الظلم • كتيبة : قطعة من الجيش • بنود النصر : أعلامه • عربدوا : ساءت أخلاقهم • الحسام : السيف •

حول مناسبة القصيدة :

شنت اسرائيل فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ عدوانا غادرا عـــلى الأرض العربية انتهى باحتلالها لشبه جزيرة سيناء ، وقطـــاع غزة ، ومرتفعات الجولان ، والقدس العربية ، والضفة الغربية لنهر الاردن ، قاصدة من وراء ذلك العدوان الغادر ضرب قوة مصر الصاعدة ، وتمزيق الصف العربى ، وتحقيق أهدافها فى التوسع لاقامة دولتها من النيل الى الفرات •

وكانت النكسة صدمة قاسية للمشاعر العربية . وقد استفادت اسرائيل مما عرسته النكسة فى نفوسنا من ألم ، وفى عقولنا من حيرة فائدة كبيرة ، فعمدت أجهزتها فى الدعاية الى المبالغة فى قوتها ، وصورتها بأنهـا القوة التى لا تقهر ، وساندت بعض الدول الكبرى اسرائيل لتضمن لها التفوق العسكرى ، وأقام العدو على الضفة الشرقية للقناة حائطا دفاعيا واستحكامات قوية . وبرغم اصدار مجلس الأمن قراره الشهير ٢٤٢ فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، الذى نص على انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المختلفة ، والاعتراف بحقوق شعب فلسطين ، فان اسرائيل رفضت تنفيذ القرار متحدية ارادة المجتمع الدولى •

ولكن جماهير الأمة العربية رفضت الهزيمة ، وصمدت طوال السنوات الماضية ، وأخذت تتحرك بسرعة فائقة سياسيا وعسكريا لتستعد ليوم التحرير وتستعيد أرضها المسلوبة • وعقدت مؤتمرات قمة عربية للملوك والرؤساء العرب ، كان أولها مؤتمر الخرطوم فى سبتمبر سنة ١٩٦٧م ، وهو الذى قرر دعما ماليا لدول المواجهة مع اسرائيل(مصر وسورية والاردن). تلاه آخر فى الرباط فى ديسمبر سنة ١٨٦٩ ، ثم ثالث فى القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ • وركزت مصر جهودها على بناء قوتها المسلحة فى صمت شديد وصبر جميل وحكمة بالغة •

وفى مرحلة المواجهة الشاملة التى أعلنها الرئيس « أنور السادات » قامت دولة اتحاد الجمهوريات العربية التى تضم مصر وسوريا وليبيا عـــام ١٩٧١ ، مستهدفة حشد مواردها الاقتصادية والبشرية والعسكرية لمواجهـــة تحديات العدو الاسرائيلى ، وازالة آثار العدوان • وبدأ تحرك سياسى سريع وشامل على المستوى العالمى لاقناع دول العالم بسلامة موقف مصر ، وتمنت

العدو ، وكان من آثاره مؤتمر الجزائر لدول عدم الانحياز فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ ، وخد أذان الاحتلال الاسرائيلى ، وايد الحق العربى وطالب بضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واما منظمه الوحدة الافريقية فقد قطعت اكثر دولها علاقاتها السياسيه باسرائيل حتى تنسحب من الاراضى العربيه المحتله. وكذلك اكدت دول أوربا الغربيه ان انسحاب القوات الاسرائيليه هو السبيل الوحيد لاقرار السلام القائم على العدل فى المنطقة . وهكذا هيات مصر الاذهان كلها ليوم الجهاد الاكبر فى العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حين خرج الابطال من قواتنا المسلحه فى فترة ساد فيها الظلام يحملون مشاعل النور ، ويضيئون الطريق ، حتى تستطيع أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء .

ولقد كان عبور قواتنا المسلحة « لقناة السويس » ، وتحطيم « خط بارليف » من الأعمال العسكرية الرائعة التى سوف يسجلها التاريخ فى سجل البطولات الخالدة ، فقد كانت العملية فى ضوء النهار على جبهة تمتد مائة وثمانية كيلو متر ، وتقتضى إجتياز مانع مائى واسع ، واختراق ساتر منيع قوى على شاطىء القناة من حوله ومن ورائه الأسلاك الشائكة والألغام ، واجتياح خط بارليف بمواقعه الحصينة المترابطة المزودة بأحدث الأسلحة .

وكانت للعبور نتائج باهرة من أهمها :

نتائج العبور :

١ ـ انه كان مفاجاة أدهشت العدو ، وارتبكت جيشه ، وأفقدته توازنه .

٢ ـ وانه كسر الجمود الذى سيطر على الجبهة ست سنوات قضيناها فى حالة من اللاسلم واللا حرب .

٣ ـ وانه محا غرور اسرائيل ، وبدد ما تدعيه من تفوق عسكرى أمام قوى الأمة العربية مجتمعة .

٤ ـ وانه جمع الأمة العربية فى كفاح عربى قوى كان الاسهام فيه بالمال والسلاح والدم .

٥ ـ وانه أشهر سلاح البترول العربى فى وجه الدول الموالية لاسرائيل مما هز العالم كله ، واشعره أنه أمام قوة عربية جبارة تستطيع بالوحدة ان تحقق كل آمالها المشروعة .

٦ ـ وانه دفع بالقضية العربية الى السطح بعد أن كانت غائرة فى الأعماق، بل جعلها أولى القضايا العالمية التى يسمع العالم كله الى صوتها ٠

٧ ـ وانه حول العالم تحويلا جذريا نحو العرب ، فاصبح الأعداء والأصدقاء على السواء يقدرون العرب ، ويصححون فكرتهم عنهم ، وينظرون الى الشعب العربى على أنه شعب عظيم عريق ، غيور على حقه ، مدافع عنه بكل ما يمتلك ٠

٨ ـ وأخيرا انه جعل الأمة العربية تتحدث عن حقها من موقع القوة سواء فيما يتعلق بالتسوية السلمية ، أو فيما يمكن أن تدفع اليه الاحداث من معاودة للصراع والحرب ٠

دلالات العبور :

وكانت لهذا العبور دلالات نفسية وعسكرية ووطنية وقومية وعالمية :

١ ـ فلقد حطم حاجز الخوف واليأس والتردد والتمزق والشك ،فاستبدل لدى الفرد العربى والأمة العربية بالخوف جرأة ، وباليأس املا ، وبالتردد والتمزق تماسكا واستقرارا ، وبالشك فى الطاقات والامكانات ثقة واطمئنانا ٠

٢ ـ ولقد دلل على أن الجندى العربى قد استوعب سلاحه الى درجة أثارت دهشة العالم ، واندفع بايمان الى التضحية والفداء فى اصرار انتحارى اعترف به العدو ، وأخذ زمام المبادرة بعد أن عكف فى صمت على التدريب على أحدث الأسلحة ، وأكثرها تعقيدا طوال ست سنوات ٠

٣ ـ كما دلل على صلابة الجبهة الداخلية ووحدتها مع جبهة القتال ، فقد سارع الشعب وقت المعركة متبرعا بالدم ، متطوعا فى الدفاع المدنى والشعبى ، مؤثرا المحاربين فى ميدان القتال على رغباته ، حيا بقلبه وروحه معهم ٠

٤ ـ كذلك دل على سلامة البناء العربى ، فقد وقفت الأمة العربية كلها صفا واحدا بعد العبور كالبنيان المرصوص ٠

٥ ـ ولقد دلل كذلك على أن الرأى العام العالمى الحر كان معنا أكثر من ذى قبل بعد معجزة العبور ٠

٦ ـ واخيرا لقد دلل العبور على ان شعار العلم والايمان قد طبق فعلا ، وانه كان ولا يزال السبيل الوحيد الى النصر واتمامه(١) .

من اجل هذا كله كان العبور ملحمة سياسية وعسكرية تستحق ان تكتب فيها ملاحم نثرية وشعرية . واذا كان الكتاب قد كتبوا والشعراء قد نظموا الكثير . فان ما يمكن وما ينبغي أن يكتب من النثر وان ينظم من الشعر أكثر وأكثر مما قد حدث . وقصيدتنا هي احدى القصائد الكثيرة التي نظمت ابتهاجا باولى بشائر النصر في معركة التحرير الكبرى .

تحليل القصيدة

أولا : عاطفة الشاعر وتجربته الشعرية :

كان موضوع الانتصار العظيم في أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣ هو موضوع الساعة ، ليس لدى عامة المصريين أو العرب وحدهم ، بل كان موضوع الساعه لدى العالم كله . لانه كان غريبا في شكله ، مثيرا مذهلا ، فقد حطم خرافة التفوق الاسرائيلي التي كان العدو يحاول أن يموه الكلام عنها . ليضللوا بها عقول الناس في كل مكان ، حتى كادت تلك الخرافة ان ترقى الى درجة اليقين لـــدى الكثيرين . كذلك كان موضوع انتصارنا هذا موضوع الساعة في العالم أجمع ، لانه كان في نتائجه وآثاره أشد غرابة واثارة منه في شكله ومقدماته ، فقد قلب الأوضاع ، وغير الموازين والعلاقات ، وكان نقطة تحول خطيرة في تاريخ العالم الحديث . لقد رفع من قيمة العرب وشأنهم وحط من قيمة الصهاينة وأعوانهم ، وهو الآن يضع العرب في موقف القوى المتحكم بالحق في مسار التاريخ ، واتجاهات الأحداث ، واملاء السياسة ، وتحديد وتحقيق الأهداف .

كل ذلك جعل الشعراء العـــرب يعيشون التجربة بكل أحاسيسهم ووجداناتهم ، فجعلهم يصدرون فيما يقولون عن عاطفة جياشة تملك عليهم كل جوارحهم وأفئدتهم ، والشاعر الدكتور أحمد هيكل هو أحـــد أولئك الشعراء الذين فاضت عاطفتهم ، فكتب قصيدته من وحي تلك العاطفة الفياضة الصادقة التي نحس بحرارتها وصدقها وهديرها في نفوسنا حـــين نقرأ أبيات القصيدة .

---

(١) ملخصة بتصرف من كتاب ٦ أكتوبر العظيم ، من مطبوعات وزارة التربية والتعليم طبعة ١٩٧٣ .

ثانيا : الأفكار :

وأفكار القصيدة واضحة عميقة دقيقة مرتبة مترابطة تمتزج بالتجربة النفسية للشاعر : فهو يمر عجلا وفى بيت واحد بما كنا عليه من احساس بالمرارة والألم الشديد بسبب النكسة ، لانه فى موقف المتفرج المنتشى المزهو بالنصر الذى سئم الحزن واقبل على عهد جديد كله بشر وايناس . ثم هو يعلن اعلانا مركزاعما اصبحنا عليه من علو شأن وشموخ أنف ، واكتمال وكرامة بعد اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ثم يأخذ فى تفصيل الأمر ، فيبين السبب فيما حققناه من انتصار ، وهو ذلك الجيش الباسل الذى محا العار بقهر المتدين ، وعبر القناة الى سيناء ، مما أذهل العرب وجعلهم يهدرون بالأناشيد مغنين بعد أن كادوا يذوبون أنينا . ويستحضر الشاعر صورة ذلك الجيش الباسل المظفر فيلتفت اليه بالخطاب ويقول : لقد أرجعت أيها الجيش الباسل سيناء السليبة بعد أن دفنت فى رمالها صهيون ، ومحوت العار وأخذت الثأر دافعا روحك ضريبة لمجد بلادك ، وما كان ذلك الا حقا لك بل واجبا عليك . ولذلك فحينما دقت الساعة (ساعة الجهاد) اندفعت بقوة وحماس شديدين لتحرز ذلك النصر الذى بعثنا من جديد ، وجعلت راياته ترفرف خفاقة فوق الرؤوس .

وينتهى الشاعر بتلخيص مركز لموقفنا وحقنا ولموقف أعدائنا وباطلهم ، كاشفا النتيجة المنطقية للموقفين فى صورة حقيقية ثابتة لاشك فيها وهى انتصار الحق على الباطل لا محالة .

ويمكن حصر افكار القصيدة فى فكرتين أساسيتين هما :

١ ـ وصف ما أصبحنا عليه من نصر بعد ما كنا فيه من هزيمة وأسبابه ونتائجه (من ١ ـ ٧) .

٢ ـ اشادة بالعمل المجيد الذى قامت به قواتنا المسلحة ، وشرح له (من ٨ ـ ١٦) .

ثالثا : الأسلوب :

ونعنى به التعبير والتصوير كليهما .

اما التعبير : فقد عبر الشاعر عن أفكاره فى القصيدة بأساليب خبرية ، لانه كان بصدد حكاية ملحمة شعبية عسكرية بتفاصيلها الواقعية . لذلك كان فى حاجة الى الأخبار عن تلك الأحداث الرائعة بأسلوب الخبر . ولم يغير من هذا الاسلوب الا حينما التفت الى الجيش الباسل ليشيد به ، فحدثه

بأسلوب النداء . وقد دفعه الى هذا الالتفات ذلك الانتصار المهيب الذي حققه مما جعله يستحضره في ذهنه كأنه ماثل أمامه يخاطبه ويمتدحه على جرأته وبسالته . ثم التفت مرة أخرى في آخر القصيدة ليخاطب أولئك الأبطال مرة ثانية قائلا : ان ما فعلوه لم يكن الا ضرورة فرضها ذلك العدو اللئيم حين داس بأقدامه أغصن الزيتون وقيم الحق والسلام .

وقد انتقى الشاعر لقصيدته الفاظا جزلة رصينة معبرة موحية . وفي الجزء الأول من القصيدة ترى الشاعر تغمره الفرحة والنشوة بالانتصار. ولذلك يفيض تعبيره بالفرح والسرور والاحساس بالنصر . أنظر قوله : عاد عملاقا — عالي الرايات — داوى جرحه — شفى الصدر — يصنعون الفخر والنصر المبين — الحلم قد عاد يقينا — يغنون نشيدا هادرا . وأصوات الالفاظ نفسها توحي بهذا الفرح ، فالمدات الكثيرة في هذه الألفاظ توحي بالاحساس بالتعالي والفخر ، كما في : عملاقا — شامخا — عالي — الرايات — الباسل — داوى — فرسان الحمى — سينا — صحا هادرا .

والبيت الأول يوحي بالألم الدفين الذي كان يحس به كل عربي بسبب نكسة عام ١٩٦٧ م . ولكن الشاعر لم يشأ وهو بصدد اعلان الفرحة والتغني بالنصر المؤزر الذي أحرزناه . لم يشأ أن يقف طويلا عند هذه الـــــذكرى المؤلمة ، فانتقل منها سريعا الى ما أراد . وقد بدأت الفرحة الشديدة تظهر شدتها بوضوح في تلك الصفات المتتابعة في البيت الثاني (عملاقا — قويا — شامخا — عالي الرايات — لا يحني الجبينا) .

وفي الجزء الثاني من القصيدة نرى الشاعر يعرض الموقف ويحلله ويبين السبب فيه ، وانه كان ضروريا لابد منه . ولذلك فعلينا الان بالقتال اندفع كل فرد من أفراد القوات المسلحة كأنه كتيبة ، وزحفوا في كثرة تشبه البحر ، ترتفع فوقهم رايات النصر . وما دام الاعداء قد انتهكوا حرمة السلام فليس يقومهم الا الحسام . ولذلك نرى الشاعر في هذا الجزء من القصيدة وان استخدم الالفاظ القوية الجزلة الرصينة المناسبة للغرض العام وهو الفخر بالعمل المجيد والمدح لقواتنا المسلحة . الا انه خفف من تلك الالفاظ الممتدة الأصوات المعبرة عن النشوة لان الموقف قد تغير ، والعاطفة قد خفت حدتها ، واتجهت اتجاها عقليا تستعرض فيه الأسباب والأهداف والنتائج بأسلوب أدبي وبطريقة شائقة .

ومن أجمل أبيات القصيدة قول الشاعر مخاطبا للقائد المنتصر :

قد محوت العار عن أعراضنا
باذلا روحك للمجد ضريبة
ان أخذت الثار من واترنا
واذقت البغى أهوالا رهيبة
ما عجيب أخذ ثار موجع
انما النوم عن الثار عجيبة

واما التصوير : فقد كان تصويرا رائعا بحق ، ولقد كانت القصيدة لوحة فنية ذات اركان والوان ، لوحة حية تفيض بالحركة الشديدة، وتضج بالاصوات المرتفعة ·

انظر الى الحركة فيها فى قوله : كان طعينا ـ عالى الرايات ـ لا يحنى الجبينا ـ داوى جرحه ـ اطلق فرسان الحمى ـ يكتبون المجد ـ انطلقوا ـ الزاحف ـ مرجعا للام سيناء السليبة ـ دافنا صهيون ـ اطفات ـ محوت انحس الزيتون داسوها · وانظر الى الاصوات المرتفعة فى قوله : يغنون نشيدا هادرا ـ ساعة التحرير دقت ـ البعث يدوى صوته ·

لقد جسم الشاعر معانيه تجسيما جعلنا نحس بها ثم نستوحى منها دلالات بعيدة باشارات عميقة · وانظر الى تجسيمه لتلك المعانى بالاستعارات فى : كان طعينا ـ طاوى الصدر على الجرح ـ داوى جرحه وشفى الصدر ـ يشهدون الحلم ـ محوت العار ـ باذلا روحك ـ أخذت الثار ـ وأذقت البغى ـ وانظر الى كناياته الجميلة فى : عالى الرايات لا يحنى الجبينا ـ يغنون نشيدا ـ كادوا يذيبون أنينا ـ يا بناة المجد ـ صناع السلام ـ يا حماة الحق ـ اغصن الزيتون داسوها · ثم انظر الى تشبيهاته الرائعة وما توحى به فى قوله : عاد عملاقا ـ فى صفحة سينا ـ باذلا روحك للمجد ضريبة ـ كل فرد صار فى الجيش كتيبة ـ انه البعث · وانظر الى الجمال الذى اضفته المحسنات البديعية من الجناس والطباق على القصيدة فى مثل قوله : عالى الرايات ولا يحنى الجبينا ـ الحلم قد عاد يقينا ـ يغنون نشيدا ويذوبون أنينا ـ الحبيبة والسليبة ـ ما عجيب وعجيبة ـ بناة السلام وحماة الوئام ·

وصور الشاعر وان كانت جزئية بسيطة الا انها طبيعية جميلة ذات دلالة شعورية · فهى توحى بحالة الشاعر النفسية وهى نفس حالة كل أفراد الشعب العربى الذى انتشى مزدهيا بالنصر فى معركة التحرير ·

رابعا : الموسيقى :

نظم الشاعر قصيدته من بحر الرمل (فاعلاتن ست مرات) بقافية لم تتوحد وان انتظمت فى كل مقطوعة ، وقد عاون بحر الرمل ، ذلك البحر السريع المنتظم التفعيلات والمتدفق ـ عاون الشاعر على التعبير عن كل معـــانى الفخـــر والاعتزاز التى قصد اليها فى قصيدته . فهذا البحر مناسب كل المناسبـة لأداء تلك المعانى ، وكثيرا ما نظم فيه شعراؤنا القدامى قصائدهم فى المديح والفخـر .

وتنوع القافية يعين الشاعر على التعبير الطبيعى عن معانيه دون اضطرار الى اختيار بعض ألفاظ القافية التى لا تناسب المقام ، وان كانت هذه المزية لا تظهر فى قصيدتنا لقصرها مما لم يكن ليلجىء الشاعر الى مثل تلك الضرورة اذا وحد الشاعر القافية : على أن تنوع القافية فى القصيدة أفاد فائدة نجدها دائما حين تتنوع القافية وهى التلوين الموسيقى فلا شك أن صوت الياء ثم النون الممدودة بالفتح فى المقطوعة الأولى من القصيدة (سنينا ـ الجبينا ... الخ) يختلف عن صوت الياء ثم الباء المفتوحة والموصولة بهاء ساكنة (السليبه .. لهيبه ... الخ) ويختلف عن المد بالألف ثم الميـــــم الساكنة (اللثام ـ الحسام ..) .

على أن بالقصيدة نوعا آخر من الموسيقى الداخلية وهى تلك الموسيقى الناشئة من اختيار الشاعر لالفاظ معينة ، وتأليفه بينها تأليفا حسنا . وعاون على تلك الموسيقى ما نجده فى القصيدة من ألوان البديع من جناس وطباق وقواف داخلية ...

وقد تماسكت أفكار القصيدة مع ألفاظها ومعانيها وعواطفها تماسكا قويا عضويا .

وهكذا تبدو القصيدة فى كل جانب من جوانبها وعنصر من عناصرها عظيمة ورائعة . ولعل الدعامتين الاساسيتين فى هذه العظمة وتلك الروعة هما ثقافة الشاعر الادبية ، وحالة الشاعر النفسية .

** بسم الله الرحمن الرحيم **

ـ تطبيقات وتعليقات فى البلاغة ـ

.. أولا : الفصاحة والبلاغة :-

.. تطبيق : بين الفصيح وغيره مع ذكر السبب فيما يأتى :-

١) قال تعالى : " ربنا عليك توكلنا ، واليه أنبنا ، واليك المصير " .

٢) وقال عليه السلام : " مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر " .

٣) وقال الشاعر :-

الخير أبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد .

٤) وقال المتنبى : -

غدائره مستشزرات الى العلا
تضل العقاص فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ (١) .

---

(١) الغدائر : جمع غديرة : الذوائب . والاستشزار : الرفع والارتفاع ، والعلا جمع علياء ، تأنيث الاعلى ، وأراد الجهات العلا . والعقاص : جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فلتويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها . والمُثَنَّى من الشَّعْر وغيره : ما ثُنِّىَ . والمرسل : ضده (أى لم يثن) .
(ومعنى البيت) أن مخبوته لكثرة شعرها ، بعضه مرفوع ، وبعضه مثنى ، وبعضه مرسل ، وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل ....

٥) وقال رؤبة بن العجاج :

أزمانَ أبدت واضحاً مُفَلَّجا ∴ أغرَّ براقاً وطرفاً أبرجا

ومقلة ، وحاجباً مُزَجَّجا ∴ وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا (١)

٦) وقال أبو النجـــم :

الحمد لله العلي الأجلل ∴ أنت مليك الناس ربا فاقبل

٧) وقال المتنبي يمدح سيف الدولة :

مباركُ الاسم أغرُّ اللقبْ ∴ كريمُ الجِرِشَّى ، شريفُ النسبْ (٢)

٨) وقال الشاعـــر :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفـرٍ ∴ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبـرُ

٩) وقال أبو تمـــام :

كريم متى أمدحه أمدحه والـورى

معي وإذا ما لمته لمته وحـــدي (٣)

---

(١) الفاحم : الأسود وأراد شعرا فاحما . والمرسن : الأنف الذى يشد بالرسن ، ثم استعير لأنف الانسان . ومسرجا : اختلف في تخريجه فقيل : من سرجه تسريجا اذا بهجه وحسنه ، وقيل : من قولهم : "سيوف سريجية" شبه بها الانف في الدقة والاستواء ، وقيل من السراج ، وهو قريب من قولهم "سرج وجهه" أى حسن والزجج : دقة الحاجبين (ومعنى البيت) ان لهذه المرأة الموصوفة مقلة سوداء وحاجبا مدققا مقوسا ، وشعرا أسود ، وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه أو كالسراج في بريقه وضيائه .

(٢) اشار بقوله "مبارك الاسم" الى ان اسم الممدوح "على" وهو اسم مبارك يتبرك به لانه اسم على بن ابى طالب رضى الله عنه ولانه مشتق من العلو ، والعلو مبارك وأغر اللقب : مشهور لانه سيف الدولة ، والأغر من الخيل : الذى في وجهه غرة وهى البياض ، استعير لكل واضح معروف .

(٣) معنى البيت : هو كريم اذا أمدحه وافقني الناس على مدحه ، فيمدحونه ، لإسدائه إحسانه اليهم كإحسانه الى ، واذا لمته لا يوافقني أحد على لومه لعدم وجود المقتضى لذمه .

١٠) وقال الفرزدق يمدح ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك :

وماشله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه (١)

١١) وقال العباس بن الأحنف :

سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا

وتسكبُ عيناي الدموع لتجمدا (٢)

١٢) جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر

وحسن فعل ، كما يُجزَى سِنِمَّارُ (٣)

١٣) وقال المتنبي :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة

سَبُوح لها منها عليها شواهد (٤)

---

(١) (معنى البيت) وماشله أى المدوح في الناس حي يقاربه أى أحد يشبهه في الفضائل إلا مملكا يعني هشاما أبو أمه أى أبو أم هشام أبوه أى أبو المدوح فالضمير في "أمه" وفي "أبوه" للمدوح ، فهو يريد أن يقول : ليس مثل المدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكا أبو أم ذلك الملك أبو المدوح ، أى لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته وهو هشام .

(٢) (معنى البيت) أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا ، إذ من عادة الزمان الإتيان بضد المراد ، فإذا أريد البعد يأتى الزمان بالقرب . وأريد وأطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان .

(٣) سنمار : اسم رجل بَنَى للنعمان بن امرئ القيس قصرا عظيما بالكوفة سماه "الخورنق" وقد أتقن صنعه ، ولما أكمل بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبني قصرا مثله لغيره فمات ، وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر .

(٤) السبوح : الفرس الحسن الجري ، لسبحها بيديها في سيرها ، وهو مرفوع على أنه فاعل "تسعدني" (ومعنى البيت) : وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها .

١٩٤ وقال ابن مالك :

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع (١)

(١) جرعا : مقصور جرعاء ، وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ، وحومة القتال معظمه . والجندل : الحجارة . والسجع : هدير الحمام ونحوه . (ومعنى البيت) : يا حمامة جرعاء هذا الموضع اسجعي وترنمي طربا ، فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع ، فيجدر بك أن تطربي إذ لا مانع لك منه .

.. الإجابــــــــــــة ..

(١) الآية الكريمة ، والحديث النبوي الشريف ، وبيت الشعر ، كل منهمـــا
(٢) أدى المعنى المراد وطابق مقتضى الحال بلفظ فصيح ، فهو قد استوفـــى
(٣) شروط الفصاحة ، ولم يُخِل بشرط منها في الكلمة الواحدة أو الكلام المركـــب

(٤) البيت غير فصيح لأنه فقد شرطا من شروط فصاحة الكلمة ، وهو سلامتها مـــن تنافر الحروف ، فلفظ " مستشزرات " فيه تنافر لثقله على اللسان وعسر النطق بـــه .

(٥) البيت غير فصيح بسبب الغرابة في لفظ " مسرجا " للاختلاف في تخريجه كما مـر في شرحه .

(٦) في البيت مخالفة للقياس اللغوي في كلمة " الأجلل " إذ القياس الأجل بالادغام فالبيت غير فصيـــــح .

(٧) البيت غير فصيح لكراهة السمع للفظ " الجرشـــــى " .

(٨) البيت غير فصيح لأنه فقد شرطا من شروط فصاحة الكلام ، وهو سلامته مـــن تنافر الكلمات ، ففي قوله " وليس قرب قبر حرب قبر " تنافر لما في هـــذه الألفاظ من ثقل النطق بها ، حتى ليقال : إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشـــده ثلاث مرات متواليات إلا يتتعتع (أي لا يتعثر) .

(٩) البيت غير فصيح بسبب التنافر أيضا في " أمدحه أمدحه " إذ إن في اجتمـــاع هاتين الكلمتين ثقلا في النطق بهما يشعر به صاحب الذوق السليم ، غـــير أن التنافر في هذا البيت أخف من التنافر في البيت السابق عليه .

(١٠) البيت غير فصيح بسبب التعقيد اللفظي ، فقد فصل فيه بين " أبو أمه " وهو مبتدأ ، و" أبوه " وهو خبره بأجنبي وهو " حي " وكذلك فصل بين " حـــي " و " يقاربه " وهو نعته بأجنبي ، وهو أبوه ، وقدم المستثنى وهو " مملكا " علـــى

المستثنى منه وهو " حي " . وكان من حقه أن يقول : وما مثله في الناس أحد يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه .

(١١) البيت غير فصيح للتعقيد المعنوي في قوله " وتسكب عيناي الدموع لتجمدا" فقد أراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ في مراده ، إذ الجمود هو خلو العين من البكاء حال إرادة البكاء منها .

(١٢) البيت غير فصيح لضعف التأليف ، ففي الشطر الأول (جزى بنوه أبا الغيلان) الضمير راجع على متأخر لفظا ومعنى وحكما ، فالضمير في "بنوه" راجع إلى "أبا الغيلان" وهو لم يذكر قبل الضمير لفظا وهذا ظاهر ولا معنى لعدم وجود ما يقتضي تقدمه ، ولا حكما لأنه محكوم عليه بالتأخير لمفعوليته .

(١٣) البيت غير فصيح لكثرة التكرار في قوله " لها منها عليها " .

(١٤) البيت غير فصيح لتتابع الإضافات ، فإنه أضاف " حمامة " إلى " جرعا " و" جرعا " إلى " حومة " و" حومة " إلى " الجندل " .

وينبغي أن يفهم بالنسبة لكثرة التكرار وتتابع الإضافات أن ما كان منها ثقيلا على اللسان فإنه يكون وحده غير الفصيح . أما ما لم يكن منها كذلك فيكون فصيحا ، فقد جاء التكرار الكثير والإضافات المتتابعة في القرآن الكريم ومن الأول قوله تعالى : " مثل دأب قوم نوح " ومن الثاني قوله سبحانه : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " .

.. التعليـــــق :

الفصاحة تكون في الكلمة وفي الكـــلام .

فأما فصاحة الكلمة فتكون بسلامتها من عيوب ثلاثة هي : تنافر الحـــروف (١) والغرابة (٢) ومخالفة القياس (٣) .

وأما فصاحة الكلام ، فتكون بسلامته من عيوب ثلاثة أيضا هي : تنافر الكلمات مجتمعة (٤) والتعقيد بنوعيه اللفظي (٥) والمعنوي (٦) وضعف التأليف (٧) .

.. تعريفات :

١) تنافر الحروف : وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بهـا .

٢) والغرابـــة : كون الكلمة غير مألوفة المعنى ولا مأنوســـة الاستعمـال .

٣) ومخالفة القياس: كون الكلمة غير جارية على القياس الصرفـــي .

٤) وتنافر الكلمات : كون الكلمات في اتصالها بعضها ببعض ثقيلـــة على اللسان يصعب النطق بها .

٥) والتعقيد اللفظي : أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنهـا الاصلية أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور وتتصل بعضها ببعـض .

٦) والتعقيد المعنوي: استعمال كلمات في غير معانيها الحقيقيـــة مما يلبس الأمر على السامـــع .

٧) وضعف التأليف : مخالفة القواعد النحويـــــــة .

.. ثانيا : التشبيـــه :

*. التطبيق : بين أركان التشبيه فيما يأتي :

١) كأنما الماء في صفاء .·. وقد جرى ذائبا اللجين

٢) العمر مثل الضيف أو .·. كالطيف ليس له اقامـــه

٣) أنت كالليث في الشجاعة والاقدام والسيف في قراع الخطوب .

** الاجابــــة :

١) المشبه : الماء ، والمشبه به : اللجين الذائـــب ، وأداة التشبيه : كأن ، ووجه الشبه : الصفـــاء ..

٢) المشبه : العمر ، والمشبه به : الضيف ، وأداة التشبيـه : مثل ، ووجه الشبه : أنه ليس له اقامة (سرعة الانقضـــاء)

والمشبه أيضا : العمر ، والمشبه به : الطيف وأداة التشبيه الكاف ووجه الشبه : انه ليس له اقامه (سرعة الانقضـــاء) .

٣) المشبه : أنت والمشبه به : الليث وأداة التشبيه : الكاف ووجه الشبه : الشجاعة والاقـــدام .

والمشبه أيضا : أنت ، والمشبه به : السيـــف ، وأداة التشبيه : الكاف (مقدرة) ووجه الشبه : قراع الخطوب .

** التعليـــل :

.. أركان التشبيه أربعة هي : ١) المشبه . ٢) المشبه بـــه ويسميان طرفي التشبيه . ٣) وأداة التشبيه ، وهي اما حـرف كالكاف وكأن ، او اسم كمثل وشبه ، او فعل كيماثل ويشبـــه .

٤) ووجه الشبه ، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه .

** تطبيق / ٢ :

بين أقسام التشبيه فيما يأتـــــــي :ـ

١) أنا كالماء إن رضيت صفـــاء ∴ وإذا ما سخطت كنت لهيبـــا

٢) يقول ابن الرومي في تأثير غناء مغن :ـ

فكأن لذة صوته ودبيبهـــا ∴ سِنَةٌ تَمَشَّى في مفاصل نُعَّسِ

٣) يشتَ بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح الناس أرضـــــا

٤) النشر مسك والوجوه دنانير ∴ وأطراف الأكف عـــــنم

** الاجابـــــة :ـ

١) التشبيه مرسل مفصل ، لأنه ذكرت فيه الأداة ووجه الشــــــبه .

٢) التشبيه مرسل مجمل ، لانه ذكرت فيه الأداة ولم يذكر وجه الشــــبه .

٣) التشبيه مؤكد مفصل ، لأنه لم تذكر فيه الأداة وذكر وجه الشــــبه .

٤) التشبيه بليـــــغ ، لانه لم تذكر فيه الأداة ولا وجه الشــــبه .

*** التعليـــــق :

التشبيه المرســـــل : ما ذكرت فيه الأداة .

والتشبيه المؤكـــد : ما حذفت منه الأداة .

والتشبيه المجمـــل : ما حذف منه وجه الشـــبه .

والتشبيه المفصـــل : ما ذكر فيه وجه الشـــبه .

والتشبيه البليـــغ : ما حذفت منه الاداة ووجه الشـــبة .

ومن أمثلة التشبيه البليغ: الماء لجين ، وكان الماء لجينا ،وسال المـــاء لجينا،وصفا الماء صفاء اللجين ، وسال لجين الماء ، وطمت الماء لجينـــا ، وسال ماءُ لجين ،وسال ماء من لجـــين .

** تطبيق / ٣ :

بين نوع التشبيه من حيث هو تمثيل أو غير تمثيل فيما يأتي :-

١) وكأن الهلال نور لجين ∴ غرقت في صحيفة زرقاء

٢) تقلدني الليالي وهي مدبرة ∴ كأنني صارم في كف منهزم

٣) " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم "

٤) في شجر السرو منهم مثل ∴ له رواء وماله ثمر

** الاجابة :

١) تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه منتزع من متعدد . وهو وجود شيء أبيض مقوس في شيء أزرق .

٢) تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه منتزع من متعدد . وهو صورة شيء تأخر مجيء في غير أوانه فلا يفيد .

٣) تشبيه تمثيل لان وجه الشبه منتزع من متعدد . وهو صورة من يعمل قليلا فيجني من عمله كثيرا ..

٤) تشبيه غير تمثيل لأن وجه الشبه مفرد فالشاعر يشبه هؤلاء الناس الذين يهجوهم بشجر السرو وهو شجر حسن الهيئة قويم الساق ولكنه غير مثمر بجامع حسن المنظر وعدم الانتفاع .

** التعليق :

تشبيه التمثيل : هو التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، وتشبيه غير التمثيل: هو التشبيه الذي لا يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد بل يكون مفردا .

•• تطبيق / ٤ :

بين نوع التشبيه من حيث هو ظاهر في الكلام أو ضمني فيما يأتي :-

١) سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم ∴ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

٢) وبالله إن نظرت وإن هي أعرضت ∴ وقْع السهام ونزعهن أليم

٣) فإن تفق الأنام وأنت منهم ∴ فإن المسك بعض دم الغزال

٤) يقول ابن المعتز واصفا الهلال :-

يتلو الثريا كفاغر شره ∴ يفتح فاه لأكل عنقود

•• الإجابة :

١) التشبيه ضمني لأنه لم يصرح فيه بالتشبيه على أية صورة من صوره وإنما نفهم من الكلام فيشبه في البيت حال الشاعر الذي يذكره قومه إذا اشتدت بهم الأهوال ويطلبونه فلا يجدونه بحال البدر الذي يطلب عند اشتداد الظلام .

٢) و ٣) التشبيه ضمني كما سبق .

٤) التشبيه صريح وليس ضمنيا لأنه على صورة من صور التشبيه المعروفة والتشبيه في البيت تشبيه تمثيلي فهو يشبه صورة الهلال والثريا أمامه بصورة شره فاتح فمه لأكل عنقود من العنب . ووجه الشبه صورة شيء مقوس يتبع شيئا آخر مكونا من أجزاء صغيرة بيضاء .

•• التعليق :-

التشبيه الضمني : هو التشبيه الذي يلمح في الكلام ولكن لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة .

وهذا النوع من التشبيه يجيء ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن .

تطبيق / ٥ :

بين نوع التشبيه من حيث هو مقلوب أو غير مقلوب فيما يأتـــــى :ـ

١) ليهن الحجاب بحضرته لي أملاً ∴ إن السماء ترجى حين تحتجب

٢) في حمرة الورد شيء من تلهبها ∴ وللقضيب نصيب من تثنيهـــا

٣) كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ∴ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبــــه

٤) وبدا الصباح كأن غرتـــــه ∴ وجه الخليفة حين يمتــــدح

٥) حسبت جماله بدرا مضيئــــا ∴ وأين البدر من ذاك الجمال ؟

** الاجابـــــــة :**

١) تشبيه غير مقلوب ، وهو تشبيه ضمـــــنى .

٢) تشبيه مقلوب ، يشبه حمرة الورد بحمرة خديها ، وعود القضيب الطرى بجسدها حين يتثنى .

٣) تشبيه غير مقلوب ، وهو تشبيه تمثيلـــى .

٤) تشبيه مقلوب ، يشبه الصباح بوجه الخليفـــــة .

٥) تشبيه مقلوب ، يفضل الممدوح على البدر ، فكأنه يشبه البدر بــــه .

** التعليـــــــق :ـ**

التشبيه المقلوب : هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيـــــه أقوى وأظهـــر .

** تطبيـــق / ٦ :**

بين الغرض من التشبيه فيما يأتـــــى :ـ

١) وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ∴ كما علا برسول الله عدنــــان

٢) من يهن يسهل الهوان عليه ∴ ما لجرح بميت إيـــــلام

٣) فإنك شمس والملوك كواكـــــب ∴ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٤) وأرضنا على ظما ... الضعف الفاقة للنديم

٥) قال تعالى : والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه .

٦) وأصبحت من ليلى الغداة كقابض
على الماء خانته فروج الأصابع

٧) خبريني ماذا كرهت من الشيب
فلا علم لي بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ
لؤ أم كونه كثغر الحبيب

٨) وإذا أشار محدثا فكأنه
قرد يقهقه أو عجوز تلطم

.. الاجابة :

١) الغرض من التشبيه : امكان المشبه .

٢) الغرض من التشبيه : امكان المشبه ، والمشبه هنا غامض والتشبيهات الضمنية تكون لهذا الغرض .

٣) الغرض من التشبيه : بيان حال المشبه .

٤) الغرض من التشبيه : بيان مقدار حال المشبه ، والمشبه هنا مطلوب ، والتشبيهات التقليدية تكون لهذا الغرض .

٥) الغرض من التشبيه : تقرير حال المشبه ، وهكذا كل تشبيه معقول بمحسوس .

٦) " " " : " " " " " " " "

٧) " " " : تقبيح المشبه .

٨) " " " تزيين المشبه

التعليق : من أغراض التشبيه :-

١) بيان امكان المشبه : وذلك حين يسند الى المشبه أمر مستغرب لا تزول

غرابته الا بذكر شبيه له . ومن ذلك التشبيهات الضمنية .

٢) بيان حال المشبه : وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه بيانا لصفته وحاله .

٣) بيان مقدار حال المشبه : وذلك حينما يكون المشبه معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده بيانا لمقدار صفته وحاله .

٤) تقرير حال المشبه : وذلك حينما يسند الى المشبه مايحتاج الى التثبيت والايضاح بالمثال . ومن ذلك تشبيه المعنوي بالمحسوس .

٥) تزيين المشبه : وذلك حينما يراد ان يقتنع القارئ أو السامع بجمال المشبه .

٦) تقبيح المشبه : وذلك حينما يراد ان يقتنع القارئ أو السامع بقبح المشبه .

.. ثالثاً : الاستعــــارة :

بيّن الاستعارة من حيث هي تصريحية أو مكنية ، ثم من حيث هي مرشحة أو مجردة أو مطلقة فيما يأتي :ـ

١) يقول كثير عزة : غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً

غلقت لضحكته رقــــاب المــــال

٢) : فان يهلك فكل عمــود قــوم

من الدنيــا الى هُلْـك يصــير

٣) وقال المتنبي : وحيت انتهى الظبيات عــني

ساعدت البراقـــع والحجـــالا

٤) وأرى المنايا ان رأت بك شيبة

جعلتك مرمى نبلهـــا المتواتــر

٥) وقد كتبتها أيدي الربيع صحائفا

كأن سطور السرو حسن سطورهـا

٦) هلم يا صاح الى روضـــة

يجلو بهـــا العاني صدا همـــه

نسيمها يعثر في ذيلـــه

وزهرها يضحـــك في كمـــه

٧) قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم

طاروا اليه زرافات ووحـــدانـــا

٨) قال تعالـى " أولئك الذين اشتروا الضلالـــة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة فما أصْبَرَهم على النـار

٩) يا بـدر ، يا بحر ، يا حمامة يا ليث الشـرى يا حمـام يا رجـل

١٠) لدى أســد شاكي السلاح مقذّف

له لِبَد أظفـاره لــم تقلَّـم

.. الاجــابــة :

١) في الرداء استعارة تصريحية ، فهو يشبه العطاء بالرداء في الشمول واستعار الرداء للعطاء على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة : "اذا تبسم ضاحكاً" لان هذا انما يكون عند العطاء لاعند لبس الرداء ،

وفى كلمة ، " غمر " أى كثير : تجريد ، لانه يناسب العطاء وهو المشبه ٠

٢) فى " عود " استعارة تصريحية ، فهو يشبه رئيس القوم بالعمود فى الاعتماد عليه واستعارة العمود لرئيس القوم على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة " يهلك " وفى " الى هلك يصير " تجريد ٠

٣) فى " الظبيات " استعارة تصريحية فهو يشبه الحسان بالظبيات فى الجمال ، واستعارة الظبيات للحسان على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة " غيبت النوى " ، وفى " البراقع " " والحجالا " تجريد ٠

٤) فى الضمير فى " رأت " الذى يعود على المنايا استعارة مكنية ، فقد شبه المنايا بالانسان وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو " رأت " على سبيل الاستعارة المكنية ، واثبات الرؤية للانسان هو قرينة الاستعارة ٠ وفى " جعلتك مرمى نبلها " ترشيح ، لانه يلائم المشبه به ، وهو الانسان ٠

٥) فى " أيدى الربيع " استعارة مكنية ، فقد شبه الربيع بالانسان ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الايدى على سبيل الاستعارة المكنية وفى " كتبت " و " صحائفا " و " سطور " ترشيح لانه يلائم المشبه به ٠

٦) فى الضمير فى " يعثر " استعارة مكنية ، فقد شبه النسيم بالانسان وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو " يعثر " وهو قرينة الاستعارة وفى " ذيله " ترشيح لانه يلائم المشبه به ٠

وفى الضمير فى " يضحك " استعارة مكنية ، فقد شبه الزهر بالانسان ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه ، وهو " يضحك " وهو قرينة الاستعارة ، وفى " كمه " ترشيح لأنه يلائم المشبه به ٠

٧) فى الضمير فى " أبدى " استعارة مكنية ، فقد شبه الشر بالوحش وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو " أبدى " وهو قرينة الاستعارة وليس فى الاستعارة ترشيح أو تجريد وتسمى مطلقة ٠

٨) . في " اشتروا " استعارة تصريحية فقد شبه اختيارهم الضلالة والعذاب ، وتركهم الهدى والمغفرة بالاشتراء ، واستعار الاختيار للاشتراء ، وهي مطلقة لخلوها من ملائم المشبه أو المشبه به . ويمكن أن نجعلها استعارة مكنية اذا قلنا شبه الضلالة والعذاب بالسلعة وحذفها ورمز اليها بشيء من لوازمها وهو الاشتراء .

٩) كل من بدر وبحر وغمامة وليث وحسام استعارة تصريحية فقد شبه الممدوح بكل من ذلك واستعار كل ذلك له على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة النداء ، وهي مطلقة لعدم اقترانها بما يلائم المشبه أو المشبه به

١٠) في " أسد " استعارة تصريحية ، فقد شبه الممدوح بالأسد في الشجاعة واستعار الاسد للممدوح على سبيل الاستعارة التصريحية فالقرينة الحالية ، وفي " شاكي السلاح " تجريد لأنه يلائم المشبه وهو الممدوح ، وفي " لهلبد " و " أظفاره لم تقلم " ترشيح لانه يلائم المشبه به وهو الأسد ، ففي الكلام تجريد وترشيح فتكون الاستعارة مطلقة لان بها ما يلائم المشبه والمشبه به

xx التعليـــــــق :ـ

الاستعارة هي : لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصـــلي .

وتكون تصريحية اذا حذف المشبه وذكر المشبه به ومكنية اذا حدث العكس فلابد في الاستعارة من حذف أحد طرفي التشبيه المشبه أو المشبه به ، والا كانت تشبيهـــا .

x . تطبيـــــــق :ـ

بين نوع الاستعارة فيما يأتـــــــي :ـ

١) أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى (خطابا للمتحير في أمره) .

٢) رأيت نون لجين كتبت فى صحيفة زرقاء (وصفا للهلال) .

٣) الصيف ضيعت اللبن (للمفرط المضيع لفرصته) .

٤) أحشفا وسوء كيلة ؟(لمن يظلم من جهتين) .

٥) اذا جاء موسى وألقى العصا .:. فقد بطل السحر والساحر

(لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أعلى شأنا منه) .

٦) ومن يك ذا فم مر مريض .:. يجد مرا به الماء الزلالا

(لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر شكلا) .

.. الاجابة :-

١) شبه حالة المتحير فى أمره بحالة من يقدم رجلا تارة ويؤخرها تارة أخرى، واستعار الحالة الثانية للحالة الاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية إذ إن حالة القول فيه هذا التركيب غير مايدل عليه التركيب وضعا .

٢) شبه صورة الهلال فى بياضه وتقوسه وسط السماء الزرقاء بصورة نون مكتوبة بالفضة فى وسط صحيفة زرقاء . واستعار الصورة الثانية للصورة الاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية . والقرينة حالية .

٣) شبه حالة المفرط المضيع لفرصته بحالة تلك المرأة التى تركت زوجها . ثم جاءته بعد الفراق تطلب لبنا منه . ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

والقرينة حالية إذ حالة القول فيه المثل على غير مايدل عليها التركيب وضعا .

٤) شبه حالة من يظلم من ناحيتين بحالة من يبيع تمرا رديئا ويطفف فى الكيل . واستعار الحالة الثانية للحالة الاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية .

٥) شبهت حالة من يتضاءل شأنه لوجود من هو أعلى مكانة منه ، بحالة السحرة الذين أبطل موسى سحرهم عندما ألقى عصاه واستعيرت — الحالة الثانية للحالة الاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة حالية .

٦) شبهت حالة من لم يعط الذوق لتذوق الشعر الجيد مثلا بحالة المريض الذى يجد الماء الزلال مرا بسبب مرضه ، واستعيرت الحالة الثانية للحالة الاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية .

xx التعليـــــــــق :—

الاستعارة التمثيلية هى تركيب استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة . مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلى ، واذا فشا هذا التركيب أصبح مثلا ، فكل الأمثال اذا استخدمت فى حالات جديدة مماثلة تصبح استعارات تمثيلية ، شبه المورد فيها بالمضروب ، واستعير المضرب للمورد .

رابعا : المجاز المرسل :-

•• التطبيق :-

بين فيما يأتي المجاز المرسل ، وقرينته ، والعلاقة بينه وبين معناه الحقيقي فيما يأتي :-

١) رعت البقرة المطر .

٢) "يد الله فوق أيديهم"

٣) أنبتت السماء نباتا .

٤) "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا".

٥) شربت ماء النيل .

٦) "يجعلون أصابعهم في آذانهم".

٧) بث الحاكم عيونه في البلاد .

٨) "فتحرير رقبة مؤمنة"

٩) "خذوا زينتكم عند كل مسجد".

١٠) "وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون"

١١) تبدأ الكلية الدراسة الساعة الثامنة صباحا .

١٢) "واسأل القرية" .

١٣) أتاني لسان منك لا أحبه .

١٤) "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه".

١٥) أكلنا قمحا .

١٦) "وآتوا اليتامى أموالهم".

١٧) "ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا".

١٨) "إني أراني أعصر خمرا".

•• الاجابة :-

١) المجاز المرسل في "المطر" ، وقرينته أن البقرة لا ترعى المطر بل العشب فعلاقة المطر بالعشب هي السببية .

٢) المجاز المرسل في : "يد الله" وقرينته أن الله لا يد له بل له قدرة والعلاقة : السببية كالمثال السابق .

٣) المجاز المرسل في " نباتا " ، والقرينة : أن السماء لاتمطر نباتا بل مطرا فعلاقة النبات بالمطر هي السببية ، فالنبات مسبب عن المطر .

٤) المجاز المرسل في : " نارا " ، والقرينة انهم لايأكلون نارا بل طعاما حراما والعلاقة : السببية كالمثال السابق .

٥) المجاز المرسل في : "ماء النيل" والقرينة أنه لايشرب ماء النيل كله بل جزءا منه فعلاقة ماء النيل بما يشرب هي الكليـــة .

٦) المجاز المرسل في : "أصابعهم" والقرينة انهم لايجعلون أصابعهم كلها في آذانهم ، بل أطرافها والعلاقة : الكلية كالمثال السابـــق .

٧) المجاز المرسل في : "عيونه" ، والقرينة انه يبث جواسيسه لاعيونه فعلاقة العيون بالجواسيس هي الجزئيـــة .

٨) المجاز المرسل في : "رقبة" والقرينة أن التحرير للعبد لالرقبته وحدها فالعلاقة الجزئية كما في المثال السابـــق .

٩) المجاز المرسل في : زينتكم ، والقرينة أن الزينة لاتلبس بل الملابس ، فعلاقة الزينة بالملابس هي الحالية ، فالزينة تحل في الملابس .

١٠) المجاز المرسل في : " رحمة الله " والقرينة أن التخليد لايكون في الرحمة بل في الجنة . فالعلاقة الحالية كما في المثال السابق .

١١) المجاز المرسل في "الكلية" ، والقرينة أن الكلية لاتهدأ علاء بل الذين يهدؤ ، هم طلابها ، فعلاقة الكلية بطلابها هي المحلية .

١٢) المجاز المرسل في : "القرية" ، والقرينة أن القرية لاتُسأل بل الذي يُسأل هم أهلها ، فالقرينة الكلية كالمثال السابق .

١٣) المجاز المرسل في : "لسان" ، والقرينة أن اللسان لايأتي بل الخبر فعلاقة اللسان بالخبر هي الآليـــة .

١٤) المجاز المرسل في: "لسان" ، والقرينة ان اللسان لا يُرسل به بل باللغة ، فعلاقة اللسان باللغة هي الآلية ، كما في المثال السابق .

١٥) المجاز المرسل في: "قمحاً" والقرينة أننا لا نأكل القمح بل الخبز ، فعلاقة القمح بالخبز هي اعتبار ما كان .

١٦) المجاز المرسل في: "اليتامى" والقرينة : أن اليتامى لا يُعطـون أموالهم بل الذين بلغوا الرشد ، فعلاقة اليتامى بالراشدين هـي اعتبار ما كان كما في المثال السابق .

١٧) المجاز المرسل في: "فاجراً كفاراً" ، والقرينة أن الفاجر الكفار لا يولد بل الطفل فعلاقة الفاجر الكفار بالطفل هي اعتبار ما سيكون .

١٨) المجاز المرسل في: "خمراً" والقرينة أن الخمر لا يعصر بل العنب ، فعلاقة الخمر بالعنب هي اعتبار ما سيكون كما في المثال السابق .

×× التعليـــق :ــ

المجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غـير المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقـي .

وسمى هذا المجاز مرسلا ، لان المرسل معناه غير المقيد وهو غير مقيـد كالاستعارة بالمشابهة بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقى إذ أن علاقاتـه كثيرة كما ظهر من التطبيـق .

*** • تطبيــــق :ــ**

بين نوع الكناية فيما يأتـــي :ــ

١) ذلك الرجل يشار إليه بالبنـــان .

٢) طويل النجاد رفيع العمـاد ⁂ كثير الرماد اذا ما شتـا

٣) فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ∴ ولكن على أقدامنا تقطر الدّما
٤) قوم ترى أرماحهم يوم الوغى ∴ مشغوفة بمواطن الكتمان
٥) قال تعالى: "أو من يُنَشَّأُ في الحِلْيةِ وهو في الخصام غير مبين".
٦) يا أبناء الضاد اتحدوا.
٧) أن في ثوبك الذي المجد فيه ∴ لضياءً يُزرى بكل ضياء
٨) فما جازه جود ولاحل دونه ∴ ولكن يسير الجود حيث يسير
٩) اليمن يتبع ظله ∴ والمجد يمشى في ركابه

.. الاجابة :-

١) في "يشار اليه بالبنان" كناية عن صفة وهي الشهرة.
٢) في "طويل النجاد" كناية عن صفة وهي طول الجسم الذى يلزم عنه الشجاعة عادة، وفي "طويل العماد" كناية عن صفة وهي رفعة شأنه، وفي "كثير الرماد" كناية عن صفة وهي كثرة إحراق الحطب ثم كثرة الطبخ ثم كثرة الضيوف ثم الكرم.
٣) البيت كناية عن صفة الشجاعة لأنه كناية عن أنهم يقدمون بصدورهم ولا يكشفون ظهورهم.
٤) في "مواطن الكتمان" كناية عن موصوف وهي القلوب.
٥) في "من ينشأ في الحلية" كناية عن موصوف وهو البنت لأن أهلها يزينونها ويحلونها بأنواع الزينة والحلى منذ نشأتها.
٦) في "أبناء الضاد" كناية عن موصوف وهم العرب.
٧) في البيت كناية عن نسبة المجد والاشراف اليه.
٨) في البيت كناية عن نسبه الجود اليه.
٩) في البيت كناية عن نسبه اليمن والمجد اليه.

××× التعليق :-

الكناية: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز ارادة ذلك المعنى. وتنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه الى ثلاثة أقسام فان المكنى عنه قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا، وقد يكون ...

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((** تطبيقات ونماذج إجابة فى الفصاحــــة **))

.. اذكر السبب فى عدم فصاحة ما يأتى من أمثلــــة :-

١ – ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما (١)

٢ – سئل اعرابى عن ناقته ، فقــال :- تركتها ترعى الهُمُخُع (٢)

٣ – أنى يكون أبا البريــــة آدم ... وأبوك والثقلان أنت محمــــدُ (٣)

٤ – مهلا أعاذلُ قد جربت من خلقى ... أنى أجود لأقوام وإن ضننــــوا (٤)

٥ – قال عيسى بن عمر النحوى ، وقد سقط عن دابته ، فاجتمع الناس حولــه :

" مالكم تكأكأتم علىَّ كتكأكئكم على ذى جِنَّة ، افرنقعـــوا " . (٥)

٦ – وأركب فى الروع خيفانــة ... كسا وجهها سَعَفٌ منتشــرْ (٦)

٧ – ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بى جاهــل (٧)

٨ – وما مثلها اذا ما كنت جارتها ... ألا يجاورنا إلاك ديّـــارُ (٨)

٩ – جذبتُ نداه غدوة السبت جذبة ... فخر صريعا بين أيدى القوائــد (٩)

١٠ – فأصبحتْ بعد خطَّ بهجتها ... كأن قفرا رسومَها قلمــا

---

(١) معنى البيت : لو كان مجد الانسان سببا لخلوده ، لكان مطعم بن عدى أولــى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد والشرف مالم يحجزه أحـــد .

(٢) الهمخع : نبات ترعاه الابل . (٣) الثقلان : الإنس والجــن

(٤) أعاذل : أى يا عاذلتى ، أى يالائمتى . وضننوا : أى بخلــوا

(٥) المعنى مالكم أجتمعتم على كاجتماعكم على ذى جنون ، تنحوا عنى وتفرقـــوا .

(٦) الروع : الفزع. السعف : جمع سعفة ، وهى غصن النخــل

(٧) ديـــار : أحـــد .

(٨) الندى : الجود . خرصريعا : سقط على الارض .

(٩) الاصطراع : الاطراح علـــى الارض .

١١ ـ « بالكمال فى بدنه لمن طلب الاصطراع » (٩)

١٢ ـ لما رأى طالبوه مصعبا وعرا ‏ ‏ ‏ كاد لو ساعده المقدور ينتصر

١٣ ـ وشوه تشبه الرقش رقشه ‏ ‏ ‏ فأشباه يشكونه ومعاشره

١٤ ـ أنى زَلِجٍ هَزْرَفٍ زفارِفٍ ‏ ‏ ‏ هِزَفٍّ يَبُذُّ الناجيات الصوامتا (١١)

---

(٩) الاصطراع : الاطراح على الارض

(١٠) الرقش : النقش والزخرفة .

(١١) البيت فى وصف فرس ، فالصفات الاربع فى الشطر الاول معناها انه خفيف سريع ، والهزف : الجافى أو الطويل ، ويبذ : يسبق ، والناجيات الصوامت : الخيل القوية ..

الاجابـــــة

١ - البيت غير صحيح لضعف التأليف فيه ، ففى قوله " أبقى مجده الدهر مطعما " عاد الضمير فى " مجده " على متأخر وهو " مطعما " لفظا ورتبـــة .

٢ - العبارة غير فصيحة لاشتمالها على لفظ " الهعخع " ، التى فيها غرابة وتنافر حـــروف .

٣ - البيت غير فصيح للتعقيد اللفظى ، اذ النظم الصحيح لكلام البيت بغير تعقيد هو : أنى يكون آدم أبا البرية ، وأبوك محمد وأنت الثقلان ، ولكنه فصل بين المبتدأ والخبر (أبوك محمد) ، وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يلبس فى قوله : " والثقلان أنت " فأدى الى ما نجده من التعقيـــد .

٤ - البيت غير فصيح لمخالفة القياس فى كلمة " ضننوا " حيث فك الادغام ، وحقه أن يدغم فيقال " ضنّـــوا " .

٥ - العبارة غير فصيحة لغرابة وتنافر الحروف والكلمات فيهـــا .

٦ - البيت غير فصيح للتعقيد المعنوى فى " كما وجهها سعف منتشر " اذ الشاعر يدعى أن فرسه كريمة خفيفة ، ولكن وصفه اياها بأن شعر ناصيتها طويـــل كسعف النخيل يغطى وجهها لا يحقق له ذلك ، اذ المعروف لدى العـــرب أن شعر الناصية اذا غطى العينين لم تكن الفرس كريمة ولم تكن خفيفـــة .

٧ - البيت غير فصيح لتنافر كلماته (وهو هنا تنافر خفيـــف) .

٨ - البيت غير فصيح لضعف التأليف ، اذ جاء بالضمير المتصل بعد " إلا " وانما يؤتى بعد " الا " بالضمير المنفصل ، فكان حقه أن يقول : " الا ايـــاك "

٩ - البيت غير فصيح للتعقيد المعنوى فيه ، لانه يجعل كرم ممدوحه يخر صريعا ويعنى بذلك أنه كريم ، وهو ما لا ندركه بسهولـــة .

١٠ - البيت غير فصيح للتعقيد اللفظى ، اذ كان حقه أن يقول فاصبحت ، أى المحبوبة بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها ، فقدم وأخر ، وفصل بين المتلازمين ، حتى لم يعد كلامه مفهومـــا ..

١١ ـ كما فى البيت رقم ٩ فهو يمدح الآمال بعض ما به وهى كريه ، وهذا بعيد عسير على الفهم .

١٢ ـ البيت غير فصيح لضعف التأليف ، لعود الضمير فى " طالبوه " على متأخر لفظا ورتبة .

١٣ ـ البيت غير فصيح لتنافر الكلمات (وهو تنافر ثقيل) .

١٤ ـ البيت غير فصيح لغرابة الفاظه ، ولتنافر كلماته تنافرا ثقيلا (وهو هنا أثقل من البيت السابق) .

" تطبيقات ونماذج اجابة فى البلاغة "

١) بين الحال ومقتضاه ، ومطابقة الكلام له فيما يأتى :

١ ـ قال شاعر يرثى البرامكة وهو خائف من الرشيد :

أصيبت بسادة كانوا عيونا ... بهم نُسقى اذا انقطع الغمام

٢ ـ وقال آخر يريد تعجيل الهناء والمسرة فى كلامه لأنه يهنئ خليفة بتوليه الخلافة ويعزيه لوفاة سلفه الذى حزن عليه :

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

٣ ـ قال تعالى : (خلق الانسان ضعيفا) .

٤ ـ " ما الحياة الا متاع الغرور " تريد التخصيص .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

** الاجابة **

١ ـ الخوف من الرشيد حال ، اقتضت عدم ذكر اسمه فى الكلام وبناء الفعل للمجهول فهذا هو مقتضى الحال أو الخصوصية فى الكلام التى اقتضاها الحال ، والاتيان

بالكلام مشتملا على هذه الخصوصية ، هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال أى البلاغة.

٢ - تعجيل الهناء حال ، اقتضت تقديم كلمة " هناء " فى أول الكلام فى البيت فهى الخصوصية أو مقتضى الحال ، واشتمال الكلام على هذه الخصوصية مطابقة لمقتضى الحال أو البلاغة ..

٣ - العلم بالخالق جل وعلا حال ، اقتضت بناء الفعل للمجهول ، وهذه هى الخصوصية أو مقتضى الحال ، ومجيء الكلام على هذه الصورة مطابقة للمقتضى أو البلاغة.

٤ - ارادة التخصيص حال ، اقتضت الاتيان بأسلوب النفى والاستثناء فذلك المقتضى والاتيان بالكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال أى البلاغة.

=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=:=

(٢) بين وجه خروج الكلام عن حد البلاغة فيما يلى :-

١ - " الاستاذ عالم " اذا قلت ذلك لمنكر علم الاستاذ ، فمتى يكون ذلك خروجا عن حد البلاغة ؟ ومتى يكون بليغا ؟

٢ - وأحمق يكرع الماء قال لى دع الخمر واشرب من نُقاخ (١) مبرد

٣ - قال الفرزدق يمدح خالدا (وهو من كان أمير خراسان) ، ويذم أسدا (وهو من أصبح خلفا له على ولا يتها) :

وليست خرسان التى كان خالد بها أسد اذا كان سيفا أميرها

٤ - اذا جاوز الإثنين سر فانه بنشر وتكثير الوشاة قمين (٢)

!! الاجابــــة !!

١ - يكون هذا الكلام غير بليغ من المتكلم اذا رأى أنه منكر ولم ينزله منزلة غير المنكر لان الإنكار يناسبه تأكيد الكلام ، والكلام هنا غير مؤكد.

=================

(١) النقاخ : الماء العذب. (٢) قمين : جدير.

ويكون هذا الكلام بليغا اذا تزله وهو منكر منزلة غير المنكر ، رعايــة لان الاستاذ مشهود له من الجميع بالعلم ، وما كان ينبغى لــه أن ينكـــره .

٢ — خرج البيت عن حد البلاغة ، لانه غير فصيح ، وهو غير فصيح لاشتمالـ على كلمة " النقاخ " وفيها تنافر حـــروف .

٣ — نظم الكلام الصحيح : وليست خراسان بالبلدة التى كــان خالــد بها سيفا ، اذ كان أسد أميرها ، ففى البيت تعقيد لفظى جــاء نتيجة لما به من تقديم وتأخير .

٤ — البيت غير بليغ لان فيه مخالفة للقياس فى كلمة " الإثنين " حيـــث قطع همزة الوصل ، ومخالفة القياس تنفى فصاحته ، وكل ما هو غـــير فصيـــح غير بليـــــغ ..

((** تطبيقات ونماذج اجابــة فنية **))

التشبيـــــه

(١) بين طرق التشبيه ونوعــه فيما يأتــــــى :ـ

١ ـ شعر كالحرير وقد كغصن البـــــان .

٢ ـ علم لا ينفع كـدواء لا ينجـــــع .

٣ ـ خُود كأن بنانهـــا في خضرة النقش المــــزرد
سمك من البللور فــى شبك تكوّن من زبرجـــد

٤ ـ أنت بدر حسنا وشمس علوا وحسام حزما وبحر نـــوالا

٥ ـ له خال على صفحات خد كقطعة عنبر فى صحن مـرمـر

٦ ـ ليل وبدر وغصـــن شعر ووجه وقـــد
خمـــر ودر وورد ريق وثغـــر وخـــد

٧ ـ يقول البحترى واصفا بركة المتوكـــل :
كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفة لما سال واديهـــا

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

!! الاجابـــــة !!

١ ـ الشعر مشبه والحرير مشبه به ، والقد مشبه وغصن البان مشبه بـــه والتشبيهان من قبيل التشبيه المفــرد .

٢ ـ العلم المقيد بكونه لا ينفع مشبه ، والدواء المقيد بكونه لا ينجع مشبـــه به فهو من التشبيه المفـرد المقيـــد .

٣ ـ يشبه البنان الابيض فى وسط الوشم بهيئة السمك من البللور فـــى شباك زبرجد ، فوجه الشبه هيئة شىء أبيض تحوطه أشياء خضراء .
فالتشبيه من قبيـل تشبيه التمثيــــل ..

٤ — أنت مشبه وبدر مشبه به ، وأنت (المقدرة) مشبه وشمس مشبه بـه وأنت (المقدرة) مشبه وحسام مشبه به ، وأنت (المقدرة) مشبه وبحر مشبه بــه .

فهى من قبيل التشبيهات المفروقة .

٥ — يشبه صورة الخال الاسود فى وسط الخد الابيض ، بصورة قطعة العنبر السوداء فى وسط صحن من المرمر ، فوجه الشبه : صورة شىء أسود فى وسط شىء أبيض ، فالتشبيه من قبيل التشبيه التمثيلى

٦ — شبه فى البيت الاول الشعر بالليل ، والوجه بالبدر ، والقد بالغصن وشبه فى البيت الثانى الريق بالخمر والثغر بالدر والخد بالورد فهى تشبيهات مفـــردة .

٧ — المشبه الضمير (ها) الذى يعود على البركة الموصوفة بتدفق مائها والمشبه به يد الخليفة الموصوفة بكثرة العطاء ، فهو من التشبيه المفرد المقيــــد .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(٢) بين اركان التشبيه ، ونوعه باعتبار الاداة ووجه الشبه ، والغرض منه فيما يلـــــــى :-

١ — الخِل كالماء يبدى لى ضمائره   مع الصفاء ويخفيها مع الكــدر

٢ — كأن سواد الليل والفجر ضاحك   يلوح ويخفى أسود يتبســـم

٣ — يزدحم الناس على بابـــه   والمنهل العذب كثير الزحـــام

٤ — النحو فى الكـــلام ، كالملح فى الطعـــام

٥ — سكبت عيناه غيث دمـــوع

٦ — ان القلوب اذا تنافر ودها   مثل الزجاجة كسرها لا يُشعب

٧ — سوداء واضحة الجبيـــن كمقلة الظبى الغريـــر

٨ ـ فعَلَتْ بنا فِعلَ السماء بأرضه — خِلَع الامير ، وحقه لم نقضه

٩ ـ وقال البحترى فى المديح :

ذهبتْ حدة الشتاء ووافا — نا شبيها بك الربيع الجديد

ولنا العيد وهوللناس حتى — يتقضى وأنت للعيد عيد

١٠ـ ليلتى هذه عروس من الـزَّ — نج عليها قلائد من جُمان

هرب النوم عن جفونى فيها — هرب الأمن عن فؤاد الجبان

١١ـ قال تعالى :

" مَثَل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمَثَل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون "

١٢ـ كأن مُثار النَّقْع فوق رؤسنا — وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

١٣ـ قال اعرابى فى ذم امرأته :ـ

وتفتح ـ لاكانت ـ فما لو رأيته — توهمته بابا من النار يفتح

!! الاجابة !!

١ ـ الخل مشبه ، والماء مشبه به ، والكاف أداة التشبيه ، ووجه الشبة اظهار ما بداخله فى حالة الصفاء واخفائه فى حالة الكدر ، وهو تشبيه مفرد ، وهو مرسل لذكر الاداة ، مفصل لذكر وجه الشبه ، والغرض منه تقرير المشبه .

٢ ـ المشبه : هيئة سواد الليل يبدو فيه نور القمر ، والمشبه به : هيئة الرجل الأسود تبدو عند الابتسام أسنانه البيض ، وأداة التشبيه : كأن ، ووجه الشبه : صورة شئ أسود كبير يظهر فيه شئ أبيض صغير ، فهو تشبيه تمثيل لان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، وهو تشبيه مرسل لذكر الاداة ، مجمل لحذف وجه الشبه ، والغرض منه : بيان حالة المشبه ،

٣ ـ المشبه الممدوح الذى يزدحم الناس على بابه لنيل عطائه ، والمشبه به : المنهل العذب الذى يزدحم الناس عليه للشرب ، وأداة التشبيه : مقدرة ، لانه تشبيه ضمنى ، ووجه الشبه : الازدحام للحصول على فائدة ، والغرض من التشبيه : بيان إمكان المشبه .

٤ ـ المشبه : النحو فى الكلام ، والمشبه به : الملح فى الطعام ، وأداة التشبيه الكاف ، ووجه الشبه : شدة الاحتياج اليه ، فهو تشبيه مفرد ، وهو مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه : بيان حالة المشبه .

٥ ـ المشبه : الدموع ، والمشبه به : الغيث ، وأداة التشبيه مقدرة ، وهو تشبيه مفرد ، وهو بليغ لعدم ذكر الأداة ووجه الشبه ، والغرض منه : بيان مقدار حالة المشبه .

٦ ـ يشبه حالة القلوب تتنافر بحالة الزجاج يكسر ، وأداة التشبيه : مثل ، ووجه الشبه : هيئة شىء يتفرق فلا يمكن جمعه ، فهو تشبيه تمثيل ، وهو مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه : بيان امكان المشبه .

٧ ـ المشبه : السوداء التى يلمع جبينها ، والمشبه به مقلة الظبى ، وأداة التشبيه : الكاف ، ووجه الشبه : السواد اللامع ، والتشبيه مفرد ، وهو مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه : تزيين المشبه .

٨ ـ شبه ما فعلته خلع الامير بالشاعر من الانعاش بالبال بما تفعله السماء بالارض من الانعاش بالزرع ، بجامع الإنعاش فى كل ، وأداة التشبيه مقدرة ، والتشبيه بليغ لعدم ذكر الاداة ووجه الشبه ، والغرض منه : بيان مقدار المشبه .

٩ — شبه فى البيت الاول الربيع بالممدوح ، فالربيع مشبه ، والممدوح مشبه به فالتشبيه مقلوب ، واداة التشبيه كلمة " شبهه " ، ووجه الشبه الانعاش وادخال السرور ، والتشبيه مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه والغرض منه : بيان مقدار للشبه ،

وشبه فى البيت الثانى الممدوح بالعيد ، فالممدوح مشبه ، والعيد مشبه به واداة التشبيه مقدرة ، ووجه الشبه : الإسعاد ، فالتشبيه مفرد ، وهو بليغ لعدم ذكر الأداة ووجه الشبه ، والغرض منه بيان حال المشبه ،

١٠ — يشبه فى البيت الاول صورة الليلة بما بها من أنوار متفرقة بعروس الزنج التى تلبس عقدا من اللؤلؤ ، ووجه الشبه : وجود شئ أسود كبير تبدو به أشياء بيضاء صغيرة متفرقة ، فالتشبيه تمثيل ، واداة التشبيه مقدرة فهو بليغ لانه مؤكد لعدم ذكر الاداة ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه : بيان حال المشبه ، أو تزيينه وتحسينه ..

ويشبه فى البيت الثانى هرب النوم عن جفونه بهرب الأمن عن قلب الجبان بجامع اختفاء شئ منهما فى كل وهو وجه الشبه ، وهو تشبيه بليغ ومفرد والغرض منه : مقدار المشبه ،

١١ — شبه حالة الكفار فيما يتخذونه من أولياء ضعاف ، بحالة العنكبوت فيما يتخذ ، من بيت ضعيف ، ووجه الشبه صورة الاستعانة بما لا يعين ، فالتشبيه تمثيل وأداة التشبيه : الكاف ، فهو مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه : تقرير حال المشبه ،

١٢ — يشبه هيئة التراب يعلو رؤوس المتحاربين تتخلله السيوف لامعة صاعدة هابطة ، بهيئة الليل يعم سواده ، وتبدو من خلال السواد القاتم فيه نجوم بيضاء لامعة تتهاوى ، فوجه الشبه هيئة شئ أسود كبير تبدو فيه خلاله أشياء بيضاء صغيرة لامعة تتساقط ، فالتشبيه تمثيل ، وأداة التشبيه :

"كأن" ، فهو مرسل لذكر الاداة ، مجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض منه بيان حال المشبه .

١٣- شبه هيئة تلك المرأة تفتح فمها القبيح فتبد و بصورة منفرة ، بهيئة بـاب النار تفتح فترى فيها ما يفزعك ، ووجه الشبه صورة شئ قبيح ينفتح فيبـد و مفزعا فالتشبيه تمثيلى ، وهو بليغ لعدم ذكر الاداة ؤ وجه الشبه ، والغرض منه : تقبيح وتحقير المشبـــــــه .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

((** تطبيقات ونماذج إجابة فـــى **))

الاستعــــــارة

(١) أجر الاستعارة وبين نوعها وقرينتها فيما يلـــى :

١ - لاتعجبوا من بِلَى غلالته (١)	قد زُرَّ أزراره على القمــــر
٢ - قامت تظللنى من الشمس	شمس أعز على من نفســـــى
قامت تظللنى ومن عجب	شمس تظللنى من الشمـــــس
٣ - ولئن نطقت بشكر برك مفصحا	فلسان حالى بالشكاية أنطـق
٤ - قال تعالى : "فاهدوهم الى صراط الجحـــيم" (٢)	
٥ - نثرتهم فوق الاحَيْدِب (٣) نثرة	كما نثرت فوق الرؤس الدراهم
٦ - جُمع الحق لنا فى امـــام	قتل البخل وأحيا السماحـــــ
٧ - ومن لم يعشَق الدنيا قليل	ولكن لا سبيل الى الوصـــال

==========================

(١) غلالته : ثوبــــه . (٢) صراط الجحيم : طريق جهنـم
(٣) الأحيدب : اسم جبل بنى عليه سيف الدولة قلعــــة .

٨ ـ نَقْريهمو لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدّ بها ... ما كان خاط عليهم كل زَرّاد (٤)

٩ ـ " لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين " تقولها لمن يريدك على أن تكرر خطأ وقعت فيه .

١٠ ـ يومٍ ون التحية من بعيـــد ... الى قمر من الإيوان بـــاد (٥)

١١ ـ رمتني بسهم ريشه الكحل لم يَضِر ... ظواهر جلدى وهو للقلب جــارح

١٢ ـ بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعى ... عقيقا فصار الكل فى نحرها عِقْدا (٦)

١٣ ـ أتته الخلافة منقـــادة ... إليه تجرر أذيالهـــا

١٤ ـ مدح أبو تمام رجلا بعلو المنزلة فقــال :

ويصعد حتى يظن الجهـــول ... بأن له حاجة فى السمـــاءْ

١٥ ـ اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديـــق

١٦ ـ واذا المنية أنشبت أظفارهـــا ... ألفيت كل تميمة لا تنفــع (٧)

١٧ ـ سالت عليه شعاب الحى حين دعا ... أنصاره بوجوه كالدنانيـــر (٨)

١٨ ـ "أنت تحصد ما زرعت" تقولها لطالب نجح نتيجة اجتهاده .

١٩ ـ غنى الطير أنشودة فوق الغصـــون .

٢٠ ـ " ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلميـــن " .

==================

(٤) القِرى : الاحسان الى الضعيف . واللهذميات : جمع لهذمية ، وهى الطعنة الواسعة المنسوبة الى اللهذم ، وهو السيف القاطع . نقُدّ : نقطع . والزراد : صانع الزرد وهو الدرع (٥) الايوان : اسم لبنا ضخم ، ومنه ايوان كسرى . (٦) اللؤلؤ : حجر كريم أبيض . والعقيق : حجر كريم أحمر . والنحر : العنق .

(٧) المنية : الموت . والتميمة : ما يوضع على الطفل من خرزة كى تصونه عن العين أو الحسد ، فى زعمهم . (٨) الشِعاب : جمع شِعب وهو الطريق فى الجبل .

((** الاجابـــــــــــة **))

١ — شبه المحبوبة بالقمر ، واستعار القمر لها على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينـــة : أزراره .

٢ — فى الشطر الثانى من البيت الاول شبه المحبوبة بالشمس واستعارها للمحبوبة على سبيل الاستعارة التصرحية . والقرينة : تظللنى .
وفى الشطر الثانى من البيت الثانى شبه المحبوبة بالشمس (الأولـــــى واستعار الشمس للمحبوبة على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينـــة : تظللـــــــــنى .

٣ — فى " لسان حالى " الاستعارة مكنية ، شبه الحال بالانسان ، وحذفـــه ورمز اليه بشئ من لوازمة وهو اللسان ، وإضافة اللسان الى الحـــــــال هو قرينة الاستعارة .

٤ — شبه سوق الكفار الى الجحيم بالإهداء تهكما بهم ، واستعار الاهــــداء للسوق على سبيل الاستعارة التصريحية ، وقرينة الاستعارة هى "صـــراط الجحيم " إذ الإهداء لا يكون اليه ، فيكون هو دليل المجـــــاز .

٥ — شبه تفريق الاعداء مقتولين على ساحة المعركة بنثر الدراهم فوق الرؤوس ، واستعار "نثرتهم" لفرقتهم على سبيل الاستعارة التصريحية ، وقرينـــة الاستعارة هى الضمير "هم" فى "نثرتهم" اذ النثر لا يكون للناس حقيقـــة بـــل مجـــــازا .

٦ — شبه البخل بالانسان ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو قتل ، وهـــو قرينة الاستعارة ، وشبه السماح بالانسان ، وحذفه ورمز اليه بشئ مـــن لوازمه وهو "أحيا" وهو قرينة الاستعارة . والاستعارتان مكنيتـــــان

٧ — شبه الدنيا بالمرأة المعشوقة وحذفها ورمز اليها بشئ من لوازمها وهـــو " يعشق " وهى قرينة هذه الاستعارة المكنية ، والوصال ترشيح للاستعارة

٨ ـ شبه طعن الاعداء بقراهم ، واستعار القرى للطعن ، وأخذ منه نقـرى بمعنى نطعن على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة لهذميات ونقدّ بها ترشيـح .

٩ ـ العبارة استعارة تمثيلية ، شبه حالة من ضربت له بحالة من وردت فيـه ، واستعيرت حالة المورد للمضرب على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينـة حاليـة .

١٠ ـ شبه الممدوح بالقمر واستعار القمر للممدوح على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة يوم ون التحية ، ومن الايوان تجريـد .

١١ ـ شبه عين المحبوب بالسهم واستعار السهم للعين على سبيل الاستعـارة التصريحية والقرينة : رمتني ، وفى "ريشة الكحل" تجريد ، وفى "جـارح" ترشيح فالاستعارة مطلقـة .

١٢ ـ شبه دمع المحبوب باللؤلؤ ، واستعار اللؤلؤ على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة : بكت ، وشبه دمعه بالعقيق ، واستعار العقيق على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة فاضت مدامعى . وفى "عقدا" ترشيـح .

١٣ ـ شبه الخلافة بالحسناء وحذفها ورمز اليها بشئ من لوازمها وهو أتتـه ، وفى "منقادة" ، "تجرر أذيالها" ترشيـح .

١٤ ـ شبه علو منزلة الممدوح بالصعود الحسن ، واستعار الصعود لعلو المنزلـة على سبيل الاستعارة التصريحية ، وفى السماء ترشيـح .

١٥ ـ شبه الدنيا بالانسان وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الامتحان ، و"امتحن" هى قرينة الاستعارة ، وبقية البيت ترشيـح .

١٦ ـ شبه المنية فى قوله "أنشبت" بالوحش ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمـه وهو المخالب أظفارها على سبيل الاستعارة المكنية وهو قرينة الاستعارة .

١٧ ـ شبه شعاع الشمس بالماء ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو السيـل وقرينة الاستعارة كلمة "سالـت" .

١٨ـ شبه حالة من اجتهد فنجح بحال من زرع فحصد واستعار الحالة الثانية للاولى على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية .

١٩ـ شبه الطير بالانسان ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الغناء واسناد الغناء الى الطير هو قرينة الاستعارة . وفي " أنشودة تنساب فوق الغصون " تجريد ، فالاستعارة مطلقة .

٢٠ـ شبه الصبر بالماء ، وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الافراغ ، وقرينة الاستعارة هي كلمة " أفرغ " .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(٢) حول الاستعارة الى تشبية والتشبية الى استعارة فيما يأتـــــــي :ـ

١ ـ زرت حاتمـــــا (تريد رجلا بخيلا ـ تهكمـــــا)

٢ ـ " وان صخرا لتأتم الهداة به :. كأنه علم فى رأسه نـــــار[1]

٣ ـ سكبت دمعا كحبات الجمان ، وأبدت وجهـا كبدر التمـــــا

٤ ـ عضنـا الدهر بنابـــه :. ليت ما حل بنابـــــه

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

!! الاجابـــة !!

١ ـ زرت حاتما : استعارة مكنية يمكن أن تكون تشبيها اذا قلنا " زرت رجـــلا كحاتم " .

٢ ـ كأنه علم فى رأسه نار : تشبيه ، يمكن أن يتحول الى استعارة اذا حذفنـا احد الطرفين : المشبه أو المشبه به ، فقلنا (بحذف المشبه) : رأيت علما فى رأسه نار ، والقرينة حالية ، أو قلنا (بحذف المشبه به) : صعدت الى قمـة هـــذا الرجـــل .

= =

(١) العلــــم : الجبـــــل .

٣ — سكبت دمعا كحبات الجمان : تشبيه ، يمكن ان يتحول الى استعارة اذا قلنا سكبت حبات جمان أو دموعها منظومة ، وأبدت وجها كبدر السماء • تشبيه أيضا يمكن أن يتحول الى استعارة اذا قلنا : شاهدت بدر السماء أو هي تضحك •

٤ — عضنا الدهر بنابه : استعارة مكنية ، يمكن أن تصبح تشبيها اذا قلنا : الدهر حيوان مفترس •

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

((** تطبيقات ونماذج اجابة فى المجاز **))
المرسل

(١) بين المجاز المرسل وعلاقاته فيما يلي :-

١ — كم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

٢ — " واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم "

٣ — اذا نزلت بنا أكرمناك •

٤ — خرجت مصر لاستقبال رئيسها بعد عودته من الخارج •

٥ — " انما يسرناه بلسانك " (١)

٦ — بلادنا تأكل القمح وتزرع القطن •

٧ — " انك ميت وانهم ميتون "•

٨ — " يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم "

٩ — كذاك يعادى العلم من هو جاهل •

١٠ — تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن •

١١ — " وجاء ربك "

= =

(١) أى يسرنا القرآن للذكر والتلاوة بلغة العرب •

١٢ - " وينزل لكم من السماء رزقا "

١٣ - كم بعثنا الجيش جرا را وأرسلنا العيونا

١٤ - " ان الابرار لفى نعيم

١٥ - سأوقد نارا .

١٦ - والاعوجية ملء الطرق خلفهم والمشرفية ملء اليوم فوقهم (١)

١٧ - الا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكرى عيناه تسكبان

١٨ - وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلى بظالم

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

!! الاجابة !!

١ - المجاز مرسل فى كلمة " القوافى " اذ المقصود "القصائد الشعرية"
فعلاقة المجاز : الجزئية .

٢ - المجاز المرسل فى كلمة "القرآن" اذ المقصود جزء منه ، فعلاقة
المجاز : الكلية .

٣ - المجاز المرسل فى الضمير "نا" اذ المقصود المكان الذى يحلون فيه
فعلاقة المجاز : الحالية .

٤ - المجاز المرسل فى كلمة " لسانك " اذا المقصود لغتك ، فعلاقة المجاز
الآلية .

٥ - المجاز المرسل فى كلمة "مصر" اذ المقصود أهلها فعلاقة المجاز :
المحلية .

======================

(٢) الأعوجية : الخيل الكريمة . والمشرفية : السيوف . يصف المتنبى احاطة
جيوش سيف الدولة باعدائه ..

٦ — المجاز المرسل فى كلمة "لسانك" اذ المقصود أهل بلا دنا فعلاقة المجاز: المحليه ، والمجاز المرسل أيضا فى كلمة "القمح" اذ المقصود الخبز الذى كان قمحا ، فعلاقة المجاز اعتبار ما كان ، والمجاز أيضا فى كلمة "القطن" اذ المقصود البذر أو الشجر الذى يصبح قطنا ، فعلاقة المجاز: اعتبار ما سيكون .

٧ — المجاز المرسل فى كلمتى "ميت ، ميتون" اذ المقصود ستموت وسيموتون ، فالعلاقة اعتبار ما سيكون .

٨ — المجاز المرسل فى كلمة "بأفواههم" اذ المقصود بألسنتهم ، فالعلاقة الكلية أو المحلية .

٩ — المجاز فى كلمة "العلم" اذ المقصود أهل العلم ، فالعلاقة الحالية .

١٠ — المجاز فى كلمة "السفن" اذ المقصود راكبوها فالعلاقة المحلية .

١١ — المجاز فى كلمة "ربك" اذ المقصود أمر ربك ، فالعلاقة السببية .

١٢ — المجاز فى كلمة "رزقا" اذ المقصود مطرا ينشأ عنه النبات الذى منه طعامنا ورزقنا فالعلاقة السببية .

١٣ — المجاز فى كلمة "العيون" اذ المقصود الجواسيس ، فالعلاقة الجزئية .

١٤ — المجاز فى كلمة "نارا" اذ المقصود حطب يصبح نارا ، فالعلاقة اعتبار ما سيكون .

١٥ — المجاز فى كلمة "النعيم" اذ المقصود الجنة ، فالعلاقة الحالية .

١٦ — المجاز فى كلمة "اليم" اذ المقصود الفضاء الذى يغرق فيه اليم فالعلاقة الحالية .

١٧ — المجاز فى كلمة "عيناه" اذ المقصود دموعه ، فالعلاقة المحلية . ويجوز أن تكون العلاقة السببية ويجوز أن تكون الآلية .

١٨ـ المجاز فى كلمة "يد" اذ المقصود قوة ، فالعلاقة السببية . ويجوز أن تكون الآليـــــة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

((** تطبيقات ونماذج إجابة فـــس **))

الكنايــــــة

س : بين مواضع الكناية وأنواعها فيما يأتـــــــــــى :ـ

١ ـ وما يكُ فىّ من عيب فإنـــــى ... جبان الكلب مهزول الفصيـل (١)

٢ ـ الضاربين بكل أبيض مِخْـــذَم ... والطاعنين مجامع الاضغـان (٢)

٣ ـ ان السماحة والمروءة والنـــدى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج (٣)

٤ ـ يبيت بمنجاة من اللوم بيتهـــا ... اذا مابيوت بالملامة حلــــت

٥ ـ أرَما رأيت المجد ألقى رحلـــه ... فى آل طلحة ثم لم يتحـــول

٦ ـ "فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاويـــة "

٧ ـ سئل اعرابى عن سبب اشتمال شيبه ، فقال : هذا غبار وقائع الدهـــر .

٨ ـ وليك آنس بالزائريـــن ... من الأم بابنتها الزائـــرة

٩ ـ قال الحجاج للغضبان القبعثرى : لأحملنك على الأدهم (٤) ، فقـال (متجاهلا مايقصده الحجاج) : مثل الامير يحمل على الأدهم والاشهب قال : انه الحديد ، قال متجاهلا أيضا : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليـــدا .

========================

(١) الفصيل : ولد الناقة . (٢) الأبيض : السيف . والمخذم : القاطـع . والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد . (٣) ابن الحشرج : كان اميرا علـى نيسابور .

(٤) يريد الحجاج بالأدهم القيد ، وبالحديد المعدن المعروف ، ولكن القبعثرى حمل الادهم على الفرس الادهم أى الاسود ، وحمل الحديد على الفـرس الذى ليس بليـــدا .

١٠ ـ وصف اعرابى امرأة فقال : ترخى ذ يلها على عرقوبى نعامـــــــــــة .

١١ ـ تكنى العرب عمن يجاهر غيره بالعداوة تقـــــــــــول :

لبس له جلد النمر ، أو قلب له ظهـــــــر المجـــــــنّ (١)

١٢ ـ بيض المطابخ لاتشكو إناؤهـم طبخ القدور ولا غسل المناديـــــــل

١٣ ـ لا يرفع الضيف عينا فى منازلنا الا الى ضاحك منا ومبتســــــم

١٤ ـ فأتبعتها أخرى فأضللت فصلها بحيث يكون اللب والرعب والقلب (٢)

١٥ ـ يكاد اذا ماأبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم (يقصد الكلب)

١٦ ـ لا ينزل المجد الا فى منازلنـا كالنوم ليس له مأوى سوى المقـــل (٣)

١٧ ـ " وحملناه على ذات ألواح ودُسُـــــــر "

١٨ ـ ولما شربناها ودب دبيبهـــا الى موطن الأسرار قلت لها قفـــــس

١٩ ـ تقول العرب : فلان رحب الذراع (٥) ، نقى الثوب ، طاهر الإزار ، سلـــــيم د واعى الصـــــدر (٧) .

٢٠ ـ فمساهم وبسُطهم حـريـر وصبحهم وبسُطهم تـــــــراب

ومن فى كفه منهم قنــــاة كمن فى كفه منهم خضــــاب (٦)

٢١ ـ ويقولون : هو سمين رخو ، وهو يلتحف السماء ويفترش الغـــــــبراء

٢٢ ـ ويقول العرب : هى نئوم الضحى ناعمة الكفـــــــــين .

======================

(١) المجن : الفرس . وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه مودة ثـــم حال عن العهد .

(٢) الضمير فى "أتبعتها" : يعود على الطعنة ، وأضللت : أخفيت ، والفصـل : حديدة السيف ، واللب : العقل ، والرعب : الفزع .

(٣) المقل : جمع مقلة ـ وهى العين جملة . (٤) الضمير فى "شربناها" يعود علـى الخمر (٥) رحب: واسع. دواعى الصدر : همومه ـ سليم دواعى الصدر : سليم صدره من اسباب الشر. (٦) القناة : عود الرمح .

((** الاجابـــــــة **))

١ ـ الكناية فى جبان الكلب ، ومهزول الفصيل " ، وهما كناية عن الكـــرم .
٢ ـ الكناية فى مجامع الاضغان ، وهى كناية عن موصوف هو القلـــوب .
٣ ـ الكناية فى البيت كلمة وهى كناية عن نسبة السماح والمروءة والندى الـــى ابن الحشرج .
٤ ـ الكناية فى الشطر الاول ـ وهى كناية عن نفى نسبة اللوم الى المدوحـــة .
٥ ـ الكناية فى شطرى البيت ، وهى كناية عن نسبة المجد الى آل طلحـــة .
٦ ـ الكناية فى " يقلب كفيه على ما أنفق فيها " وهى كناية عن صفة وهى التحسر والنـــدم .
٧ ـ الكناية فى غبار وقائع الدهر ، وهى كناية عن موصوف وهو الشيـــب
٨ ـ الكناية فى شطرى البيت وهى كناية عن صفـة هـى الكـــرم .
٩ ـ الكناية فى كلمة "الأدهم" الاولى وهى كناية عن موصوف هو القيـــد .
١٠ ـ الكناية فى العبارة ، وهى كناية عن صفة هى التحول والسقـــم
١١ ـ الكناية فى العبارتين وهى كناية عن صفة المجاهرة بالعـــداوان
١٢ ـ الكناية فى شطرى البيت وهى كناية عن صفة هى البخـــل .
١٣ ـ الكناية فى البيت كله وهى كناية عن صفة هى الكـــرم .
١٤ ـ الكناية فى الشطر الثانى ، وهى كناية عن موصوف هو القلـــب .
١٥ ـ الكناية فى شطرى البيت ، وهى كناية عن صفة الكـــرم .
١٦ ـ الكناية فى الشطر الاول ، وهى كناية عن نسبة المجد الى قوم الشاعـــر .
١٧ ـ الكناية فى " ذات ألواح ودسر " وهى كناية عن موصوف هو السفينة ، لان مجموعة الامرين : الالواح والدسر مشدودا أحدهما بالاخر وصف خـــاص بالسفينـــة .
١٨ ـ الكناية فى " موطن الأسرار " وهى كناية عن موصوف هو القلـــب
١٩ ـ الكناية فى : " رحب الزراع " وهى كناية عن صفة هى الكرم ، والكناية فـــى

"نقى" الثوب" وهى كناية عن صفة هى الطهارة والعفة ، والكناية فى "طاهر الازار" وهى كناية عن صفة هى الطهارة والعفة أيضا ، والكناية فى "سليم دواعى الصدر" وهى كناية عن صفة هى حب الناس وكرم النفس.

٢٠ ـ الكناية فى الشطر الأول من البيت الاول عن صفة هى السيادة والعزة ، وفى الشطر الثانى منه كناية عن صفة هى الذل والخيبة . والكناية فى الشطر الاول من البيت الثانى كناية عن موصوف هو الرجل ، وفى الشطر الثانى منه كناية عن موصوف هى المرأة .

٢١ ـ الكناية فى " سمين رخو" وهى كناية عن صفة البلادة ، والكناية فى "يلتحف السماء ويفترش الغبراء" كناية عن صفة ا هى الفقر .

٢٢ ـ الكناية فى العبارتين كناية عن صفة هى النعمة ورخاء العيش ووجود من يكفيها حاجة العمل فى البيت من الخدم .

تم بحمد الله وعونه

...